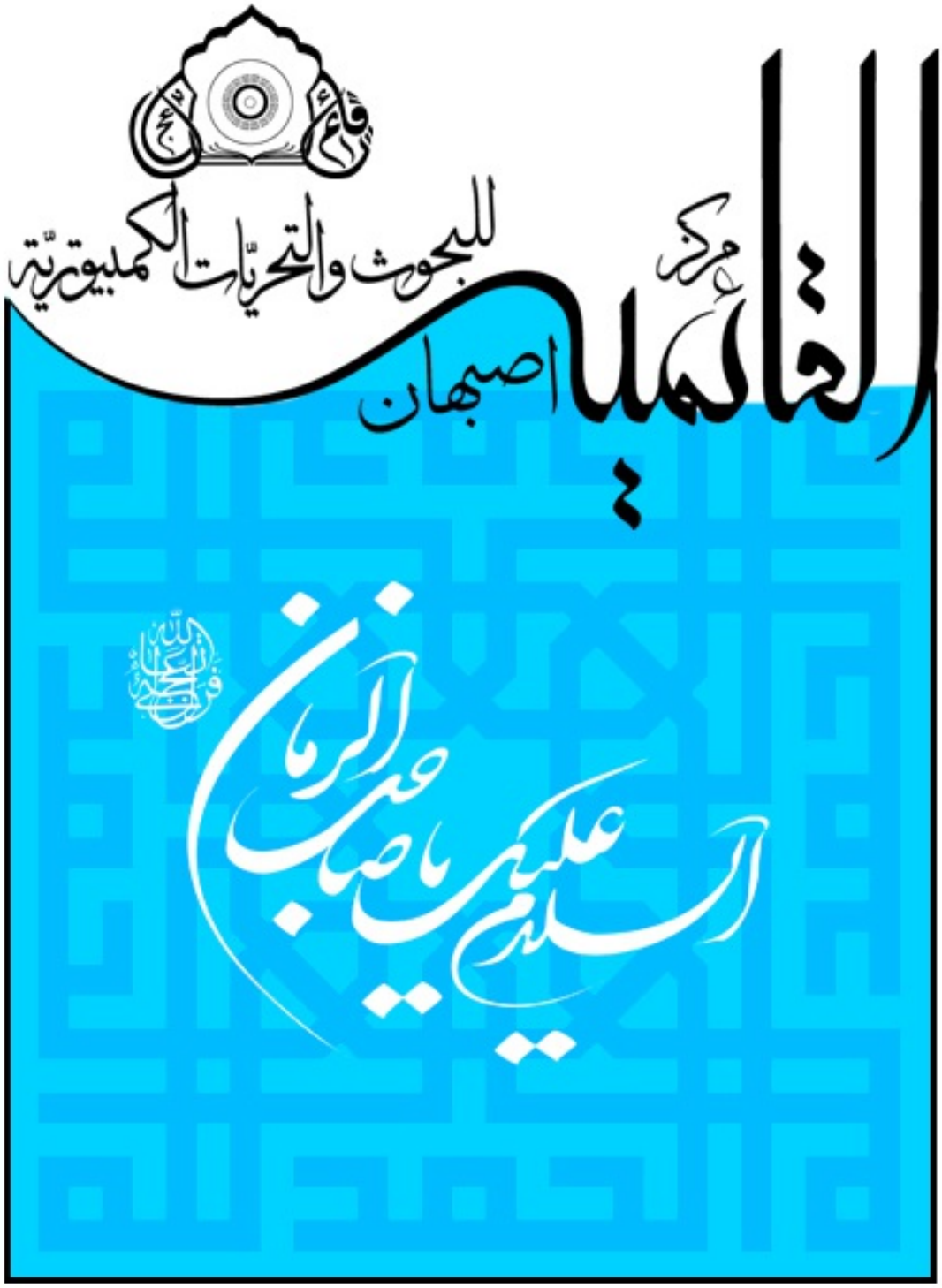

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

النجوم الزاهرة

في ملوك مصر والقاهرة

تأليف

جمال الدين أبي المحاسن يوسف تغري بردي الأتابكي

٨١٣ - ٨٧٤ هـ

جلد ١١

نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب

مع استدراكات وفهارس تحليلية

بسم الله الرحمن الرحيم

النجوم الزاهره فی ملوک مصر والقاهره

کاتب:

جمال‌الدین ابی‌المحاسن یوسف‌بن تغری بردی الاتابکی

نشرت فی الطباعة:

وزاره الثقافه والارشادالقومی

رقمی الناشر:

مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

الفهرس

الفهرس ----- ۵
النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة المجلد ۱۱ ----- ۷
اشارة ----- ۷
[ما وقع من الحوادث سنة ۷۶۲] ----- ۷
ذکر سلطنة الملک المنصور محمد علی مصر ----- ۷
[ما وقع من الحوادث سنة ۷۶۳] ----- ۱۱
[ما وقع من الحوادث سنة ۷۶۴] ----- ۱۳
[ما وقع من الحوادث سنة ۷۶۵] ----- ۳۶
[ما وقع من الحوادث سنة ۷۶۶] ----- ۳۸
[ما وقع من الحوادث سنة ۷۶۷] ----- ۳۹
[ما وقع من الحوادث سنة ۷۶۸] ----- ۴۰
[ما وقع من الحوادث سنة ۷۶۹] ----- ۴۳
[ما وقع من الحوادث سنة ۷۷۰] ----- ۴۵
[ما وقع من الحوادث سنة ۷۷۱] ----- ۴۷
[ما وقع من الحوادث سنة ۷۷۲] ----- ۴۹
[ما وقع من الحوادث سنة ۷۷۳] ----- ۵۱
[ما وقع من الحوادث سنة ۷۷۴] ----- ۵۲
[ما وقع من الحوادث سنة ۷۷۵] ----- ۵۳
[ما وقع من الحوادث سنة ۷۷۶] ----- ۵۵
[ما وقع من الحوادث سنة ۷۷۷] ----- ۵۷
[ما وقع من الحوادث سنة ۷۷۸] ----- ۶۰
اشارة ----- ۶۰
ذکر سلطنة الملک المنصور علیّ علی مصر ----- ۶۲

[ما وقع من الحوادث سنة ۷۷۹] ۷۷
[ما وقع من الحوادث سنة ۷۸۰] ۷۹
[ما وقع من الحوادث سنة ۷۸۱] ۸۱
[ما وقع من الحوادث سنة ۷۸۲] ۸۳
[ما وقع من الحوادث سنة ۷۸۳] ۸۵
ذکر سلطنة الملک الصالح حاجیّ الأولی علی مصر ۸۵
السنة الأولی من سلطنة الملک الصالح أمیر حاج الأولی علی مصر ۸۹
[ما وقع من الحوادث سنة ۷۸۴] ۹۲
ذکر سلطنة الملک الظاهر برقوق الأولی علی مصر ۹۲
السنة الأولی من سلطنة الملک الظاهر برقوق الأولی علی مصر ۱۱۹
[ما وقع من الحوادث سنة ۷۸۵] ۱۲۰
[ما وقع من الحوادث سنة ۷۸۶] ۱۲۱
[ما وقع من الحوادث سنة ۷۸۷] ۱۲۳
[ما وقع من الحوادث سنة ۷۸۸] ۱۲۴
[ما وقع من الحوادث سنة ۷۸۹] ۱۲۶
[ما وقع من الحوادث سنة ۷۹۰] ۱۲۷
[ما وقع من الحوادث سنة ۷۹۱] ۱۲۹
ذکر سلطنة الملک المنصور حاجی الثانیة علی مصر ۱۲۹
السنة التی حکم فی أولها الملک الظاهر برقوق إلی لیلة الاثنین خامس جمادی الآخرة و حکم فی باقیها الملک المنصور حاجّی. ۱۵۵
فهرس الملوک و السلاطین الذین تولوا مصر ۱۵۹
تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة ۱۵۹

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة المجلد ۱۱

اشارة

سرشناسه : ابن تغری بردی، یوسف بن تغری بردی، ۸۱۳-۸۷۴ق.

عنوان و نام پدیدآور : النجوم الزاهره فی ملوک مصر والقاهره/ تالیف جمال‌الدین ابی‌المحاسن یوسف‌بن تغری بردی الاتابکی.

وضعیت ویراست : [ویراست ؟].

مشخصات نشر : قاهره: وزاره الثقافه والارشادالقومی، الموسسه المصریه العامه، ۱۳۴۲.

سال چاپ: ۱۳۹۲ ه. ق

نوبت چاپ: اول

موضوع: شرح حال

زبان: عربی

تعداد جلد: ۱۶

مشخصات ظاهری : ۱۶ج. (درسه مجلد).

یادداشت : عربی.

یادداشت : جلد سیزدهم تاجلد شانزدهم توسط فهیم محمد شلتوت، جمال‌الدین شیال و ابراهیم علی طرخان تصحیح‌شده توسط الهیئه‌المصریه‌العامه للتالیف و النشر منتشر گردیده است.

یادداشت : ج.۱، ۲، ۳، ۴، ۷ ، ۸ ، ۱۱ و ۱۲ (چاپ ؟: ۱۳).

یادداشت : ج. ۱۵ (چاپ؟: ۱۳۹۱ق. = ۱۹۷۱م. = ۱۳۵۰).

یادداشت : ج.۱۶ (چاپ؟ = ۱۳۹۲ق. = ۱۹۷۲م. = ۱۳۵۱).

یادداشت : بالای عنوان: تراثنا.

یادداشت : کتابنامه.

عنوان دیگر : تراثنا.

موضوع : مصر -- شاهان و فرمانروایان

موضوع : مصر -- تاریخ -- ۱۹ - ۸۹۷ق.-- سالشمار.

شناسه افزوده : شلتوت، فهیم محمد، مصحح

شناسه افزوده : شیال، جمال‌الدین، مصحح

شناسه افزوده : طرخان، ابراهیم علی، مصحح

رده بندی کنگره : DT۹۵/الف۲ن۳ ۱۳۴۲

رده بندی دیویی : ۹۶۲/۰۲

شماره کتابشناسی ملی : م۷۵-۵۵۴۷

[ما وقع من الحوادث سنة ۷۶۲]

ذکر سلطنة الملک المنصور محمد علی مصر

السلطان الملك المنصور أبو المعالى ناصر الدين محمد ابن السلطان الملك المظفّر حاجىّ ابن السلطان الملك الناصر محمد ابن السلطان الملك المنصور قلاوون المنصورى الحادى و العشرون من ملوك الترك بالديار المصرية. جلس على تخت الملك صبيحة قبض على عمّه الملك الناصر حسن و هو يوم الأربعاء تاسع جمادى الأولى سنة اثنتين و ستين و سبعمائة و كان عمره يومئذ نحوا من أربع عشرة سنة، بعد أن اجتمع الخليفة المعتضد بالله و القضاة و الأعيان. ثم فوّض عليه خلعة السلطنة و هو التشريف الخليفتى فى يوم الخميس عاشر الشهر المذكور، و لقّبوه الملك المنصور و حلفت له الأمراء على العادة، و ركب من باب الستارة من قلعة الجبل إلى الإيوان و عمره ستّ عشرة سنة. قاله العينى. و الأصحّ ما قلناه.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ۴

ثم خلع على الأمير يلبغا العمرىّ الناصرىّ الخاصّكى و صار مدبر مملكة، و يشاركه فى ذلك خشداشه الأمير طيبغا الطويل، على أن كلّا منهما لا يخالف الآخر فى أمر من الأمور؛ ثم خلع على الأمير قطلوبغا الأحمدى و استقر رأس نوبة النّوب، و خلع على قشتمر المنصورى بنيابة السلطنة بالديار المصرية و ناظر البيمارستان المنصوريّ عوضا عن الأمير آقتمر عبد الغنى، و خلع على الشريف عز الدين عجلان بإمرة مكة على عادته. ثم كتب بالإفراج عن جماعة من الأمراء من الحبوس و هم الأمير حركتمر الماردينىّ و طشتمر القاسمى و قطلوبغا المنصورى و خلع على طشتمر القاسمى بنيابة الكرك من يومه و على ملكتمرا المحمدى بنيابة صفد، و نفى اطقتمر المؤمنى إلى أسوان و خلع على الأمير ألجاى اليوسفى حاجب الحجّاب و استقرّ أمير جاندار، و أفرج عن الأمير طاز اليوسفى الناصرى من اعتقاله بثغر الإسكندرية بعد أن حبس بها ثلاث سنين و زيادة، و كان السلطان الملك الناصر حسن قد أكحله و أفرج أيضا عن أخوىّ طاز: الأمير جنتمر و كلتاى؛ و قرابغا و حضروا الجمع إلى بين يدى السلطان، و حضر طاز و على عينيه شعرية فأخلع عليه و سأل أن يقيم بالقدس فأجيب و سافر إلى القدس و أقام به إلى أن مات على ما سيأتى ذكره إن شاء اللّه تعالى.

و لمّا بلغ خبر قتل الملك الناصر حسن إلى الشأم عظم ذلك على بيدمر نائب الشأم و خرج عن الطاعة فى شعبان من سنة اثنتين و ستين و سبعمائة و عصى معه أسند مر الزينىّ و منجك اليوسفى و حصّنوا قلعة دمشق، فلمّا بلغ ذلك يلبغا العمرى استشار الأمراء فى أمرهم فاتّفقوا على خروج السلطان إلى البلاد الشامية و تجهّز يلبغا و جهّز

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ۵

السلطان الملك المنصور إلى السفر و أنفق فى الأمراء و العساكر و خرج السلطان و يلبغا بالعساكر المصرية إلى الرّيدانية فى أواخر شعبان.

ثم رحّل الأمير يلبغا جاليش العسكر فى يوم الاثنين مستهلّ شهر رمضان و رحّل السلطان الملك المنصور فى يوم الثلاثاء الثانى منه ببقية العساكر و ساروا حتى وصلوا دمشق فى السابع و العشرين من شهر رمضان المذكور، فتحصّن الأمراء المذكورون بمن معهم فى قلعة دمشق، فلم يقاتلهم يلبغا و سيّر إليهم فى الصلح و تردّدت الرسل إليهم، و كان الرسل قضاة الشام، حتى حلف لهم يلبغا أنه لا يؤذيهم و أمّنهم فنزلوا حينئذ إليه، فحال وقع بصره عليهم أمر بهم فقبضوا و قيّدوا و حملهم إلى الإسكندرية الى الاعتقال بها و خلع يلبغا على أمير علىّ الماردينى بنيابة دمشق على عادته أوّلا، و هذه ولاية أمير علىّ الثالثة على دمشق و تولّى الأمير قطلوبغا الأحمدى رأس نوبة نيابة جلب عوضا عن الأمير شهاب الدين أحمد بن القشتمرى.

و أقام السلطان و يلبغا مدّة أيام، و مهّد يلبغا أمور البلاد الشامية حتى استوثق له الأمر. ثم عاد إلى جهة الديار المصرية و صحبته الملك المنصور و العساكر حتى وصل إليها فى ذى القعدة من سنة اثنتين و ستين و سبعمائة. و صار الأمر جميعه ليلبغا و أخذ يلبغا فى عزل من اختار عزله و تولية من اختاره، فأخلع على الطواشى سابق الدين مثقال الآنوكى زمام الدار و استقرّ فى تقدمة المماليك السلطانية عوضا عن الطواشى شرف الدين مخلص الموفّقى.

ثم فى شهر رجب استقرّ الأمير طغيتمر النّظامى حاجب الحجاب بالديار المصرية، و كانت شاغرة منذ ولّى ألجاى اليوسفى الأمير

جاندار، ثم فى شعبان استقرّ الأمير قطلقتمر العلائى الجاشنكير أمير مائة و مقدّم ألف بديار مصر.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۱، ص: ۶

ثم فى شوّال أخلع على الأمير إشقتمر المارديني أمير مجلس بنيابة طرابلس و استقر طغيتمر النظامى عوضه أمير مجلس، و استقر الأمير اسنبغا الأبوبكرىّ حاجب الحجّاب عوضا عن طغيتمر النظامى. ثم أخلع على الأمير عزّ الدين أيدمر الشيخى بنيابة حماة. ثم استقرّ الأمير منكلى بغا الشمسى فى نيابة حلب عوضا عن قطلوبغا الأحمدى بحكم وفاته. ثم أمسك الأمير شرف الدين موسى بن الأزكشى الأستادار و نفى الى حماة و استقرّ عوضه فى الأستادارية أروس المحمودى.

ثم تزوّج الأمير الكبير يلبغا بطولوبيه زوجة أستاذه الملك الناصر حسن.

و فى هذه السنة بويع المتوكّل على اللّه أبو عبد اللّه محمد بالخلافة بعد وفاة أبيه المعتضد باللّه أبى بكر بعهد من أبيه فى يوم الأربعاء ثامن عشر جمادى الأولى سنة ثلاث و ستين و سبعمائة.

ثم أشيع فى هذه السنة عن السلطان الملك المنصور محمد أمور شنعة نفّرت قلوب الأمراء منه و اتّفقوا على خلعه من السلطنة، فخلع فى يوم الثلاثاء خامس عشر شعبان سنة أربع و ستين و سبعمائة و تسلطن بعده ابن عمه الملك الأشرف شعبان بن حسين، و حسين المذكور لم يتسلطن غير أنه كان لقّب بالأمجد من غير سلطنة، و أخذوا الملك المنصور محمدا و حبسوه داخل الدور السلطانية بقلعة الجبل. و كانت مدّة سلطنته سنتين و ثلاثة أشهر و ستة أيام، و ليس له فيها من السلطنة إلا مجرّد الاسم فقط.

و الأتابك يلبغا هو المتصرف فى سائر أمور المملكة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۱، ص: ۷

و سبب خلعه- و الذى أشيع عنه- أنه بلغ الأتابك يلبغا أنه كان يدخل بين نساء الأمراء و يمزح معهن، و أنه كان يعمل مكاريّا للجوارى و يركبهنّ و يجرى هو وراء الحمار بالحوش السلطانى و أنه كان يأخذ زنبيلا فيه كعك و يدخل بين النساء و يبيع ذلك الكعك عليهن على سبيل المماجنة. و أنه يفسق فى حريم الناس و يخلّ بالصلوات و أنه يجلس على كرسى الملك جنبا و أشياء غير ذلك، فاتّفق الأمراء عند ذلك على خلعه فخلعوه و هم يلبغا العمرى الخاصّكى و طيبغا الطويل و أرغون الإسعردى و أرغون الأشرفى و طيبغا العلائى و ألجاى اليوسفى و أروس المحمودى و طيدمر البالسى و قطلوبغا المنصورى و غيرهم من المقدّمين و الطبلخانات و العشروات.

و استمر الملك المنصور محبوسا بالدور السلطانية من القلعه إلى أن مات بها فى ليلة السبت تاسع المحرّم من سنة إحدى و ثمانمائة. و زوّج الملك الظاهر برقوق الوالد بابنته خوند فاطمة فى حياة والدها الملك المنصور المذكور و استولدها الوالد عدّة أولاد و ماتت تحته فى سنة أربع و ثمانمائة، و لما مات الملك المنصور صلّى عليه الملك الظاهر برقوق بالحوش السلطانى من القلعة و دفن بتربة جدّته أمّ أبيه بالروضة خارج

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۱، ص: ۸

باب المحروق بالقرب من الصحراء، و كان محبّا للهو و الطرب راضيا بما هو فيه من العيش الطيب، و كان له مغان عدّة، جوقة كاملة زيادة على عشر جوار يعرفن بمغانى المنصور استخدمهنّ الوالد بعد موته، و كانت العادة تلك الأيام، أنّ لكل سلطان أو ملك يكون له جوقة من المغانى عنده فى داره، و لم يخلّف الملك المنصور مالا له صورة و خلّف عدّة أولاد ذكور و إناث. رأيت أنا جماعة منهم. انتهى و اللّه أعلم.

السنة الأولى و هى سنة اثنتين و ستين و سبعمائة و مدبّر الممالك يلبغا العمرىّ على أن الملك الناصر حسنا حكم منها إلى تاسع جمادى الأولى ثم حكم فى باقيها الملك المنصور هذا.

فيها كان خلع الملك الناصر حسن و قتله حسب ما تقدّم و سلطنة الملك المنصور هذا.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۱، ص: ۹

و فيها توفّى الأديب شمس الدين أبو عبد اللّه محمد بن علىّ بن محمد المعروف بابن أبى طرطور الشاعر المشهور و بحماة عن بضع و سبعين سنة. و كان رحمه اللّه شاعرا ماهرا حسن العشرة، مدح الأكابر و الأعيان و رحل إلى الشام ثم استوطن حماة إلى أن مات. رحمه اللّه. و من شعره فى مليح اسمه يعقوب، و هو هذا. [الرمل]

يا مليحا حاز و جها حسنا أورث الصّبّ البكا و الحزنا

غلطوا فى اسمك إذ نادوا به يوسف أنت و يعقوب أنا

و توفّى الحافظ المفتّن علاء الدين أبو عبد اللّه مغلطاى بن قليج بن عبد اللّه البكجرىّ الحنفىّ الحافظ المصنف المحدّث المشهور فى شعبان و مولده سنة تسعين و ستمائة قاله ابن رافع، و غيره فى سنة تسع و ثمانين و سمع من التاج أحمد ابن دقيق العيد و ابن الطبّاخ و الحسن بن عمر الكردىّ و أكثر عن شيوخ عصره و تخرّج بالحافظ فتح الدين ابن سيد الناس و غيره و رحل و كتب و صنّف «و شرح صحيح البخارىّ» و رتب «صحيح ابن حبّان» «و شرح [سنن] أبى داود» و لم يكمّله و ذيّل على «المشتبه لابن نقطة» و ذيّل على «كتاب الضعفاء لابن الجوزىّ» و له عدّة مصنّفات أخر، و كان له اطلاع كبير و باع واسع فى الحديث و علومه و له مشاركة فى فنون عديدة. تغمّده اللّه برحمته.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۱، ص: ۱۰

و توفّى الشيخ الإمام البارع المحدّث العلامة جمال الدين عبد اللّه بن يوسف [ابن محمد] الزّيلعىّ الحنفىّ فى الحادى و العشرين من المحرّم. و كان- رحمه اللّه- فاضلا بارعا فى الفقه و الأصول و الحديث و النحو و العربية و غير ذلك، و صنّف و كتب و أفتى و درّس و خرّج أحاديث الكشّاف فى جزء و أحاديث الهداية [فى الفقه على مذهب أبى حنيفة] فى أجزاء و أجاد، أظهر فيه على اطلاع كبير و باع واسع.

رحمه اللّه تعالى.

و توفّى السيّد الشريف شهاب الدين حسين بن محمد بن الحسين بن محمد بن الحسين بن زيد الحسينىّ المصرىّ الشافعىّ الشهير بابن قاضى العسكر نقيب الأشراف بالديار المصرية عن أربع و ستين سنة و كان كاتبا بارعا أديبا بليغا كتب الإنشاء بمصر و باشر كتابة السّر بحلب و له ديوان خطب و تعاليق و نظم و نثر، و من شعره قوله.

[المتقارب]

تلقّ الأمور بصبر جميل و صدر رحيب و خل الجرج

و سلّم إلى اللّه فى حكمه فإمّا الممات و إمّا الفرج

و توفّى القاضى شهاب الدين أبو العباس أحمد بن عبد الوهاب بن خلف [ابن محمود بن على] بن بدر المعروف بابن بنت الأعز العلامىّ الفقيه الشافعى

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۱، ص: ۱۱

فى يوم الخميس ثامن عشر شهر ربيع الآخر و كان فقيها بارعا فاضلا ولى نظر الأحباس بالقاهرة و وكالة بيت المال و عدّة وظائف دينيّة- رحمه اللّه تعالى.

و توفّى الأمير سيف الدين بلبان بن عبد اللّه السّيفى الناصرى الأستادار و أحد أمراء المقدّمين بالقاهرة، و كان من أعيان أمراء الديار المصرية و فيه شجاعة و مروءة و كرم. تغمّده اللّه برحمته.

و توفّى القاضى شمس الدين أبو عبد اللّه محمد بن عيسى [بن عيسى] بن محمد ابن عبد الوهاب بن ذؤيب الآمدى الدمشقىّ الشافعىّ المعروف بابن قاضى شهبة- رحمه اللّه- كان إماما بارعا أديبا ماهرا باشر الخطابة بمدينة غزّة سنين، ثم كتب الإنشاء بدمشق و كان له

نظم و نثر و خطب.

و توفّى الشيخ شمس الدين محمد بن مجد الدين عيسى بن محمود [بن عبد اللطيف البعلبكى] المعروف بابن المجد الموسوى فى سلخ صفر، و كان فقيها فاضلا إلا أنه كان غلب عليه الوسواس، حتى إنه كان فى بعض الأحيان يتوضّأ من فسقية الصالحية بين القصرين فلا يزال به وسواسه حتى يلقى نفسه فى الماء بثيابه.

و توفّى الفقيه الكاتب المنشئ كمال الدين أبو عبد اللّه محمد بن شرف الدين أحمد ابن يعقوب بن فضل بن طرخان الزينبىّ الجعفرىّ العباسىّ الدمشقىّ الشافعىّ بضواحى القاهرة. كان معدودا من الرؤساء الفضلاء الأدباء.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۱، ص: ۱۲

و توفّى الشيخ المعمّر المعتقد أبو العباس أحمد بن موسى الزرعىّ الحنبلىّ أحد الآمرين بالمعروف و الناهين عن المنكر فى المحرّم بمدينة حبراص من الشأم و كان قويا فى ذات اللّه جريئا على الملوك و السلاطين. أبطل عدّة مكوس و مظالم كثيرة و قدم إلى القاهرة أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون و له معه أمور يطول شرحها و كان يخاطب الملوك كما يخاطب بعض الحرافيش و له على ذلك قوّة و شدّة بأس. رحمه اللّه تعالى.

و توفّى الأمير سيف الدين برناق بن عبد اللّه نائب قلعة دمشق بها فى شعبان و كان مشكور السّيرة فى ولايته.

و توفّى قاضى الكرك محيى الدين أبو زكريّا يحيى بن عمر بن الزكىّ الشافعى- رحمه اللّه- فى أوائل ذى القعدة و هو معزول.

و توفّى قتيلا صاحب فاس من بلاد المغرب السلطان أبو سالم إبراهيم ابن السلطان أبى الحسن على بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المرينىّ فى ليلة الأربعاء ثامن عشر ذى القعدة- رحمه اللّه تعالى- و كان من أجلّ ملوك الغرب.

و توفّى الخواجا عزّ الدين حسين بن داود بن عبد السيّد بن علوان السّلامى التاجر فى شهر رجب بدمشق و قد حدّث و كان مثريا و خلّف مالا كبيرا.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم خمس أذرع و اثنتا عشرة إصبعا.

مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا و عشر أصابع. و اللّه أعلم.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۱، ص: ۱۳

[ما وقع من الحوادث سنة ۷۶۳]

السنة الثانية من سلطنة الملك المنصور محمد ابن الملك المظفر حاجّى على مصر و هى سنة ثلاث و ستين و سبعمائة.

فيها توفّى الشيخ الإمام العالم الخطيب شمس الدين أبو أمامة محمد بن على بن عبد الواحد بن يحيى بن عبد الرحيم الدّكّالى المصرى الشافعى الشهير بابن النقاش- رحمه اللّه تعالى- فى يوم الثلاثاء ثالث عشر شهر ربيع الأوّل و دفن آخر النهار بالقرب من باب البرقية خارج القاهرة عن ثلاث و أربعين سنة.

و كان إماما بارعا فصيحا مفوّها و له نظم و نثر و مواعيد. و خطب بجامع أصلم و درّس به و بالآنوكيّة و عمل عدّة مواعيد بالقاهرة و القدس و الشأم و اتّصل بالملك الناصر حسن و حظى عنده و هو الذى كان سببا لخراب بيت الهرماس الذى

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۱، ص: ۱۴

كان عمّره فى زيادة جامع الحاكم و ساعده فى ذلك العلّامة قاضى القضاة سراج الدين الهندىّ الحنفى و كان له نظم و نثر و خطب و من شعره قصيدته التى أوّلها:

[الكامل]

طرقت و قد نامت عيون الحسّد و توارت الرقباء غير الفرقد

و توفّى قاضى القضاة تاج الدين أبو عبد اللّه محمد ابن القاضى علم الدين محمد بن أبى بكر بن عيسى بن بدران السّعدى الإخنائى المالكىّ- رحمه اللّه- بالقاهرة، و كان فقيها فاضلا رئيسا ولى نظر الخزانة السلطانية ثم باشر الأحكام الشرعية إلى أن مات.

و توفّى الخليفة أمير المؤمنين المعتضد بالله أبو الفتح ثم أبو بكر ابن الخليفة المستكفى بالله أبى الربيع سليمان ابن الخليفة الحاكم بأمر اللّه أبى العباس أحمد بن الحسن بن

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۱، ص: ۱۵

أبى بكر بن على بن حسن ابن الخليفة الراشد بالله منصور ابن الخليفة المسترشد بالله الفضل ابن الخليفة المستظهر بالله أحمد ابن الخليفة المقتدى بالله عبيد اللّه ابن الأمير ذخيرة الدين محمد ابن الخليفة القائم بأمر اللّه عبد اللّه ابن الخليفة القادر بالله أحمد ابن الأمير إسحاق ابن الخليفة المقتدر بالله جعفر ابن الخليفة المعتضد بالله أحمد ابن الأمير الموفّق طلحة ابن الخليفة المتوكّل على اللّه جعفر ابن الخليفة المعتصم بالله محمد ابن الخليفة الرشيد بالله هارون ابن الخليفة المهدى محمد ابن الخليفة أبى جعفر المنصور عبد اللّه بن محمد بن على بن عبد اللّه بن عباس العباسى الهاشمى المصرى- رحمه اللّه- بالقاهرة فى ليلة الأربعاء ثامن عشر شهر جمادى الأولى و عهد بالخلافة لولده من بعده المتوكّل محمد.

و توفّى الأمير سيف الدين طاز بن عبد اللّه الناصرىّ المقدّم ذكره فى عدّة أماكن من تراجم أولاد الملك الناصر محمد بن قلاوون و هو بطّال بالقدس و كان من خواصّ الملك الناصر محمد ثم ترقّى بعد موته إلى أن صار مدبّر الديار المصرية.

ثم ولى نيابة حلب بعد أمور وقعت له ثم قبض عليه و حبس و سمل إلى أن أطلقه يلبغا فى أوائل سلطنة الملك المنصور محمد هذا و أرسله إلى القدس بطّالا فمات به و كان من الشجعان.

و توفّى القاضى أمين الدين محمد بن جمال الدين أحمد بن محمد بن محمد بن نصر اللّه المعروف بابن القلانسىّ التميمى الدّمشقى بها. كان أحد أعيان دمشق معدودا من الرؤساء، باشربها عدّة وظائف ثم ولى كتابة سرّ دمشق أخيرا، و كان فاضلا كاتبا.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۱، ص: ۱۶

و توفّى القاضى ناصر الدين محمد ابن الصاحب شرف الدين يعقوب بن عبد الكريم الحلبى الشافعى كاتب سرّ حلب ثم دمشق. ولد سنة سبع و سبعمائة بحلب و نشأ بها، و برع فى عدّة علوم و أذن له بالإفتاء و التدريس و ولى كتابة السّرّ و الإنشاء بحلب عوضا عن القاضى شهاب الدين ابن القطب و أضيف إليه قضاء العسكر بها. ثم نقل الى كتابة سرّ دمشق بعد وفاة تاج الدين بن الزين خضر، و كان ساكنا محتملا مداريا كثير الإحسان إلى الفقراء. و كان يكتب خطّا حسنا، و له نظم و نثر جيّد إلى الغاية و كان مستحضرا للفقه و أصوله و قواعد أصول الدين و المعانى و البيان و الهيئة و الطب و من شعره رحمه اللّه: [الرمل]

و كأنّ القطر فى ساجى الدّجى لؤلؤ رصّع ثوبا أسودا

فإذا جادت على الأرض غدا فضّة تشرق مع بعد المدى

و توفّى الأمير سيف الدين أينبك بن عبد اللّه أخو الأمير بكتمر الساقى و كان من جملة أمراء الطبلخانات.

و توفّى الأمير الطواشى صفىّ الدين جوهر الزّمرّدى بقوص فى شعبان و كان من أعيان الخدّام و له رياسة ضخمة.

و توفّى الشيخ الإمام العالم شمس الدين محمد بن مفلح بن محمد بن مفرّج الدمشقى الحنبلى بدمشق فى شهر رجب. و كان فقيها بارعا مصنّفا صنّف «كتاب الفروع» و هو مفيد جدّا و غيره.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۱، ص: ۱۷

و توفّى الشيخ المعتقد فتح الدين يحيى بن عبد اللّه بن مروان [بن عبد اللّه بن قمر] الفارقىّ الأصل الدمشقى الشافعى فى شهر ربيع الأوّل بدمشق و مولده بالقاهرة فى سنة اثنتين و سبعين و ستمائة- رحمه اللّه تعالى- و كان صالحا عالما صوفيّا.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ست أذرع سواء. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و إصبعان.

[ما وقع من الحوادث سنة ٧٦٤]

السنة الثالثة من سلطنة الملك المنصور محمد على مصر و هى سنة أربع و ستين و سبعمائة و هى التى خلع فيها الملك المنصور المذكور بابن عمه الأشرف شعبان بن حسين فى شعبان منها.

فيها كان الطاعون بالديار المصرية و البلاد الشامية و مات فيه خلق كثير، لكنه كان على كلّ حال أخفّ من الطاعون الأوّل الذى كان فى سنة تسع و أربعين و سبعمائة المقدّم ذكره.

و فيها توفّى الشيخ عماد الدين أبو عبد اللّه محمد بن الحسن بن على بن عمر القرشى الإسنائى الشافعى فى ثامن عشرين جمادى الآخرة و دفن خارج باب النصر من القاهرة. كان إماما عالما مفتيا مدرّسا.

و توفّى الشيخ سراج الدين أبو حفص عمر بن شرف الدين عيسى بن عمر البارينىّ الشافعى الحلبى بحلب عن ثلاث و ستين سنة و كان من الفقهاء الأفاضل- رحمه اللّه.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ١٨

و توفّى القاضى كمال الدين أبو العباس أحمد ابن القاضى تاج الدين محمد بن أحمد بن محمد بن عبد القاهر بن هبة اللّه بن عبد القاهر بن عبد الواحد بن هبة اللّه ابن طاهر بن يوسف الحلبى الشهير بابن النصيبى بحلب عن تسع و ستين سنة.

كان كاتبا بارعا سمع الحديث و حدث و علّق بخطه كثيرا، و باشر كتابة الإنشاء بحلب ثم ترك ذلك كلّه و لزم العزلة إلى أن مات.

و توفّى الصاحب تقىّ الدين سليمان بن علاء الدين علىّ بن عبد الرحيم بن أبى سالم بن مراجل الدّمشقى بدمشق و هو من أبناء الثمانين، و كان كاتبا رئيسا، ولى نظر الدولة بمصر، ثم ولى وزارة دمشق و نظر قلعتها و غير ذلك من الوظائف، و نقل فى عدّة خدم؛ و من إنشاده لوالده: [الطويل]

أ أحبابنا شوقى إليكم مضاعف و ذكركم عندى مع البعد وافر

و قلبى لمّا غبتم طار نحوكم و أعجب شىء واقع و هو طائر

و توفّى القاضى شمس الدين عبد اللّه بن شرف الدين يوسف بن عبد اللّه بن يوسف بن أبى السفّاح الحلبى بالقاهرة عن نيّف و خمسين سنة- رحمه اللّه- كان جليلا باشر كتابة الإنشاء بحلب و عدّة من الوظائف الديوانية و تنقّل فى الخدم و قال فى مرض موته: [الخفيف]

إن قضى اللّه موتتى و فراقى أحبّتى

فعليهم تأسّفى و إليهم تلفّتى

أو يكن حان مصرعى و تدانت منيّتى

رحم اللّه مسلّما زار قبرى و حفرتى

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ١٩

و توفّى الشيخ الإمام البارع الأديب المفتن صلاح الدين أبو الصفاء خليل ابن الأمير عز الدين أيبك بن عبد اللّه الألبكى الصّفدى الشاعر المشهور بدمشق فى ليلة الأحد عاشر شوّال. و مولده سنة ستّ و تسعين و ستمائة و كان إماما بارعا كاتبا ناظما ناثرا شاعرا. و ديوان شعره مشهور بأيدى الناس و هو من المكثرين.

و له مصنّفات كثيرة فى التاريخ و الأدب و البديع و غير ذلك و تاريخه المسمّى:

«الوافى بالوفيات» فى غاية الحسن وقفت عليه و انتقيته و نقلت منه أشياء كثيرة فى هذا المؤلّف و فى غيره، و له تاريخ آخر أصغر من هذا سمّاه «أعوان النصر فى أعيان العصر» فى عدّة مجلدات.

و قد استوعبنا من أحواله و شعره و مكاتباته نبذة كبيرة فى ترجمته فى تاريخنا «المنهل الصافى و المستوفى بعد الوافى» و تسميتى للتاريخ المذكور «و المستوفى بعد الوافى» إشارة لتاريخ الشيخ صلاح الدين هذا، لأنه سمّى تاريخه: «الوافى بالوفيات» إشارة على تاريخ ابن خلّكان أنه يوفّى بما أخلّ به ابن خلّكان، فلم يحصل له ذلك وسكت هو أيضا: عن خلائق فخشيت أنا أيضا أن أقول: «و المستوفى على الوافى» فيقع لى كما وقع له؛ فقلت: «و المستوفى بعد الوافى» انتهى.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۱، ص: ۲۰

قلت: و قد خرجنا عن المقصود و لنعود لترجمة الشيخ صلاح الدين و نذكر من مقطّعاته ما تعرف به طبقته بين الشعراء على سبيل الاختصار، فمن شعره بسندنا إليه: أنشدنا مسند عصره ابن الفرات الحنفىّ إجازة، أنشدنا الشيخ صلاح الدين خليل الصّفدىّ إجازة. [السريع]

المقلة السوداء أجفانها ترشق فى وسط فؤادى نبال

و تقطع الطّرق على سلوتى حتى حسبنا فى السّويدا رجال

قال- و له أيضا- رحمه اللّه تعالى: [الوافر]

محيّاه له حسن بديع غدا روض الخدود به مزهّر

و عارضه رأى تلك الحواشى مذهّبة فزمّكها و شعّر

و له- عفا اللّه عنه-: [البسيط]

بسهم ألحاظه رمانى فذبت من هجره و بينه

إن متّ مالى سواه خصم فإنه قاتلى بعينه

و قال: [المتقارب]

كئوس المدام تحبّ الصّفا فكن لتصاويرها مبطلا

و دعها سواذج من نقشها فأحسن ما ذهّبت بالطّلا

و له: [الطويل]

أقول له ما كان خدّك هكذا و لا الصّدغ حتى سال فى الشّفق الدّجى

فمن أين هذا الحسن و الظّرف قال لى تفتّح وردى و العذار تخرّجا

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۱، ص: ۲۱

و له: [الكامل]

أنفقت كنز مدائحى فى ثغره و جمعت فيه كلّ معنى شارد

و طلبت منه جزاء ذلك قبلة فأبى وراح تغزّلى فى البارد

و له: [المنسرح]

أفديه ساجى الجفون حين رنا أصاب منّى الحشا بسهمين

أعدمنى الرشد فى هواه و لا أفلح شئ يصاب بالعين

و له: [البسيط]

سألتم عن منام عينى و قد براه جفا و بين

و النوم قد غاب حين غبتم و لم تقع لى عليه عين

و توفّى الأمير بدر الدين حسين المنعوت بالملك الأمجد ابن السلطان الملك الناصر محمد ابن السلطان الملك المنصور قلاوون

بالقلعة فى ليلة السبت رابع شهر ربيع الآخر و هو آخر من بقى من أولاد الملك الناصر محمد بن قلاوون من الذكور، و هو والد السلطان الملك الأشرف شعبان بن حسين. و موته قبل سلطنة ولده الأشرف بنحو خمسة شهور و أيام و لو عاش لما كان يعدل عنه يلبغا إلى غيره. و كان حسين هذا حريصا على السلطنة فلم ينلها دون إخوته على أنه كان أمثل إخوته.

و توفّى الأمير سيف الدين بزدار الخليلىّ أمير شكار أحد مقدّمى الألوف بالديار المصرية بها، و كان من أعيان الأمراء؛ عرف بالشجاعة و الإقدام.

و توفّى شيخ القراءات مجد الدين أبو الفداء إسماعيل بن محمد بن يوسف بن محمد الكفتى فى نصف شعبان- رحمه اللّه- و كان إماما فى القراءات، تصدّى للإقراء سنين و انتفع الناس به.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٢٢

و توفّى السيد الشريف غياث الدين أبو إسحاق إبراهيم ابن الشريف صدر الدين حمزة العراقىّ والد الشريف مرتضى- تغمده اللّه تعالى- و كان رئيسا فاضلا نبيلا.

و توفّى الأمير سيف الدين جركس بن عبد اللّه النّوروزىّ أحد أمراء الطبلخانات بالقاهرة و كان من أعيان المماليك الناصرية.

و توفّى الشيخ المعتقد مسلم السلمى المقيم بجامع الفيلة - رحمه اللّه- كان صالحا مجاهدا عابدا قائما فى ذات اللّه تعالى و كان يجاهد بطرابلس الغرب و يقيم حاله و فقراءه من الغنائم. و له كرامات و مناقب، فمن ذلك كان عنده سبع ربّاه حتى صار بين فقرائه كالهرّ يدور البيوت: فلما مات الشيخ- رحمه اللّه- أخذه السّبّاعون فتوحّش عندهم إلى الغاية، حتى أبادهم و عجزوا عنه.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٢٣

و توفّى الأمير سيف الدين قطلوبغا بن عبد اللّه الأحمدى الناصرىّ نائب حلب بها، و كان من خواصّ الملك الناصر محمد بن قلاوون و ترقّى من بعده حتى صار أمير مائة و مقدّم ألف بديار مصر. ثم ولى حجوبية الحجّاب بها ثم أمير مجلس ثم ولى نيابة حلب فى أوائل سلطنة الملك المنصور محمد بن المظفّر حاجىّ صاحب الترجمة، فلم تطل مدّته بحلب و مات بها، و كان من الأماثل. رحمه اللّه تعالى.

و توفّى الطواشى صفىّ الدين جوهر بن عبد اللّه اللّالا. و كان من أعيان الخدّام، و له عزّ و وجاهة.

و توفّى خطيب دمشق جمال الدين أبو الثناء محمود بن محمد بن إبراهيم بن جملة فى يوم الاثنين العشرين من شهر رمضان، و كان فصيحا، مفوّها ولى خطابة دمشق سنين.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم لم يحرّر. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و أربع أصابع. و اللّه أعلم بالصواب.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٢٤

ذكر سلطنة الملك الأشرف شعبان بن حسين على مصر.

السلطان الملك الأشرف أبو المفاخر زين الدين شعبان ابن الملك الأمجد حسين ابن السلطان الملك الناصر محمد ابن السلطان الملك المنصور قلاوون. تسلطن باتفاق الأمير يلبغا العمرى و طيبغا الطويل مع الأمراء على سلطنته بعد خلع ابن عمه الملك المنصور محمد ابن الملك المظفّر حاجّى و هو السلطان الثانى و العشرون من ملوك الترك بالديار المصرية.

و لمّا اتفق الأمراء على سلطنته أحضر الخليفة المتوكّل على اللّه أبو عبد اللّه محمد و القضاة الأربعة و أفيض عليه الخلعة الخليفتيّة السوداء بالسلطنة و جلس على تخت الملك و عمره عشر سنين فى يوم الثلاثاء خامس عشر شعبان سنة أربع و ستين و سبعمائة من غير هرج فى المملكة و لا اضطراب فى الرعية، بل فى أقلّ من قليل وقع خلع المنصور و سلطنة الأشرف هذا و انتهى أمرهما و نزل الخليفة إلى داره و عليه التشريف و لم يعرف الناس ما وقع إلا بدقّ البشائر و المناداة باسمه و زيّنت القاهرة و تمّ أمره على أحسن الأحوال.

و مولد الأشرف هذا فى سنة أربع و خمسين و سبعمائة بقلعة الجبل. و استقرّ الأتابك يلبغا العمرى الخاصّكى مدبّر الممالك و معه

خجداشه الأمير طيبغا الطويل أمير سلاح على عادتهما و عند ما ثبت قواعد الملك الأشرف أرسل يلبغا بطلب الأمير على الماردينى نائب الشام إلى مصر فلمّا حضر أخلع عليه بنيابة السلطنة بديار مصر و تولّى عوضه نيابة دمشق الأمير منكلى بغا الشمسى نائب حلب و تولى نيابة حلب

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٢٥

عوضا عن الشمسىّ الأمير اشقتمر الماردينى و تولّى نيابة طرابلس عوضّا عن اشقتمر الأمير أزدمر الخازن نائب صفد و تولّى نيابة صفد عوضا عن أزدمر الخازن الأمير قشتمر المنصورى الذى كان نائبا بالديار المصرية لأمر وقع منه فى حقّ يلبغا العمرى الأتابكى و استقرّ الأمير أرغون الأحمدى الخازندار لا لا الملك الأشرف شعبان و استقرّ الأمير يعقوب شاه السّيفى [تابع] يلبغا اليحياوى خازندارا عوضا عن أرغون الأحمدى ثم استقرّ الأمير أرنبغا الخاصّكى فى نيابة غزّة عوضا عن تمان تمر العمرى بحكم وفاته. ثم ولى الأمير عمر شاه حاجب الحجاب نيابة حماة عوضا عن أيدمر الشيخى و استقر الشريف بكتمر فى ولاية القاهرة عوضا عن علاء الدين علىّ بن الكورانىّ بحكم استعفائه عنها. ثم استقرّ الأمير أحمد بن القشتمرى فى نيابة الكرك. ثم ورد الخبر بوقوع الوباء بمدينة حلب و أعمالها و أنه مات بها خلق كثير، و الأكثر فى الأطفال و الشبان.

ثم نزل السلطان الملك الأشرف شعبان إلى سرياقوس بعساكره على عادة الملوك.

ثم سمّر الأتابك يلبغا خادمين من خدّام السلطان الملك المنصور لكلام بلغه عنهما فشفع فيهما فخلّيا و نفيا إلى قوص.

ثم فى سنة خمس و سبعين أنعم على الأمير طيدمر البالسىّ بإمرة مائة و تقدمة ألف بالديار المصرية.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٢٦

ثم أخلع على الأمير أسن قجا بنيابة ملطية فى ثالث صفر و استقرّ الأمير عمر بن أرغون النائب فى نيابة صفد عوضا عن قشتمر المنصورى و حضر قشتمر المذكور الى مصر على إقطاع عمر بن أرغون المذكور و استقر الأمير طينال الماردينىّ نائب قلعة الجبل عوضا عن ألطنبغا الشمسى بحكم استعفائه. ثم أنعم على جماعة بإمرة طبلخاناه و هم تمربغا العمرىّ و محمد بن قمارى أمير شكار و ألطنبغا الأحمدىّ و آقبغا الصّفوىّ و أنعم أيضا على جماعة بإمرة عشرات و هم: إبراهيم بن صرغتمش و أرزمك من مصطفى و محمد بن قشتمر و آقبغا الجوهرى و طشتمر العلائىّ خازندار طيبغا الطويل و طاجار من عوض و آروس بغا الخليلىّ و رجب بن كلبك التركمانىّ.

ثم وقع الفناء فى هذه السنة فى البقر حتى هلك منها شئ كثير و أضرّ ذلك بحال الزرّاع.

ثم فى هذه السنة فتح الأمير منكلى بغا الشمسىّ نائب الشام باب كيسان، أحد أبواب دمشق بحضور أمراء الدوله و أعيان أهل دمشق، و ذلك بعد بروز المرسوم الشريف إليه بذلك و عقد عليه قنطرة كبيرة و مدّ له الى الطريق جسرا و عمّر هناك جامعا و كان هذا مغلقا من مدّة تزيد على مائتى سنة، كان سدّه الملك العادل نور الدين محمود الشهيد لأمر اقتضى ذلك، فيه مصلحة للإسلام.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٢٧

ثم رسم فى هذه السنة بإبطال الوكلاء المتصرفين فى أبواب القضاة. و فى هذا المعنى يقول الشيخ بدر الدين حسن بن حبيب، رحمه اللّه تعالى: [السريع]

يقول ذو الحقّ الذى عاله خصم ألدّ و لسان كليل

إن صيّروا أمر وكيلى سدّى فحسبى اللّه و نعم الوكيل

ثم استقرّ الأمير يعقوب شاه أمير آخور عوضا عن الأمير جرجى الإدريسىّ بحكم انتقال جرجى إلى نيابة حلب عوضا عن إشقتمر الماردينى.

ثم فى سنة ست و ستين و سبعمائة استقرّ الأمير قطلقتمر العلائىّ أمير جاندار فى نيابة صفد عوضا عن الأمير عمر بن أرغون النائب و

حضر عمر بن أرغون إلى مصر على إقطاع قطلقتمر المذكور فى سابع شهر رجب. ثم استقرّ الأمير عبد اللّه ابن بكتمر الحاجب أمير شكار عوضا عن الأمير ناصر الدين محمد بن ألجيبغا، و استقرّ أسندمر العلائى الحرفوش حاجبا عوضا عن عبد اللّه بن بكتمر المذكور. ثم أنعم السلطان على الأمير أسندمر المظفّرى بإمرة مائة و تقدمة ألف بالديار المصرية فى سلخ شهر رمضان. ثم أنعم على الأمير شعبان ابن الأتابك يلبغا العمرى بإمرة مائة و تقدمة ألف.

ثم استقرّ الأمير قشتمر المنصورىّ فى نيابة طرابلس، و استقرّ الأمير أزدمر الخازن فى نيابة صفد عوضا عن الأمير قطلقتمر العلائىّ.

ثم استقرّ الأمير ألطنبغا البشتكى فى نيابة غزة عوضا عن أرنبغا الكاملى بحكم وفاته.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٢٨

ثم أخلع على الأمير منجك اليوسفى باستقراره فى نيابة طرسوس بعد تلك الرتّب العالية من تحكمه لمّا ولى الوزر [بالديار المصرية] و نيابة طرابلس و الشام و قد تقدّم ذكر ذلك كلّه فى عدة أماكن، و إنما أردنا التعريف به هنا لما تقدّم له و لما هو آت. و كانت ولاية منجك اليوسفى لنيابة طرسوس عوضا عن قمارى أمير شكار بحكم وفاته فى سلخ ذى القعدة.

ثم أنعم السلطان على جماعة بإمرة طبلخاناه و هم: قطلوبغا البلبانىّ و كمشبغا الحموى أحد مماليك الأتابك يلبغا العمرىّ و آقبغا الجوهرى أحد اليلبغاويّة أيضا و على جماعة بإمرة عشرات و هم: سلجوق الرومى و أروس السّيفى بشتاك و سنقر السيفى أرقطاى ثم أنعم السلطان على الأمير ألجاى اليوسفى فى حادى عشرين شهر رجب بإمرة جاندار.

و فى هذه السنة و هى سنة ست و ستين و سبعمائة عزل قاضى القضاة عزّ الدّين عبد العزيز بن محمد بن جماعة نفسه من قضاء الديار المصرية فى سادس عشر جمادى الأولى و نزل إليه الأتابك يلبغا بنفسه الى بيته و سأله بعوده إلى المنصب فلم يقبل ذلك و أشار على يلبغا بتولية نائبه بهاء الدين أبى البقاء السّبكىّ فولى بهاء الدين قضاة الشافعية عوضه. ثم استقرّ قاضى القضاة جمال الدين محمود بن أحمد بن مسعود القونوىّ الحنفى قاضى قضاة دمشق بعد موت قاضى القضاة جمال الدين يوسف ابن أحمد الكفرىّ (بفتح الكاف).

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٢٩

و فى هذه السنة أسلم الصاحب شمس الدين المقسى و كان نصرانيا يباشر فى دواوين الأمراء، فلما أسلم استقرّ مستوفى المماليك السلطانية.

و فى سنة سبع و ستين و سبعمائة أخذت الفرنج مدينة إسكندرية فى يوم الجمعة ثالث عشرين المحرّم، و خبر ذلك أنه لمّا كان يوم الجمعة المذكور طرق الفرنج مدينة الاسكندرية على حين غفلة فى سبعين قطعة و معهم صاحب قبرس و عدّة الفرنج تزيد على ثلاثين ألفا و خرجوا من البحر المالح إلى برّ الإسكندرية فخرج أهلها إليهم فتقاتلوا فقتل من المسلمين نحو أربعة آلاف نفس و اقتحمت الفرنج الإسكندرية و أخذوها بالسيف و استمروا بها أربعة أيام و هم يقتلون و ينهبون و يأسرون و جاء الخبر بذلك إلى الأتابك يلبغا و كان السلطان بسرياقوس، فقام من وقته و رجع إلى القلعة و رسم للعساكر بالسفر إلى الإسكندرية، و صلّى السلطان الظّهر و ركب من يومه و معه الأتابك يلبغا و العساكر الإسلامية فى الحال و عدّوا النيل و جدّوا فى السّير من غير ترتيب و لا تعبية حتى وصلوا إلى الطّرانة و العساكر يتبع بعضها بعضا، فلمّا وصل السلطان إلى الطرّانة أرسل جاليشا من الأمراء أمامه فى خفية و هم قطلوبغا المنصورى و كوندك و خليل بن قوصون و جماعة من الطبلخانات و العشرات و غيرهم و جدّوا فى السير، و بينماهم فى ذلك جاء الخبر بأن العدوّ المخذول لمّا سمعوا بقدوم

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٣٠

السلطان تركوا الإسكندرية و هربوا، ففرح الناس بذلك، و رسم السلطان بعمارة ما تهدّم من الإسكندرية و إصلاح أسوارها و أخلع السلطان على الشريف بكتمر بنيابة الإسكندرية و أعطاه إمرة مائة و تقدمة ألف و بكتمر هذا هو أوّل نائب ولى نيابة الإسكندرية من النوّاب، و ما كانت أوّلا إلا ولاية، فمن يومئذ عظم قدر نوّابها و صار نائبها يسمى ملك الأمراء ثمّ أمر يلبغا فنودى بمصر و القاهرة بأن

البحّارة و النّفاطة كلّهم يحضرون إلى بيت الأتابك يلبغا للعرض و النّفقة ليسافروا فى المراكب التى تنشأ، و بدأ يلبغا فى عمارة المراكب و بعث مراسيم إلى سائر البلاد الشامية و الحلبية بإخراج جميع النجّار بن و كلّ من يعرف يمسك منشارا بيده، و لا يترك واحد منهم، و كلّهم يخرجون إلى جبل شغلان و هو جبل عظيم فيه أشجار كثيرة من الصّنوبر و القرو و نحو ذلك، و هذا الجبل بالقرب من مدينة أنطاكية، و أنهم يقطعون الألواح و ينشرون الأخشاب للمراكب و يحملونها إلى الديار المصرية، فامتثل نائب حلب ذلك و فعل ما أمر به و وقع الشروع فى عمل المراكب.

هذا، و قد ثقل على يلبغا وطاة خشداشه طيبغا الطويل فأراد أن يستبدّ بالأمر وحده و أخذ يلبغا يدبّر عليه فى الباطن. و لقد حكى لى بعض من رآهما قال:

كانا ينزلان من الخدمة السلطانية معا، فتقول العامّة: يا طويل حسّك من هذا القصير! فكان طيبغا يلتفت إلى يلبغا و يقول له و هو يضحك: ما يقولون هؤلاء! فيقول يلبغا: هذا شأن العامة يثيرون الفتن. انتهى.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١١، ص: ٣١

و استمرّ يلبغا على ذلك إلى أن خرج طيبغا الطويل إلى الصيد بالعبّاسة أرسل إليه يلبغا جماعة من مقدّمى الألوف و هم: أرغون الإسعردى الدّوادار و الأمير آروس المحمودى الأستادار و أرغون الأزقى و طيبغا العلائى حاجب الحجّاب و معهم تشريف له بنيابة دمشق فساروا حتى قدموا على طيبغا الطويل و أخبروه بما وقع فلما سمع طيبغا ذلك غضب و أبى قبول الخلعة. و خامر و اتّفق معه أرغون الإسعردى الدوادار و آروس المحمودىّ و هرب طيبغا العلائى و أرغون الأزقى و لحقا بالأتابك يلبغا و أعلماه بالخبر فركب يلبغا فى الحال و معه السلطان الملك الأشرف شعبان بالعساكر فى صبيحة اليوم المذكور و قد ساق طيبغا الطويل من العبّاسة حتى نزل بقبّة النصر خارج القاهرة ليأتيه من له عنده غرض، فوافاه يلبغا فى حال وصوله بالعساكر و قاتله فاقتتلا ساعة و انكسر طيبغا الطويل بمن معه و أمسك هو و أصحابه من الأمراء و هم أرغون الإسعردى و آروس المحمودى و كوندك أخو طيبغا الطويل و جركتمر السّيفى منجك و أرغون من عبد اللّه و جمق الشّيخونى و كليم أخو طيبغا الطويل و تلك أخو بيبغا الصالحى و آقبغا العمرى البالسى و جرجى ابن كوندك و أرزمك من مصطفى و طشتمر العلائى، و أرسلوا الجمع إلى سجن الإسكندرية، و أخذ يلبغا إقطاع ولدى طيبغا الطويل و هما: على و حمزة و كانا أميرى طبلخاناه.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١١، ص: ٣٢

ثم فى يوم الاثنين خامس عشرين شعبان من سنة سبع و ستين و سبعمائة، باست الأمراء الأرض للسلطان و يلبغا الأتابك معهم و طلبوا من السلطان الإفراج عن الأمراء المسجونين بثغر الإسكندرية المقدّم ذكرهم، فقبل السلطان شفاعتهم، و رسم بالإفراج عن طيبغا الطويل خاصة فأفرج عنه و رسم بسفره إلى القدس بطّالا، فسافر إلى القدس و أقام به إلى ما يأتى ذكره.

ثم بعد ذلك فى يوم عيد الفطر رسم السلطان بالإفراج عمن بقى فى الإسكندرية من أصحاب طيبغا الطويل، فأفرج عنهم و حضروا فأخرجوا إلى الشام متفرّقين بطّالين وصفا الوقت ليلبغا العمرىّ و صار هو المتكلّم فى الأمور من غير مشارك و السلطان الملك الأشرف شعبان معه آلة فى السلطنة، و أنعم يلبغا بإقطاعات أصحاب طيبغا الطويل على جماعة من أصحابه، فأنعم على الأمير أرغون بن بلبك الأزقىّ بتقدمة ألف، عوضا عن قطلوبغا المنصورىّ و أنعم على طيبغا العلائى السيفىّ بزلار بتقدمة ألف، عوضا عن ملكتمر المارديني بحكم وفاته، و أنعم على أينبك البدرىّ أمير آخور يلبغا العمرىّ بإمرة طبلخاناه و استقرّ أستادار أستاذه يلبغا.

ثم استقرّ الأمير إشقتمر المارديني المعزول عن نيابة حلب قبل تاريخه فى نيابة طرابلس، عوضا عن قشتمر المنصورىّ، و طلب قشتمر المذكور إلى مصر.

ثم استقرّ الأمير طيدمر البالسى أمير سلاح عوضا عن طيبغا الطويل فى سابع جمادى الأولى. ثم استقرّ طيبغا الأبوبكرىّ دوادارا كبيرا بإمرة طبلخاناه عوضا عن الإسعردى، فأقام دوادارا إلى حادى عشرين شعبان عزل بأمير بيبغا دوادار أمير على المارديني بإمرة طبلخاناه

أيضا.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١١، ص: ٣٣

ثم استقرّ الأمير أرغون طط رأس نوبة النّوب عوضا عن ملكتمر العمرى المارديني فى آخر جمادى الآخرة، و استقرّ أرغون الأزقى أستادارا عوضا عن آروس المحمودى و استقرّ يعقوب شاه أمير آخور مقدّم ألف و حاجبا ثانيا عوضا عن قطلوبغا المنصورى و استقرّ طقتمر الحسنى أمير آخور كبيرا عوضا عن يعقوب شاه المنتقل إلى الحجوبية الثانية و استقرّ قطلو شاه الشّعبانى أمير طبلخاناه و شادّ الشراب خاناه عوضا عن أرغون بن عبد الملك و استقرّ تمرقبا العمرى جوكندارا عوضا عن جركتمر السّيفى منجك و أنعم على آقبغا الأحمدى المعروف بالجلب بتقدمة ألف و على أسندمر الناصرى بتقدمة ألف أيضا، و كلاهما بالديار المصرية و استقرّ حسين [ابن على] بن الكورانى فى ولاية القاهرة و هذه أوّل ولايته.

ثم فرّق على جماعة كبيرة بإمرة طبلخانات و هم: طغيتمر العثمانى و آقبغا الجوهرى و فجماس السيفى طاز و ألطنبغا العزى و أرغون كتك العزى و قراتمر المحمدى، الشهابى هذا قراتمر، رأيته و قد شاخ و كان بطّالا يسكن بالقرب من الكبش بعد سنة عشرين و ثمانمائة. انتهى. و آروس بغا الكاملى و طاجار من عوض و آقبغا اليوسفى و ألطنبغا المارديني. و هو غير صاحب الجامع، ذاك متقدّم على هذا و رسلان الشيخونى و استقرّ حاجبا بإسكندرية على إمرة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١١، ص: ٣٤

طبلخاناه و علىّ بن قشتمر المنصورى و سودون القطلقتمرى و قطلوبغا الشعبانى و محمّد المهندس التّركمانى و على جماعة بعشرات، و هم: تنبك الأزقى و أرغون الأحمدى و طيبغا السيفى يلبغا و أرغون الأرغونى و سودون الشيخونى، و هو الذى صار نائب السلطنة فى دولة الملك الظاهر برقوق كما سيأتى ذكره.

و أزدمر العزى أبو ذقن و يونس العمرى و درت بغا البالسى و قرابغا الصّرغتمشى و طاز الحسينى و قرقماس الصرغتمشى و طيبغا العلائى و قمارى الجمالى.

ثم فى هذه السنة أبطل يلبغا المكوس من مكة و المدينة و رتّب عوض ذلك من بيت المال مائتى ألف و ستين ألفا.

ثم فى سنة ثمان و ستين طلب السلطان الأمير منكلى بغا الشمسى نائب الشام إلى الديار المصرية فلما حضره أكرمه و أخلع عليه بنيابة حلب عوضا عن جرجى الإدريسى لعجزه عن القيام بمصالح حلب مع التّركمان، فامتنع منكلى بغا من نيابة حلب كونه نائب دمشق، ثم ينتقل منها إلى نيابة حلب، فأضيف اليه أربعة آلاف نفر من عسكر دمشق لتكون منزلته أكبر من منزلة نائب دمشق؛ فأذعن عند ذلك و لبس الخلعة و توجه إلى حلب و تولّى نيابة دمشق عوضه الأمير آقتمر عبد الغنى حاجب الحجّاب بالديار المصرية و تولّى عوضه حجوبيّة الحجّاب طيبغا العلائى. و أما جرجى الإدريسى المعزول عن نيابة حلب فإنه ولى نيابة طرابلس بعد عزل منجك اليوسفى عنها.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١١، ص: ٣٥

و فى ثامن عشر شهر ربيع الأوّل من سنة ثمان و ستين المذكورة استقرّ أرغون الأزقى الأستادار فى نيابة غزّة عوضا عن ألطنبغا البشتكى. و فى الشهر أيضا استقرّ آقبغا الأحمدى المعروف بالجلب لالا السلطان الملك الأشرف عوضا عن أرغون الأحمدى بحكم نفيه إلى الشام لأمر اقتضى ذلك و نفى معه تمربغا العمرى.

ثم فى آخر الشهر المذكور أمسك الأتابك يلبغا الأمير الطواشى سابق الدين مثقالا الآنوكى مقدّم المماليك السلطانية و ضربه داخل القصر بقلعة الجبل ستمائة عصاة و نفاه إلى أسوان، و سبب ظهور كذبه له و ولّى مكانه مختار الدّمنهورى المعروف بشاذروان، و كان مقدّم الأوجاقية بباب السّلسلة، كلّ ذلك و العمل فى المراكب مستمرّ إلى أن كملت عمارة المراكب من الغربان و الطّرائد لحمل الغزاة و الخيول و كانوا نحو مائة غراب و طريدة، عمّرت فى أقلّ من سنة مع عدم الأخشاب و الأصناف يوم ذاك.

و بينما الناس فى ذلك قتل يلبغا العمرى بيد مماليكه فى واقعة كانت بينهم؛ و خبر ذلك أنه لمّا كان فى مستهل شهر ربيع الآخر نزل

السلطان من قلعة الجبل و عدّى إلى برّ الجيزة ليتوجه إلى الصّيد بالبحيرة بعد أن ألزم الأمراء أن يجعلوا- فى الشّهوانى التى نجز عملها برسم الغزاة- العدد و السلاح و الرجال على هيئة القتال

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۱، ص: ۳۶

لينظر السلطان و الناس ذلك، فامتثلوا الأمراء المرسوم الشريف و أشحنوا المراكب بالعدد و السلاح و الرجال الملبسة و ضربوا الطّبلخاناه بها و صارت فى أبهى زىّ و لعبوا بها فى البحر قدّام السلطان و الأتابك يلبغا و خرج الناس للتفرّج من كلّ فجّ، و كان يوم من الأيام المشهودة الذى لم ير مثله فى سالف الأعصار.

ثم سار السلطان و الأتابك و يلبغا بالعساكر من برّ الجيزة يريدون البحيرة حتى نزلوا فى ليلة الأربعاء سادس شهر ربيع الآخر من سنة ثمان و ستين و سبعمائة بالطرّانة و باتوا بها و كانت مماليك يلبغا قد نفرت قلوبهم منه لكثرة ظلمه و عسفه و تنوعه فى العذاب لهم على أدنى جرم، حتى إنه كان إذا غضب على مملوك ربما قطع لسانه فاتّفق جماعة من مماليك يلبغا تلك الليلة على قتله من غير أن يعلموا الملك الأشرف هذا بشىء من ذلك، و ركبوا عليه نصف الليل، و رءوسهم من الأمراء: آقبغا الأحمدى الجلب و أسندمر الناصرى و قجماس الطازى و تغرى برمش العلائى و آقبغا جاركس أمير سلاح و قرابغا الصّرغتمشى فى جماعة من أعيان اليلبغاويّة و لبسوا آلة الحرب و كبسوا فى الليل على يلبغا بخيمته بغتة و أرادوا قتله، فأحسّ بهم قبل وصولهم إليه، فركب فرس النّوبة بخواصّه من مماليكه و هرب تحت الليل و عدّى النيل إلى القاهرة و منع سائر المراكب أن يعدّوا بأحد و اجتمع عنده من الأمراء طيبغا حاجب الحجاب و أينبك البدرى أمير آخور و جماعة الأمراء المقيمين بالقاهرة، و أمّا مماليك يلبغا فإنهم لمّا علموا بأن أستاذهم نجا بنفسه و هرب، اشتدّ تخوّفهم من أنه إذا ظفر بهم بعد ذلك لا يبقى منهم أحدا، فاجتمعوا الجميع بمن انضاف إليهم من الأمراء و غيرهم و جاءوا إلى الملك الأشرف

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۱، ص: ۳۷

شعبان- تغمّده اللّه برحمته- و هو بمخيّمه أيضا بمنزله بالطّرّانة و كلّموه فى موافقتهم على قتال يلبغا فامتنع قليلا ثم أجاب لما فى نفسه من الحزازة من حجر يلبغا عليه، و عدم تصرّفه فى المملكة، و ركب بمماليكه و خاصّيكيته، فأخذوه و عادوا به إلى جهة القاهرة، و قد اجتمع عليه خلائق من مماليك يلبغا و عساكر مصر و ساروا حتى وصلوا إلى ساحل النيل ببولاق التّكرورى تجاه بولاق و الجزيرة الوسطى، فأقام الملك الأشرف ببولاق التّكرورى يوم الأربعاء و يوم الخميس و يوم الجمعة فلم يجدوا مراكب يعدّون فيها.

و أما يلبغا فإنه لمّا علم أنّ الملك الأشرف طاوع مماليكه و قرّبهم أنزل من قلعة الجبل سيّدى آنوك ابن الملك الأمجد حسين أخى الملك الأشرف شعبان و سلطنه و لقّبه بالملك المنصور و ذلك بمخيّمه بجزيرة أروى المعروفة بالجزيرة الوسطانية، تجاه بولاق التّكرورى حيث الملك الأشرف نازل بمماليك يلبغا بالبرّ الشرقىّ؛ و الأشرف بالبر الغربى، فسمّته العوامّ سلطان الجزيرة.

ثم فى يوم الجمعة حضر عند الأتابك يلبغا الأمير طغيتمر النظامىّ و الأمير أرغون ططر، فإنهما كانا يتصيّدان بالعباسة و انضافا بمن معهما إلى يلبغا فقوى أمره بهما و عدّى إليه أيضا جماعة من عند الملك الأشرف و هم الأمير قرابغا البدرى و الأمير يعقوب شاه و الأمير بيبغا العلائى الدّوادار و الأمير خليل بن قوصون و جماعة من

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۱، ص: ۳۸

مماليك يلبغا الذين أمّرهم: مثل آقبغا الجوهرى و كمشبغا الحموى و يلبغا شقير فى آخرين و اسمرّ الأتابك يلبغا و آنوك بجزيرة الوسطى و الملك الأشرف و مماليك يلبغا ببولاق التّكرورى، إلى أن حضر إلى الأشرف شخص يعرف [بمحمد] ابن بنت لبطة رئيس [شوانى] السلطان و جهّز للسلطان من الغربان التى عمزها برسم الغزاة نحو ثلاثين غرابا برجالها و كسّر بروقها، و جعلها مثل الفلاة لأجل التّعدية، قنزل فيها جماعة من الأمراء و من مماليك يلبغا ليعدوا فيها إلى الجزيرة فرمى عليهم يلبغا بمكاحل النّفط و صار هؤلاء يرمون على يلبغا بالسّهام فيردّونهم على أعقابهم و أخذ يلبغا و من معه يرمون أيضا النفط و النّشّاب، و الأشرفية لا يلتفتون الى ذلك، بل

يزيدون فى سبّ يلبغا و لعنه و قتاله، و أقاموا على ذلك الى عصر يوم السبت و قد قوى أمر الملك الأشرف و ضعف أمر يلبغا.

ثم اتّفق رأى عساكر الملك الأشرف على تعدية الملك الأشرف من الورّاق، فعدّى وقت العصر من الورّاق الى جزيرة الفيل و تتابعته عساكره، فلما صاروا

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٣٩

الجميع فى برّ القاهرة و بلغ ذلك يلبغا هرب الأمراء الذين كانوا مع يلبغا بأجمعهم و جاءوا إلى الملك الأشرف و قبّلوا الأرض بين يديه، فلمّا رأى يلبغا ذلك رجع إلى جهة القاهرة، و وقف بسوق الخيل من تحت قلعة الجبل، و لم يبق معه غير طيبغا حاجب الحجاب الذى كان أوّلا أستاداره فوقف يلبغا ساعة و رأى أمره فى إدبار، فنزل عن فرسه بسوق الخيل تجاه باب الميدان و صلّى العصر و حلّ سيفه و أعطاه للأمير طيبغا الحاجب، ثم نزل و قصد بيته بالكبش فرجمته العوامّ من رأس سويقة منعم الى أن وصل حيث اتّجه و سار الملك الأشرف شعبان بعساكره، حتى طلع إلى قلعة الجبل فى آخر نهار السبت المذكور، و أرسل جماعة من الأمراء إلى يلبغا فأخذوه من بيته و معه طيبغا الحاجب و طلعوا به إلى القلعة، بعد المغرب فسجن بها إلى بعد عشاء الآخرة من اليوم المذكور فلمّا أذّن للعشاء جاء جماعة من مماليك يلبغا مع بعض الأمراء و أخذوا يلبغا من سجنه و أنزلوه من القلعة فلما صار بحدرة القلعة أحضروا له فرسا ليركبه، فلما أراد الركوب ضربه مملوك من مماليكه يسمّى

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٤٠

قراتمر فأرمى رأسه ثم نزلوا عليه بالسيوف حتى هبّروه تهبيرا و أخذوا رأسه و جعلوها فى مشعل [النار] إلى أن انقطع الدم فلمّا رآه بعضهم أنكره و قال: أخفيتموه و هذه رأس غيره فرفعوه من المشعل و مسحوه ليعرفوه أنه رأس يلبغا بسلعة كانت خلف أذنه فعند ذلك تحقّق كلّ أحد بقتله، و أخذوا جثته فغيبوها بين العروستين، فجاء الأمير ظشتمر الدوادار فأخذ الرأس منهم فى الليل و استقصى على الجثّة حتى أخذها و حطّ الرأس على الجثّة و غسّلها و كفّنها و صلّى عليه فى الليل و دفنه بتربته التى أنشأها بالصحراء بالقرب من تربة خوند طغاى أمّ آنوك زوجة الناصر محمد ابن قلاوون. و فيه يقول بعض الشعراء [مخلع البسيط]:

بدا شقا يلبغا و عدّت عداه فى سفنه إليه

و الكبش لم يفده و أضحت تنوح غربانه عليه

قلت: لا جرم أنّ اللّه سبحابه و تعالى عامل يلبغا هذا من جنس فعله بأستاذه الملك الناصر حسن فسلّط عليه مماليكه فقتلوه كما قتل هو أستاذه الناصر حسنا، فالقصاص قريب و الجزاء من جنس العمل.

و لما أصبح نهار الأحد عاشر شهر ربيع الآخر و هو صبيحة ليلة قتل فيها يلبغا العمرىّ الخاصّكى المقدّم ذكره طلع جميع الأمراء إلى القلعة و استقرّ الأمير طغيتمر النّظامىّ هو المتحدّث فى حلّ المملكة و عقدها و معه آقبغا جلب الأحمدىّ و أسندمر

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٤١

الناصرىّ و قجماس الطازىّ و قبضوا من الأمراء على تمربغا البدرىّ و يعقوب شاه و بيبغا العلائىّ الدوادار و قيّدوا و أرسلوا عشيّة النهار إلى الإسكندرية و رسم للامير خليل بن قوصون أن يلزم بيته بطالا.

و فى يوم الاثنين حادى عشرة استقرّ قشتمر المنصورىّ حاجب الحجاب عوضا عن طيبغا العلائىّ و استقرّ أيدمر الشامىّ دودارا بإمرة مائة و تقدمة ألف و ناظر الأحباس و لم يعلم قبله دوادار أمير مائة و مقدّم ألف. ثم قبض على جماعة من الأمراء و هم: أزدمر العزّىّ و آقبغا الجوهرىّ و أرغون كتك العزّىّ أيضا و أرغون الأرغونىّ و يونس الرمّاح العمرىّ و كمشبغا الحموىّ و أرسلوا الجميع فى القيود إلى ثغر الإسكندرية فحبسوا بها. ثم استقرّ طيدمر البالسىّ أستادار العالية ثم أخلع على قجماس الطازىّ و استقرّ أمير سلاح عوضا عن طيدمر البالسىّ المنتقل إلى الأستادارية و أنعم على قرابغا الصّرغتمشىّ بتقدمة ألف دفعة واحدة من إمرة عشرة.

ثم فى العشرين من الشهر استقرّ أسنبغا القوصونىّ لالا السلطان، عوضا عن آقبغا جلب و استقرّ قراتمر المحمدىّ خازندارا، عوضا عن

تلكتمر المحمدىّ و حضر سابق الدين مثقال [الآنوكى] من قوص بطلب من السلطان و قبل الأرض و نزل إلى داره. و فى [يوم الخميس] ثانى [عشر] جمادى الأولى قبض على فخر الدين ماجد بن قرونة و سلّم لقرابغا [الصّرغتمشى] ليستخلص منه الأموال، و استقرّ عوضه فى الوزارة الصاحب جمال الدين عبد اللّه بن تاج الدين موسى بن أبى شاكر و أضيف إليه نظر الخاصّ أيضا و كان أوّلا صاحب ديوان يلبغا.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٤٢

و فى سادس عشر جمادى الأولى أعيد [الطواشى] سابق الدين مثقال إلى تقدمة المماليك السلطانية و صرف الدّمنهورىّ المعروف بشاذروان.

فى يوم الخميس سادس عشر شهر رجب قبض على قرابغا الصرغتمشىّ و عند ما قبض على قرابغا المذكور ركب الأمير تغرى برمش بالسلاح و معه عدّة من الأمراء و الخاصّكية فرسم السلطان بركوب الأمراء و الخاصّكية فركبوا فى الحال و قبضوا عليه و أمسكوا معه الأمير أينبك البدرىّ و إسحاق الرّجبىّ و قرابغا العزّى، و مقبل الرومىّ و أرسلوا إلى الإسكندرية. ثمّ أنعم السلطان على كلّ من قطلوبغا جركس و أقطاى بتقدمة ألف.

و من هذا الوقت أخذ أسندمر الناصرىّ فى التعاظم و انضمام الناس عليه فاتّفق جماعة من الأمراء العزّية مع طغيتمر النظامىّ و آقبغا جلب على قبض أسندمر و دبّروا عليه إلى أن كانت ليلة الأحد سابع شهر شوّال من سنة ثمان و ستين المذكورة ركبوا نصف الليل و ضربوا الكوسات و أنزلوا الملك الأشرف إلى الإصطبل السلطانىّ و قصدوا مسك أسندمر الناصرىّ و بعض مماليك يلبغا العمرىّ الأشرار و بلغ ذلك أسندمر، فمكث فى بيته إلى طلوع الشمس. ثمّ ركب من بيته بالكبش فإنّه كان سكن فيه بعد قتل بلبغا و توجّه بمن معه إلى قبّة النّصر و منها إلى

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٤٣

القرافة إلى باب الدّرفيل من وراء القلعة، فلم يفطن به الأمراء إلّا و هو تحت الطبلخاناه السلطانية من القلعة و كبس عليهم من الصّوة فهرب أكثر الأمراء و كان غالبهم قد استخدم عنده جماعة من مماليك يلبغا فلما رأى مماليك يلبغا أسندمر و من

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٤٤

معه من خشداشيتهم توجّهوا إليهم و تركوا أمراءهم. ثمّ خرج إلى أسندمر آقبغا جلب و طردوا الحاجب ابن أخى آل ملك فقوى أسندمر بهم على الأمراء و صدمهم صدمة هائلة كسرهم فيها كسرة شنيعة و هربوا الجميع إلّا ألجاى اليوسفىّ و أرغون طط فإنهما ثبتا و قاتلا- أسندمر و ليس معهما غير سبعين فارسا، فقاتلوا أسندمر و جماعته إلى قريب الظهر، فلم يرجع إليهما أحد من أصحابهما فانكسرا و انتصر أسندمر الناصرىّ عليهم و طلع إلى القلعة و قبّل الأرض بين يدى الملك الأشرف شعبان فأخلع عليه الأشرف باستقراره أتابكا و مدبّر المماليك كما كان يلبغا العمرىّ الخاصّكى.

ثم قبض أسندمر على جماعة من الأمراء و قيّدهم و أرسلوا إلى ثغر الإسكندرية فحبسوا بها و هم: ألجاى اليوسفىّ و طغيتمر النظامىّ و أيدمر الشامى و آقبغا جلب و قطلوبغا جركس و أقطاى و أرغون طط و قجماس الطازىّ و جميع هؤلاء مقدّمو ألوف.

ثم قبض على جماعة من الأمراء الطبلخانات و هم: طاجار من عوض و يلبغا شقير و قرابغا شادّ الأحواش و قرابغا الأحمدىّ و قطلوبغا الشعبانىّ و أيدمر الخطائىّ و تمراز الطازىّ و آسن الناصرىّ و قراتمر المحمدىّ.

ثم أصبح أسندمر فى يوم حادى عشر شوّال أنعم على جماعة من الأمراء و استقرّوا مقدّمى ألوف بالديار المصرية و أصحاب وظائف، فأخلع على أزدمر العزّىّ و استقرّ أمير مائة و مقدم ألف و أمير سلاح و استقرّ جركتمر السيفىّ منجك أمير مائة و مقدّم ألف و أمير مجلس و استقرّ ألطنبغا اليلبغاوىّ رأس نوبة النّوب من امرأة عشرة دفعة واحدة و استقرّ قطلقتمر العلائى أمير جاندار و استقرّ سلطان شاه أمير مائة و مقدّم ألف و حاجبا ثانيا و استقرّ بيرم العزّىّ دوادارا بتقدمة ألف و كان جنديّا قبل ذلك، فانعم عليه بإقطاع طغيتمر النظامىّ

و وظيفته و جميع

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۱، ص: ۴۵

موجوده و مماليكه و حواصله و أنعم على خليل بن قوصون بتقدمة ألف و على قبق العزّىّ بتقدمة ألف و على أرغون القشتمرى بتقدمة ألف و على محمد بن طيطق العلائىّ بتقدمة ألف.

ثم أنعم على جماعة بإمرة طبلخاناه و هم: بزلار العمرىّ و أرغون المحمدىّ الآنوكىّ الخازن و أرغون الأرغونىّ و محمد بن طقبغا الماجارى و باكيش السيفىّ يلبغا و آقبغا آص الشّيخونىّ و سودون الشيخونىّ و جلبان السّعدىّ و كبك الصّرغتمشى و إينال اليوسفىّ و كمشبغا الطازىّ و بكتمر العلمىّ و قمارى الجمالى و أرسلان خحا و مبارك الطازىّ و تلكتمر الكشلاوىّ و أسنبغا العزىّ و قطلوبغا الحموى و مأمور القلمطاوىّ.

ثم أنعم على جماعة بإمرة عشرات و هم: كزك الأرغونى و ألطنبغا المحمودى و قرأبغا الأحمدى، و هذا غير قرابغا الأحمدى الجلب و حاجىّ ملك بن شادى و على بن باكيش و رجب بن خضر و طيطق الرمّاح. ثم خلع على جماعة و استقرّت جوكندارية و هم: مبارك الطازى المقدّم ذكره و قرمش الصرغتمشى و إينال اليوسفى و أخلع على ملكتمر المحمدى و استقرّ خازندارا على عادته و بهادر الجمالى شادّ الدواوين، عوضا عن خليل بن عرّام بحكم انتقال ابن عرام إلى نيابة الإسكندرية و استقرّ أسندمر الزين فى نيابة طرابلس، عوضا عن اشقتمر المارديني و أمسك اشقتمر و حبس

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۱، ص: ۴۶

بالإسكندرية و استقر طيبغا الطويل الناصرى رفيق يلبغا العمرى الخاصكى المقدّم ذكره فى نيابة حماة و كان بطّالا بالقدس فى تاسع صفر، فلم تطل مدّته و قبض عليه منها فى ذى القعدة و اعتقل بالإسكندرية ثانيا، و تولّى نيابة حماة عمر شاه على عادته و استقرّ بيبغا القوصونى أمير آخور كبيرا، عوضا عن آقبغا الصّفوى بحكم وفاته، و أرسل الى الأمير منكلى بغا الشمسى نائب حلب خلعة الاستمرار. و قد كمل جامع منكلى بغا الذى أنشاه بحلب فى هذه السنة بقنسرين.

و استهلت سنة تسع و ستين و الملك الأشرف شعبان كالمحجور عليه مع أسندمر، غير أن اسمه السلطان، و خليفة الوقت المتوكّل على اللّه و أسندمر الناصرى أمير كبير أتابك العساكر و مدبّر المملكة و نائب السلطنة مع أمير علىّ المارديني آلة يتعاطى الأحكام لا غير، و نائب دمشق آقتمر عبد الغنىّ و نائب حلب منكلى بغا الشمسىّ و هو يومئذ يخشى شرّه و نائب طرابلس منجك اليوسفىّ و نائب حماة عمر

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۱، ص: ۴۷

شاه صاحب القنطرة على الخليج خارج القاهرة و نائب صفد أرغون الأزقى و استمرّ الأتابك أسندمر على ما هو عليه الى يوم الجمعة سادس صفر اتّفقت عليه مماليك يلبغا الأجلاب و ركبوا معهم الأمراء وقت صلاة الجمعة و دخلوا على أسندمر الناصرىّ و سألوه أن يمسك جماعة من الأمراء، فمسك أزدمر العزّىّ أمير سلاح و حركتمر المنجكىّ أمير مجلس و بيرم العزّىّ الدوادار الكبير و بيبغا القوصونىّ و الأمير آخور كبك الصرغتمشى الجوكندار و استمرّت المماليك لابسين السلاح، و أصبحوا يوم السبت و مسكوا خليل بن قوصون ثم أطلقوه و انكسرت الفتنة الى عشيّة النهار و هى ليلة الأحد و قالوا لأسندمر: نريد عزل الملك الأشرف، و كان أسندمر مفهورا معهم و بلغ الخبر الملك الأشرف، فأرسل فى الحال إلى [خليل] ابن قوصون فحضر و ركب الملك الأشرف و ركب ابن قوصون و مماليك الأشرف الجميع مع أستاذهم، و كانوا نحو المائتين لا غير، و كان الذين اجتمعوا من مماليك يلبغا فوق الألف و خمسمائة و ركب مع الملك الأشرف جماعة من الأمراء الكبار مثل أسنبغا ابن الأبوبكرىّ و قشتمر المنصورى فى آخرين و ضربت الكوسات و اجتمع على السلطان خلق كثير من العوامّ، و لمّا بلغ أسندمر الناصرىّ ركوب الملك الأشرف أخذ جماعة من مماليك يلبغا و طلع من خلف القلعة كما فعل أوّلا فى واقعة آقبغا الجلب و تقدّمت مماليك يلبغا و صدموا المماليك الأشرفية و تقاتلوا، و

بينما هم فى ذلك جاء أسندمر بمن معه من تحت الطبلخاناه كما فعل تلك المرة، فعلم به الأشرفية و الأمراء فمالوا عليه فكسروه أقبح كسرة و هرب أسندمر، ثم أمسك و تمزقت المماليك اليلبغاوية، فلما جيء للأشرف بأسندمر و حضر بين يديه شفعت فيه الأمراء

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۱، ص: ۴۸

الكبار، فأطلقه السلطان و رسم له أن يكون أتابكا على عادته و رسم له بالنزول الى بيته بالكبش و رسم للأمير خليل بن قوصون أن يكون شريكه فى الأتابكية، فنزل أسندمر الى بيته ليلة الاثنين و أرسل السلطان معه الأمير خليل بن قوصون صفة الترسيم و هو شريكه فى وظيفة الأتابكية ليحضره فى بكرة نهار الاثنين، فلمّا نزلا الى الكبش تحالفا و خامرا ثانيا على السلطان و اجتمع عند أسندمر و خليل بن قوصون فى تلك الليلة جماعة كبيرة من مماليك يلبغا و صاروا مع أسندمر كما كانوا أوّلا و أصبحا يوم الاثنين و ركبا الى سوق الخيل، فركب السلطان بمن معه من الأمراء.

و المماليك الأشرفية و غيرهم فالتقوا معهم و قاتلوهم و كسروهم و قتلوا جماعة كبيرة من مماليك يلبغا و هرب أسندمر و ابن قوصون و اشتغل مماليك السلطان و العوامّ بمسك مماليك يلبغا، يمسكونهم و يحضرونهم عرايا مكشّفى الرءوس و توجّه فرقة من السلطانية الى أسندمر و ابن قوصون فقبضوا عليهما و على ألطنبغا اليلبغاوىّ و جماعة أخر من الأمراء اليلبغاوية فقيّدوا و أرسلوا إلى سجن الإسكندرية.

و فى هذه الواقعة يقول الشيخ شهاب الدين أحمد بن العطّار: [البسيط]

هلال شعبان جهرا لاح فى صفر بالنصر حتى أرى عيدا بشعبان

و أهل كبش كأهل الفيل قد أخذوا رغما و ما انتطحت فى الكبش شاتان

ثم جلس الملك الأشرف شعبان فى الإيوان و بين يديه أكابر الأمراء، و رسم بتسمير جماعة من مماليك يلبغا نحو المائة و توسيطهم، و نفى جماعة منهم الى الشام و أخذ مال أسندمر و أنفق على مماليكه لكل واحد مائة دينار، و لكل واحد من غير مماليكه خمسون دينارا، و رسم للامير يلبغا المنصورى باستقراره أتابك العساكر هو

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۱، ص: ۴۹

و الأمير ملكتمر الخازندار، و أنعم على كل منهما بتقدمة ألف و أنعم على تلكتمر بن بركة بتقدمة ألف عوضا عن خليل بن قوصون، و كان ذلك فى سادس عشر صفر.

ثم أصبح السلطان من الغد فى يوم الثلاثاء سابع عشر صفر قبض على يلبغا المنصورىّ المذكور و رفيقه تلكتمر المحمدىّ لأنهما أرادا الإفراج عن مماليك يلبغا و قصد يلبغا المنصورىّ أن يسكن بالكبش فمسكهما الملك الأشرف و أرسلهما إلى الإسكندرية. ثم أرسل السلطان بطلب الأمير منكلى بغا الشمسىّ نائب حلب إلى الديار المصرية، فحضرها بعد مدّة و أخلع عليه السلطان خلعة النيابة بديار مصر، فأبى أن يكون نائبا، فأنعم عليه بتقدمة ألف و جعله أتابك العساكر و تولى نيابة حلب عوضه طيبغا الطويل، و كان أخرجه من سجن الإسكندرية قبل ذلك.

ثم زوّج السلطان أخته للأمير منكلى بغا الشمسى المذكور فتزوجها و أولدها بنتا تزوّجها الملك الظاهر برقوق و عاشت بعد الملك الظاهر الى أن ماتت فى سنة ثلاث و ثلاثين بقاعتها بخطّ الكعكيين من القاهرة، ثم رسم الملك الأشرف أن يفرج عن طغيتمر النظامى و أيدمر الخطائى و ألجاى اليوسفى و كانوا محبوسين بالإسكندرية فحضروا إلى بين يدى السلطان و قبّلوا الأرض بين يديه و خلع على

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۱، ص: ۵۰

بكتمر المؤمنى و استقرّ أمير آخور كبيرا بتقدمة ألف و هو صاحب المصلّاة و السبيل بالرّميلة ثم رسم السلطان بإحضار الأمير آقتمر عبد الغنى. فلما وصل آقتمر إلى مصر أخلع عليه السلطان باستقراره حاجب الحجّاب بالديار المصرية، و كان آقتمر هذا قد ولى نيابة السلطنة بالديار المصرية، قبل نيابة الشام و تولى نيابة دمشق بعده بيدمر الخوارزمىّ قليلا، ثم عزل و استقرّ عوضه فى نيابة دمشق

منجك اليوسفى نائب طرابلس و استقرّ فى نيابة طرابلس بعد منجك أيدمر الآنوكى.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١١، ص: ٥١

ثم أخلع السلطان على الأمير الأكز الكشلاوىّ باستقراره شادّ الدواوين، عوضا عن بهادر الجمالى. ثم أفرج عن الأمير أرغون طط و أخلع عليه و استقرّ أمير شكار بتقدمة ألف. ثم رسم باحضار قطلوبغا الشعبانى من الشام فحضر بعد مدّة.

[ثم فى ثامن عشر جمادى الآخرة استقرّ الأمير آقتمر الصاحبى دوادارا عوضا عن آقبغا بن عبد اللّه بإمرة طبلخاناة و استقرّ طغيتمر العثمانى شادّ الشراب خاناه و استقرّ بشتك العمرى رأس نوبة ثانيا].

ثم أخلع الملك الأشرف فى تاسع عشرين شهر رمضان على الأمير أرغون الأزقى باستقراره رأس نوبة كبيرا عوضا عن تلكتمر بن بركة و استقرّ تلكتمر المذكور أمير مجلس عوضا عن طغيتمر النظامى.

ثم استقرّ الأمير ألجاى اليوسفى أمير سلاح برانيّا عوضا عن أزدمر العزّى.

و استقرّ آقبغا بن عبد اللّه دوادارا كبيرا بإمرة طبلخاناه. ثم استقرّ الأكز أستادارا عوضا عن ألطنبغا بحكم وفاته.

و فى سابع شوّال استقرّ الأمير عمر بن أرغون النائب فى نيابة الكرك، عوضا عن ابن القشمرى و استقرّ طيدمر البالسىّ فى نيابة الإسكندرية، عوضا عن صلاح الدين خليل بن غرّام و استقرّ خليل بن عرّام حاجبا بثغر الإسكندرية. ثم استقرّ أيدمر الشيخى فى نيابة حماة عوضا عن عمر شاه، و أخلع على شمس الدين ابن المقسىّ باستقراره ناظر الخواص الشريفة بالقاهرة عوضا عن ابن أبى شاكر

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١١، ص: ٥٢

فى ثالث عشر ذى القعدة. و استقرّ العلامة سراج الدين عمر بن إسحاق الغزنوىّ الهندىّ الحنفىّ قاضى قضاة الحنفية بالديار المصرية، بعد موت قاضى القضاة جمال الدين التّركمانى و استقرّ الشيخ سراج عمر بن رسلان بن نصير بن صالح الكنانى البلقينى الشافعى فى قضاء دمشق عوضا عن قاضى القضاة تاج الدين عبد الوهاب السّبكىّ، فلم تطل مدّة البلقينى فى قضاء دمشق و عزل و أعيد تاج الدين السّبكى و استقرّ القاضى بدر الدين محمد ابن القاضى علاء الدين على ابن القاضى محيى الدين يحيى بن فضل اللّه العمرى فى كتابة السر بالديار المصرية بعد وفاة والده و استقرّ فتح الدين محمد بن الشهيد فى كتابة سرّ دمشق عوضا عن جمال الدين بن الأثير.

ثم وقع الوباء بالديار المصرية حتى بلغت عدّة الموتى فى اليوم أكثر من ألف نفس و أقام نحو الأربعة أشهر و ارتفع.

و فى هذه السنة أيضا و هى سنة تسع و ستين و سبعمائة قصدت الفرنج مدينة طرابلس الشام فى مائة و ثلاثين مركبا من الشوانى و القراقير و الغربان و الطرائد و صحبتهم صاحب قبرس و هو المقدّم ذكره عليهم و كان نائبها و أكثر عسكرها غائبين

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١١، ص: ٥٣

عنها، فاغتنمت الفرنج الفرصة و خرجوا من مراكبهم إلى الساحل فخرج لهم من طرابلس بقية عسكرها بجماعة من المسلمين فتراموا بالنّبال ثم اقتتلوا أشدّ قتال و تقهقر المسلمون و دخل المدينة طائفة من الفرنج فنهبوا بعض الأسواق. ثم إن المسلمين تلاحقوا و حصل بينهم و بين الفرنج، وقائع عديدة استشهد فيها من المسلمين نحو أربعين نفرا و قتل من الفرنج نحو الألف و ألقى اللّه تعالى الرّعب فى قلوب الفرنج فرجعوا خائبين.

و فى هذه السنة قوى أمر الملك الأشرف فى السلطنة و صار تدبير ملكه إليه يعزل و يولّى من غير مشورة الأمراء و صار فى الملك من غير منازع و لا معاند و حسنت سيرته و حبّته الرعية إلى الغاية و صار يقصد المقاصد الجميلة مما سيأتى ذكره.

ثم فى أوّل جمادى الآخرة عزل الأشرف أسنبغا بن الأبوبكرىّ عن نيابة حلب بالأمير قشتمر المنصورىّ. ثم قبض السلطان على أرغون العجمىّ الساقى أحد المماليك السلطانية بسبب أنه سرق أحجارا مثمّنة من الخزانة السلطانية و باعها على الفرنج، و فيها حجر يعرف بوجه الفرس فجاء به الفرنج الى منجك اليوسفى نائب الشام فعرفه و أرسله الى السلطان و أخبره بخبر أرغون العجمىّ و كيف باعه للفرنج فصفح السلطان عنه و نفاه الى الشام.

ثم فى يوم السبت العشرين من شهر رمضان نفى السلطان الأمير آقتمر الصاحبىّ الدوادار الكبير إلى الشام لأمر وقع بينه و بين الأمير ألجاى اليوسفىّ.

و فى تاسع عشر ذى القعدة أحضر الأمير بيدمر الخوارزمى المعزول عن نيابة الشام قبل تاريخه و أدخل الى قاعة الصاحب بقلعة الجبل و طلب منه ثلاثمائة ألف

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٥۴

دينار و كان متولّى أمره علىّ بن محمد بن كلبك التّركمانى فعصر يوم الثلاثاء حادى عشرين ذى القعدة، ثم أفرج عنه و نفى الى طرابلس بعد أن اخذ منه مائة ألف دينار.

ثم قدم الخبر على السلطان بقتل الأمير قشتمر المنصورىّ نائب حلب، و خبره أنه لما ولى نيابة حلب فى جمادى الآخرة من هذه السنة و توجّه إلى حلب فلم يقم بها إلا يسيرا و خرج منها و كبس أمير آل فضل بعربه مثل السلطان فركب العرب و قاتلته فقتل فى المعركة هو و ولده محمد بن قشتمر و كان الذى قتله حيّار أمير آل فضل و ولده نعير بن حيّار و كان ذلك يوم الجمعة خامس عشر ذى الحجة و لما بلغ الملك الأشرف عظم عليه و أرسل تقليدا للامير اشقتمر المارديني بنيابة حلب على يد الأمير قطلوبغا الشعبانى و عزل حيّارا عن إمرة العرب و ولّاها لزامل.

ثم أنعم الملك الأشرف فى هذه السنة على ألوف بتقادم و طبلخانات و عشرات، فممن أنعم عليهم بتقدمة ألف الأمير بهادر الجمالى و بشتك العمرى و ممن أنعم عليه بإمرة طبلخاناه صراى الإدريسى و بيبغا القوصونى و أحمد بن آقتمر عبد الغنى و أحمد بن قنغلى و خليل بن قمارى الحموى و طغيتمر الحسينى و حسين بن الكورانى و أرغون شاه الأشرفى.

و كان أمير الحاج فى هذه السنة بهادر الجمالى، و حجّت فى هذه السنة أيضا خوند بركة والدة السلطان الملك الأشرف صاحب الترجمة بتجمّل زائد و رخت عظيم و برك هائل و فى خدمتها من الأمراء الألوف بشتك العمرى و بهادر الجمالى

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ۵۵

أمير الحاج و مائة مملوك من المماليك السلطانية الخاصّكية و كان من جملة ما معها بدرب الحجاز كوسات و عصائب سلطانية و عدّة محفّات بأغطية زركش و عدّة محاير كثيرة بأفخر زينة و حمل معها أشياء كثيرة يطول الشرح فى ذكرها من ذلك: قطر جمال عليها مزروع خضر و غير ذلك و حجّت و عادت إلى الديار المصرية، بعد أن احتفل جميع أمراء الدولة إلى ملاقاتها، و لما وصلت إلى الفلعة أثلت على بهادر الجمالى فأخلع السلطان عليه.

ثم بعد مدّة فى يوم حادى عشرين المحرّم من سنة إحدى و سبعين و سبعمائة استقرّ به أمير آخور كبيرا عوضا عن الأمير بكتمر المؤمنى بعد موته و استقرّ الأمير تلكتمر [من بركة] أستادارا عوضا عن بهادر [الجمالى] المذكور و استقرّ أرغون شاه الأشرفى أمير مجلس عوضا عن تلكتمر المنتقل الى الأستادارية ثم نقل أرغون شاه المذكور بعد مدّة يسيرة من وظيفة أمير مجلس إلى وظيفة رأس نوبة النّوب، بعد موت بشتك العمرى و استقرّ أرغون [الأحمدى] اللّالا أمير مجلس عوضا عن أرغون شاه المذكور.

ثم أنعم السلطان على الأمير طينال المارديني بتقدمة ألف و على علم دار أيضا بتقدمة ألف و استقرّ أستادار العالية عوضا عن تلكتمر.

ثم فى سنة اثنتين و سبعين استقرّ الأمير طشتمر العلائى دوادارا كبيرا بإمرة طبلخاناه، انتقل إليها من الجندية عوضا عن منكوتمر من عبد الغنى و استقرّ يلبغا الناصرى اليلبغاوىّ خازندارا كبيرا، عوضا عن يعقوب شاه.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ۵۶

قلت: و الناصرى هذا هو صاحب الوقعة مع الملك الظاهر برقوق الآتى ذكرها فى ترجمة الظاهر المذكور.

ثم فى سنة ثلاث و سبعين عزل السلطان الأمير اشقتمر المارديني عن نيابة حلب بالأمير عز الدين أيدمر الدوادار.

قلت: و إشقتمر المارديني هذا و منجك اليوسفى نائب الشام و بيدمر الخوارزمى هؤلاء الثلاثة لا أعلم أحدا فى الدولة التركية ولى

ولايتهم من الأعمال و الوظائف و لا طال مكثه فى السعادة مثلهم على ما ذكرناه فيما مضى و ما سنذكره فيما يأتى إن شاء اللّه تعالى على أن اشقتمر هذا طال عمره فى السعادة حتى ولى نيابة الشام عن الملك الظاهر برقوق، و برقوق يومئذ فى خدمة منجك اليوسفى نائب الشام، و إلى الآن لم يتصل بخدمة السلطان و لا صار من جملة المماليك السلطانية و قد تقدّم أنّ اشقتمر ولى الأعمال الجليلة من سلطنة الملك الناصر حسن الأولى و كان يلبغا العمرى أستاذ برقوق يوم ذاك خاصّكيا، فانظر إلى تقلّبات هذا الدهر و نيل كلّ موعود بما وعد. انتهى.

و فى سنة ثلاث و سبعين المذكورة رسم السلطان الملك الأشرف أنّ الأشراف بالديار المصرية و البلاد الشامية كلّهم يسمون عمائمهم بعلامة خضراء بارزة للخاصّة و العامّة إجلالا لحقّهم و تعظيما لقدرهم ليقابلوا بالقبول و الإقبال و يمتازوا عن غيرهم من المسلمين، فوقع ذلك و لبسوا الأشراف العلائم الخضر، التى هى الآن مستمرّة على رءوسهم، فقال الأديب شمس الدين محمد بن إبراهيم الشهير بالمزيّن فى هذا المعنى: [الكامل]

أطراف تيجان أتت من سندس خضر كأعلام على الأشراف

و الأشرف السلطان خصّصهم بها شرفا لنعرفهم من الأطراف

و قال أيضا فى المعنى الشيخ شمس الدين محمد بن أحمد بن جابر الأندلسى: [الكامل]

جعلوا لأبناء الرّسول علامة إنّ العلامة شأن من لم يشهر

نور النّبوّة فى كريم وجوههم يغنى الشّريف عن الطّراز الأخضر

و قال أيضا فى المعنى الشيخ بدر الدين حسن بن حبيب الحلبى: [الرجز]

عمائم الأشراف قد تميّزت بخضرة رقّت و راقت منظرا

و هذه إشارة أنّ لهم فى جنّة الخلد لباسا أخضرا

و قال ولده أبو العزّ طاهر بن حسن بن حبيب فى المعنى أيضا: [الطويل]

ألا قل لمن يبغى ظهور سيادة تملّكها الزّهر الكرام بنو الزّهرا

لئن نصبوا للفخر أعلام خضرة فكم رفعوا للمجد ألوية حمرا

و قال الشيخ شهاب الدين بن أبى حجلة التّلمسانىّ الخنفى- تغمده اللّه تعالى- فى المعنى أيضا. [الطويل]

لآل رسول اللّه جاه و رفعة بها رفعت عنّا جميع النّوائب

و قد أصبحوا مثل الملوك برنكهم إذا ما بدوا للناس تحت العصائب

قلت: و بهذه الفعلة يدلّ على حسن اعتقاد الملك الأشرف المذكور فى آل بيت النبوّة و تعظيمه لهم؛ و لقد أحدث شيئا كان الدهر محتاجا إليه و لا ألهم اللّه تعالى الملوك ذلك من قبله؛ و للّه درّ القائل: «كم ترك الأوّل للآخر».

و فى أوّل سنة أربع و سبعين و سبعمائة استقرّ الأمير ألجاى اليوسفى أمير سلاح أتابك العساكر بالديار المصرية عوضا عن منكلى بغا الشمشى بحكم وفاته- إلى رحمة اللّه تعالى- و أخلع عليه أيضا بنظر البيمارستان المنصورىّ فعند ذلك عظم قدر

ألجاى المذكور من كونه زوج أمّ السلطان و صار أتابك العساكر، و بهذا استطال الجاى فى المملكة.

فإنّه قبل زواجه بأمّ السلطان خوند بركة كان من جملة الأمراء المقدّمين لا غير انتهى.

ثم أخلع السلطان على الأمير كجك من أرطق شاه باستقراره أمير سلّاح برانيّا عوضا عن ألجاى اليوسفى المذكور و استقرّ يلبغا الناصرىّ شادّ الشراب خاناه عوضا عن كجك و استقرّ تلكتمر الجمالى خازندارا عوضا عن يلبغا الناصرى.

ثم توجّه السلطان الى سرحة الأهرام بالجيزة و عاد بعد أيام و عند عوده الى قلعة الجبل أخلع على الطّواشى سابق الدين مثقال مقدّم المماليك السلطانية قباء حرير أزرق صاف بطرز زركش عريض أسوة بالأمراء الخاصّكية و هذا شىء لم يلبسه مقدّم قبله، و كان السلطان الملك الأشرف قبل ذلك قد استجدّ فى كلّ سنة عند طلوعه من هذه السّرحة و هى توجّه السلطان إلى ربيع الخيل أن يلبس الأمراء الخاصّكية مقدّمى الألوف أقبية حرير بفرو سمّور بأطواق سمّور بطرز زركش و الطّبلخانات و العشرات أقبية حرير بطرز زركش منها ما هو بفرو قاقم و منها ما هو بفرو سنجاب.

ثم بعد ذلك نزل السلطان فى يوم الثلاثاء سادس عشر ذى القعدة سنة أربع و سبعين و والدته معه و هى متمرّضة إلى الرّوضة تجاه مصر القديمة بمنظرة الأمير طشتمر الدّوادار، فاقام فيها يوم الثلاثاء و الأربعاء و صحبته جميع الأمراء و طلع يوم الخميس إلى القلعة و استمرّت أمّ السلطان متمرّضة الى أن ماتت فى ذى الحجّة و هى فى عصمة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١١، ص: ٥٩

الجامى اليوسفى و صلّى عليها ابنها السلطان الملك الأشرف و دفنت بمدرستها التى عمّرتها بخطّ التّبانة خارج القاهرة بالقرب من باب الوزير و وجد عليها ولدها الملك الأشرف وجدا عظيما، لأنها كانت من خيار نساء عصرها دينا و خيرّا و صدقة و معروفا.

و من الاتفاق العجيب بعد موتها البيتان اللذان عملهما الأديب شهاب الدين السعدىّ الأعرج و تفاعل بهما على ألجاى اليوسفىّ و هما: [الكامل]

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١١، ص: ٦٠

فى مستهلّ العشر من ذى الحجة كانت صبيحة موت أمّ الأشرف

فاللّه يرحمها و يعظم أجره و يكون فى عاشور موت اليوسفى

فكان الأمر على ما ذكر، و هذا من الاتفاق الغريب و هو أنه لمّا ماتت خوند بركة المذكورة، و استهلت سنة خمس و سبعين وقع بين الملك الأشرف و بين زوج أمّه ألجاى اليوسفى كلام من أجل التّركة المتعلقة بخوند بركة المذكورة و كان ذلك يوم الثلاثاء سادس المحرّم من السنة المذكورة، و كثر الكلام بين السلطان و بين ألجاى اليوسفى حتى غضب ألجاى و خرج عن طاعة المك الأشرف و لبس هو و مماليكه آلة الحرب و لبست مماليك السلطان أيضا و ركب السلطان بمن معه من أمرائه و خاصّكيته.

و باتوا الليلة لابسين السّلاح إلى الصّباح، فلما كان نهار الأربعاء سابع المحرّم كان الوقعة بين الملك الأشرف شعبان و بين زوج أمّة الأتابك ألجاى اليوسفى فتواقعوا إحدى عشرة مرة و عظم القتال بينهما حتى كانت الوقعة الحادية عشرة انكسر فيها ألجاى اليوسفى و انهزم إلى بركة الحبش.

ثم تراجع أمره و عاد بمن معه من على الجبل الأحمر إلى قبّة النّصر، فطلبه السلطان الملك الأشرف فأبى فأرسل إليه خلعة بنيابة حماة فقال: أنا أروح بشرط أن يكون كلّ ما أملكه و جميع مماليكى معى، فأبى السلطان ذلك و باتوا تلك الليلة فهرب جماعة من مماليك ألجاى فى الليل و جاءوا إلى الملك الأشرف.

فلما كان صباح يوم الخميس ثامن المحرّم أرسل السلطان الأمراء و الخاصّكية و مماليك أولاده و بعض المماليك السلطانية إلى قبّة النصر إلى حيث ألجاى، فلمّا

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١١، ص: ٦١

رآهم ألجاى هرب فساقوا خلفه إلى الخرقانية، فلما رأى ألجاى أنه مدرك رمى بنفسه و فرسه إلى البحر؛ ظنّا أنه يعدّى به إلى ذلك البرّ؛ و كان ألجاى عوّاما فثقل عليه لبسه و قماشه فغرق فى البحر و خرج فرسه و بلغ الخبر السلطان الملك الأشرف فشقّ عليه موته و تأسّف عليه. ثم أمر بإخراجه من النيل فنزل الغوّاصون و طلعوا به و أحضروه إلى القلعة فى يوم الجمعة تاسع المحرّم فى تابوت و تحته لبّاد أحمر فغسّل و كفّن و صلّى عليه الشيخ جلال الدين التّبانى و دفن فى القبّة التى أنشأها بمدرسته برأس سويقة العزّى خارج القاهرة

و المدرسة معروفة و بها خطبة. و كان الجاى من أجلّ الأمراء و أحسنها سيرة.

ثم قبض السلطان على مماليك ألجاى و نودى بالمدينة أنّ كل من لقى أحدا منهم يحضره إلى السلطان و يأخذ له خلعة. ثم أخذ السلطان أولاد ألجاى و هم إخوته

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٦٢

لأمّه و رتب لهم ما يكفيهم و احتاط على سائر موجود ألجاى و أخذ جميع مماليكه و صفح عنهم و جعلهم فى خدمة ولديه: أمير علىّ و أمير حاج.

ثم قبض السلطان على جماعة من الأمراء ممن كان يلوذ بالأمير ألجاى و هم صراى العلائىّ و سلطان شاه بن قراجا و طقتمر الحسنى و علىّ بن كلبك و صادره.

ثم أمسك بيبغا القوصونى و خليل بن قمارى الحموى فشفع فيهما الأمير طشتمر الدوادار.

ثم فى آخر صفر رسم السلطان بنفى جماعة إلى البلاد الشامية، و هم محمد شاه دوادار ألجاى و خليل بن عرّام المعزول عن نيابة الإسكندرية و علىّ بن كلبك و آقبغا البشمقدار خازندار ألجاى و كان السلطان فى تاسع الحرّم رسم لبورى الحلبى الخازندار أن يتوجّه الى طرابلس لإحضار نائبها الأمير عزّ الدين أيدمر الدوادار الناصرى الى مصر، فتوجّه بورى اليه و أحضره، فلّما مثل بين يدى السلطان أخلع عليه باستقراره بأتابك العساكر بالديار المصرية، عوضا عن ألجاى اليوسفى و تولّى عوضه نائب طرابلس الأمير يعقوب شاه، و بعد موت ألجاى أنعم السلطان على جماعة من الأمراء بإقطاعات و وظائف فأخلع على الأمير صرغتمش الأشرفى باستقراره أمير سلاح خاصّكيا يجلس بالإيوان فى دار العدل و استقرّ ارغون الأحمدى الّالا أمير كبير برانيّا و أجلس بالإيوان، قاله العينى فى تاريخه و وافقه غيره.

قلت: فيكون على هذا الحكم تلك الأيام أمير كبير خاصّ و أمير كبير برّانى و أمير سلاح خاص و أمير سلاح برّانى و هذا شىء لم يسمع بمثله. انتهى

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٦٣

ثم أنعم السلطان على قطلوبغا الشعبانى بتقدمة ألف و استقرّ رأس نوبة ثانيا.

قلت: و هذه الوظيفة الآن هى وظيفة رأس نوبة النّوب و رأس نوبة نوب تلك الأيام قد بطلت من الدولة الناصرية فرج بن برقوق. و كانت تسمى رأس نوبة الأمراء و آخر من وليها آقبای الطّرنطاوى الحاجب.

ثم أخلع على جماعة و أنعم عليهم بإمرة طبلخانات و هم: أحمد بن يلبغا العمرى الخاصّكى و آقتمر الصاحبى و تمربای الحسنى و إينال اليوسفى و على بن بهادر الجمالى و بلّوط الصّرغتمشى و مختار الطواشى الحسامى مقدّم الرّفرف.

قلت: و أيضا هذا شىء لم يسمع بمثله من أن يكون بعض خدّام الأطباق أمير طبلخاناه، و أغرب من ذلك أنّ مقدّم المماليك فى زماننا هذا إقطاعه إمرة عشرة ضعيفة. انتهى. و على ألجيبغا المحمدى و حاجى بك بن شادى. و أنعم على اثنين بعشرات و هم ألطنبغا من عبد الملك و طشتمر الصالحىّ.

ثم فى عاشر شهر ربيع الآخر استقرّ أحمد بن آل ملك فى نيابة غزة عوضا عن طشبغا المظفّرى و أنعم على مبارك الطّازى بتقدمة ألف و على سودون جركس المنجكى بتقدمة ألف و ارتجع السلطان من طينال المارديني تقدمته و أنعم عليه بإمرة طبلخاناة. ثم استقر منكلى بغا البلدى الأحمدى فى نيابة الكرك و استقر ناصر الدين محمّد بن آقبغا آص أستادارا بتقدمة ألف. ثم أنعم السلطان على ألطنبغا طوق العثمانى بتقدمة ألف و استقر أمير سلاح برانيا عوضا عن طيدمر البالسى و أنعم على

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة؛ ج ١١؛ ص ٦٣

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٦٤

طغيتمر اليلبغاوى الدوادار الثانى بإمرة طبلخاناه و هو أوّل من لبس الدوادارية الثانية. ثم نقل منكلى بغا البلدى من نيابة الكرك الى نيابة صفد و استقرّ آقتمر عبد الغنى النائب بديار مصر فى نيابة طرابلس و قد تقدّم أن آقتمر هذا كان ولى نيابة الشام سنين.

و فى رابع عشرين ذى القعدة استقرّ يلبغا الناصرى اليلبغاوى صاحب الوقعة مع برقوق الآنى ذكرها حاجبا ثانيا بإمرة مائة و تقدمة ألف.

ثم عزل السلطان سابق الدين مثقالا الآنوكى مقدّم المماليك و أمره أن يلزم بيته و استقرّ عوضه فى تقدمة المماليك الطواشى مختار الحسامى مقدّم الرّفرف المقدّم ذكره.

ثم ندب السلطان الأمير يلبغا الناصرى للسفر الى دمشق لإحضار نائبها الأمير منجك اليوسفى فسار من وقته الى أن وصل الى دمشق و أحضر الأمير منجك المذكور، و وصل منجك الى الديار المصرية و صحبته أولاده و مملوكه جركتمر و صهره آروس المحمودى بعد أن احتفل أهل الدولة لملاقاته و خرجت اليه الأمراء الى بين الحوضين خارج قبّة النصر و طلع الى القلعة من باب السرّ و سائر الأمراء و الخاصّكيّة مشاة بين يديه فى ركابه، مثل أيدمر الدوادار و من دونه بإشارة السلطان، فلما

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٦٥

دخل منجك على السلطان و قبّل الأرض أقبل عليه السلطان إقبالا كليّا و خلع عليه باستقراره نائب السلطنة بالديار المصرية خاصّكيّا عوضا عن آقتمر عبد الغنى المنتقل الى نيابة طرابلس و فوّض اليه السلطان النظر فى الأحباس و الأوقاف و النظر فى الوزارة، فإنه كان وليها بعد موت أستاذه الملك الناصر محمد بن قلاوون كما تقدّم ذكره و النظر على ناظر الخاص و قرئ تقليده بالإيوان، و أن السلطان أقامه مقام نفسه فى كل شىء و فوّض إليه سائر أمور المملكة، و أنه يخرج الإقطاعات التى عبرتها سبعمائة دينار إلى ما دونها، و أنه يعزل من شاء من أرباب الدولة، و أنه يخرج الطبلخانات و العشرات بسائر المماليك الشامية، و رسم للوزير أن يجلس قدّامه فى الدركاه مع الموقّعين.

ثم بدأ الغلاء بالديار المصرية فى هذه السنة و تزايد سعر القمح إلى أن أبيع بتسعين درهما الإردب، و زاد النيل بعد أن نقص فى شهرها تور، و هذا أيضا من الغرائب، و هذه السنة تسمى سنة الشراقىّ كما سنبينه فى حوادث السنين من سلطنة الملك الأشرف هذا.

ثم فى أوّل سنة ست و سبعين عزل السلطان الأمير آقتمر عبد الغنى عن نيابة طرابلس بالأمير منكلى بغا البلدى نائب صفد و ولّاه نيابة صفد.

قلت: درجة إلى أسفل.

ثم مرض الأمير منجك اليوسفىّ النائب فنزل السلطان لعيادته، ففرش منجك تحت رجلى فرسه الشّقق الحرير و قدّم له عشرة مماليك و عشرة بقج و عدّة خيول فقبلها السلطان ثم أنعم بها عليه، و كان ذلك فى يوم الثلاثاء سابع عشرين ذى الحجة و مات منجك بعد يومين.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٦٦

ثم ورد الخبر على السلطان بأن القان حسين ابن الشيخ أويس ابن الشيخ حسن بن حسين بن آقبغا بن أيلكان، تولى مملكة تبريز و بغداد بعد وفاة أبيه.

و فى هذه السنة فتحت سيس - و هى كرسى الأرمن- على يد الأمير اشقتمر المارديني نائب حلب، بعد أن نازلها مدّة ثلاثة شهور حتى فتحها و انقرضت منها دولة الأرمن- و للّه الحمد- فدقّت البشائر لذلك و فرح الملك الأشرف فرحا عظيما بهذا الفتح العظيم.

و فى هذه السنة- أيضا و هى سنة ست و سبعين المذكورة- وقع الفناء بالديار المصرية من نصف جمادى الآخرة و تزايد فى شعبان، ثم فى شهر رمضان حتّى صار يموت فى كلّ يوم من الحشريّة نحو خمسمائة نفس و من الطّرحى نحو الألف، فأبيع كلّ فرّوج بخمسة و أربعين درهما، و كل سفرجلة بخمسين درهما، و كل رمّانة بعشرة دراهم، و العشرة دراهم يوم ذاك كانت أزيد من نصف دينار، و كل رمّانة حلوة بستة عشر درهما، و كلّ بطيخة صيفية بسبعين درهما.

و لما توفّى منجك شغرت نيابة السلطنة بديار مصر الى العشرين من شهر ربيع الأوّل استقرّ فيها الأمير آقتمر الصاحبى الحنبلى.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۱، ص: ۶۷

و فى محرّم سنة سبع و سبعين ختن السلطان أولاده و عمل المهمّ سبعة أيام.

و فى العشر الأوسط من صفر هذه السنة ابتدأ الملك الأشرف بعمارة مدرسته التى أنشأها بالصوه تجاه الطبلخاناة السلطانية التى موضعها الآن بيمارستان الملك المؤيد شيخ و هو كلا شيء، فاشترى الملك الأشرف بيت الأمير شمس الدين سنقر الجمالى و شرع فى هدمه.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۱، ص: ۶۸

و فى هذه السنة تزايد الغلاء بالبلاد الشامية، حتى جاوز الحدّ و جعل الغنى فقيرا، و أبيع فيه الرطل الخبز بدرهمين، و فى هذا المعنى يقول بدر الدين بن حبيب: [الخفيف]

لا تقيمن بى على حلب الشّه باء و ارحل فأخضر العيش أدهم

كيف لى بالمقام و الخبز فيها كلّ رطل بدرهمين و درهم

و فى سنة ثمان و سبعين عزل السلطان الملك الأشرف آقتمر الصاحبىّ الحنبلىّ عن نيابة السلطنة بالديار المصرية و استقرّ به أتابك العساكر و عزل الأمير آقتمر عبد الغنىّ عن نيابة صفد و استقرّ به أمير مائة و مقدّم ألف بالقاهرة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۱، ص: ۶۹

ثم فى العشرين من شهر ربيع الآخر غرقت الحسينية خارج القاهرة و خرب فيها أزيد من ألف بيت، و كان سبب هذا الغرق أنّ أحمد بن قايماز أستادار محمد ابن آقبغا آص استأجر مكانا خارج القاهرة بالقرب من آخر الحسينية و جعله بركة و فتح له مجرى من الخليج فتزايد الماء و غفلوا عنه فطفح على الحسينية فغرّقها فقبض السلطان بعد ذلك بمدّة على محمد بن آقبغا آص و صادره و عزله عن الأستادارية؛ هذا و السلطان فى تأهّب سفر الحجاز.

فلما كان يوم الأربعاء تاسع عشر شهر رمضان سفّر السلطان إخوته و أولاد أعمامه إلى الكرك صحبة الأمير سودون الفخرى الشيخونى ليقيم عندهم بالكرك مدّة غيبة السلطان فى الحجاز، كلّ ذلك و السلطان متضعّف و حركة الحجاز عمّالة و حواشيه و خواصّه ينهونه عن السفر فى هذه السنة و هو لا يلتفت إلى كلامهم.

ثم توجه السلطان الى سرياقوس على عادته فى كل سنة و عاد و قد نصل عن ضعفه إلى يوم السبت الثانى عشر من شوّال خرجت أطلاب الأمراء المتوجّهين صحبة السلطان إلى الحجاز.

و فى الأحد ثالث عشر خرج السلطان بتجمّل زائد و طلب عظيم إلى الغاية جرّ فيه عشرون قطارا من الهجن الخاص بقماش ذهب و خمسة عشر قطارا بقماش حرير و قطار واحد بلبس خليفتىّ و قطار آخر بلبس أبيض برسم الإحرام و مائة فرس ملبسة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۱، ص: ۷۰

و كجاوتان بأغشية زركش و تسع محفّات، غشاء خمس منهن زركش و ستة و أربعون زوجا من المحاير و خزانة عشرون جملا و قطاران من الجمال محمّلة خضر مزروعة كالبقل و الشّمار و النّعناع و السلق و الكسبرة و غير ذلك. و أما أحمال المطاعم و المشارب و المآكل فلا تدخل تحت حصر كثرة: منها ثلاثون ألف علبة حلاوة فى كل علبة خمسة أرطال كلّها معمولة من السكر المكرر المصرىّ و طيّبت بمائة مثقال مسك، سوى الصّندل و العود؛ هذا خلاف ما كان للأمراء و الخاصّكية و إنما كان هذا للسلطان خاصّة نفسه و أشياء من هذا النّموذج كثيرة و مع هذا كلّه لم يتغيّر سعر السكّر بمصر.

و سار السلطان بأمرائه فى أبّهة عظيمة حتى نزل سرياقوس فاقام بها يوما، و فى هذا اليوم أخلع السلطان على الشيخ ضياء الدين القرمى الحنفىّ باستقراره شيخ شيوخ المدرسة التى أنشأها بالصّوّة و قد أشرفت على الفراغ و جاءت من أحسن البناء.

ثم رحل السلطان من سرياقوس حتى نزل بالبركة على عادة الحجّاج فأقام بها إلى يوم الثلاثاء ثانى عشرين شوّال و رحل بعساكره و أمرائه إلى جهة الحجاز و كان الذى صحبه من أمراء الألوف تسعة و هم: الأمير صرغتمش الأشرفى و أرغون شاه الأشرفى و يلبغا الشامىّ و هؤلاء الثلاثة أشرفيّة مماليكه و الأمير بهادر الجمالىّ و صراى تمر المحمدىّ و طشتمر العلائى الدّوادار و مبارك الطازى و قطلقتمر العلائى الطويل و بشتك من عبد الكريم الأشرفىّ أيضا. و من أمراء الطبلخانات خمسة و عشرون أميرا و هم: بورى الأحمدىّ و أيدمر الخطائىّ من صديق و عبد اللّه بن

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١١، ص: ٧١

بكتمر الحاجب و بلوط الصرغتمشى و آروس المحمودى و يلبغا المحمدى و يلبغا الناصرىّ، على أنه كان أنعم عليه بتقدمة ألف، غير أنه أضيف إلى الطبلخانات كونه كان حاجبا ثانيا و أرغون العزّى الأفرم و طغيتمر الأشرفى و يلبغا المنجكىّ و كزل الأرغونى و قطلوبغا الشعبانىّ و أمير حاج بن مغلطاى و علىّ بن منجك اليوسفى و محمد ابن تنكزبغا و تمربغا الحسنى الأشرفىّ و أسندمر العثمانى و قرابغا الأحمدىّ و إينال اليوسفى و أحمد بن يلبغا العمرى و موسى بن دندار بن قرمان و مغلطاى البدرى و بكتمر العلمى و آخر. و من العشرات خمسة عشر أميرا و هم: آقبغا بوز الشيخونى و أبو بكر بن سنقر الجمالى و أحمد بن محمد بن بيبرس الأحمدى و أسنبغا التّلكىّ و شيخون و محمد بن بكتمر الشمسى و [محمد بن] قطلوبغا المحمدى و خضر بن عمر ابن أحمد بن بكتمر الساقى وجوبان الطّيدمرى و ألطنبغا من عبد الملك و قطلوبغا البزلارى و طوغان العمرى الظهيرى و تلكتمر العيسوىّ و محمد بن سنقر المحمدىّ.

و عيّن الملك الأشرف جماعة من الأمراء ليقيموا بالديار المصرية، عيّن الأمير:

أيدمر الشمسىّ نائب الغيبة بالقلعة و أميرين أخر تسكن بالقلعة أيضا و عيّن الأمير آقتمر عبد الغنى نائب الغيبة و أن يسكن بالقاهرة للحكم بين الناس و عيّن أيضا للاقامة بالديار المصرية من الأكابر: الأمير طشتمر اللّفّاف و قرطاى الطازى و أسندمر الصرغتمشى و أينبك البدرى.

و سافر السلطان و هو متوعّك فى بدنه، بعد أن أشار عليه جماعة من الصّلحاء و الأعيان بتأخير الحج فى هذه السنة فأبى إلا السفر لأمر يريده اللّه تعالى، و أمر السلطان لنائب الغيبة و غيره أن يطلعوا القلعة فى كل يوم موكب و يدخلوا إلى باب

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١١، ص: ٧٢

السّتارة و يخرج الأسياد أولاد السلطان الملك الأشرف ساعة ثم يعود كلّ واحد إلى محلّه فامتثلوا ذلك، فكانوا لما يطلعون إلى القلعة و يخرج عليهم الأسياد و أكبرهم أمير علىّ يقوم الأمراء و يبوسون أيديهم و يقعدون ساعة لطيفة فيقوم أمير علىّ و يشير بيده أمرا باسم اللّه فيقوم الأمراء و ينصرفون بعد أن يسقون مشروبا و وقع ذلك فى غيبة السلطان مدّة يسيرة.

فلما كان يوم السبت ثالث ذى القعدة اتفق طشتمر اللفّاف و قرطاى الطازى و أسندمر الصرغتمشى و أينبك البدرى و جماعة من المماليك السلطانية و جماعة من مماليك الأسياد أولاد السلطان الملك الأشرف و جماعة من مماليك الأمراء المسافرين صحبة السلطان الملك الأشرف و لبسوا السلاح و اتفق معهم من بالأطباق من المماليك السلطانية و هجموا الجميع القلعة و قصدوا باب السّتارة فغلق سابق الدين مثقال الزّمام باب الساعات و وقف داخل الباب و معه الأمير جلبان اللّالا، لالا أولاد السلطان و آقبغا جركس اللّالا أيضا، فدقّت المماليك الباب و قالوا: أعطونا سيّدى أمير علىّ، فقال لهم اللّالا: من هو كبيركم حتى نسلم لهم سيّدى عليّا! و أبى أن يسلمهم سيدى عليّا، و كثر الكلام بينهم و متقال الزّمام يصمّم على منع أمير علىّ فقالوا له:

السلطان الملك الأشرف مات: و نريد أن نسلطن ولده أمير علىّ، فلم يلتفت مثقال الى كلامهم، فلما علموا المماليك ذلك، طلعوا جميعا و كسروا شبّاك الزّمام المطلّ على باب الساعات، و دخلوا منه و نهبوا بيت الزمام و قماشه، ثم نزلوا إلى رحبة باب السّتارة و مسكوا مثقالا الزّمام و جلبان اللّالا و فتحوا الباب، فدخلت بقيّتهم و قالوا: أخرجوا أمير علىّ، حتى نسلطنه فانّ أباه توفّى إلى رحمة اللّه تعالى، فدخل الزمام على رغم أنفه و أخرج لهم أمير علىّ فأقعد فى باب الستارة، ثم أحضر الأمير أيدمر الشمسى فبوّسوه الأرض لأمير

علىّ، ثم أركبوا أمير علىّ على بعض خيولهم

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۱، ص: ۷۳

و توجّهوا به إلى الإيوان الكبير و أرسلوا خلف الأمراء الذين بالقاهرة، فركبوا إلى سوق الخيل و أبوا أن يطلعوا إلى القلعة فأنزلوا أمير علىّ إلى الإسطبل السلطان، حتى رأوه الأمراء فلما رأوه طلعوا و قبّلوا له الأرض و حلفوا له، غير أنّ الأمير طشتمر الصالحى و بلاط السّيفى ألجاى الكبير و حطط رأس نوبة النّوب لم يوافقوا و لا طلعوا، فنزلوا اليهم المماليك و مسكوهم و حبسوهم بالقصر و عقدوا لأمير علىّ بالسلطنة و لقّبوه با «لملك المنصور» على ما يأتى ذكره فى محله، و نسوق الواقعة على جليّتها.

ثم نادوا بالديار المصرية بالأمان و البيع و الشراء، بعد أن أخذوا خطوط سائر الأمراء المقيمين بمصر فأقاموا ذلك النهار و أصبحوا يوم الأحد رابع ذى القعدة من سنة ثمان و سبعين و سبعمائة و هم لابسون آلة الحرب واقفون بسوق الخيل يتكلمون فى إتمام أمرهم، و بينما هم فى ذلك جاءهم الخبر أنّ شخصا يسمّى قازان اليرقشىّ كان مسافرا صحبة السلطان الملك الأشرف إلى الحجاز الشريف وجدوه متنكّرا فمسكوه و أتوا به إلى الأمراء فسألوه عن خبر قدومه و عن أخبار السلطان، فأبى أن يخبرهم بشىء و أنكر أنه لم يتوجّه إلى الحجاز، فأوهموه بالتوسيط فأقرّ و أعلمهم الخبر بقدوم السلطان الملك الأشرف شعبان و كسرته من مماليكه بالعقبة فقالوا له:

و ما سبب هزيمة السلطان من عقبة أيلا؟ قال: لما نزل السلطان الملك الأشرف بمن معه من أمرائه و عساكره إلى العقبة و أقام بها يوم الثلاثاء و يوم الأربعاء سلخ

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۱، ص: ۷۴

شوّال فطلب المماليك السلطانية العليق، فقيل لهم اصبروا إلى منزلة الأزلم: فغضبوا و امتنعوا من أكل السّماط عصر يوم الأربعاء و اتفقوا على الركوب، فلما كانت ليلة الخميس المذكورة ركبوا على السلطان و رءوسهم الأمير طشتمر العلائىّ و مبارك الطازىّ و صراى تمر المحمدىّ و قطلقتمر العلائىّ الطويل و سائر مماليك الأسياد و أكثر المماليك السلطانية، فلما بلغ السلطان أمرهم ركب بأمرائه و خاصّكيته و تواقعوا فانكسر السلطان و هرب هو و من كان معه من الأمراء و هم: صرغتمش الأشرفىّ و أرغون شاه الأشرفىّ و بيبغا الأشرفىّ و بشتك الأشرفىّ و أرغون كتك و يلبغا الناصرىّ و صار السلطان بهؤلاء إلى بركة عجرود، فنزل بها و هو مقيم به،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۱، ص: ۷۵

فقالوا له: كذبت قل لنا حقيقة أمره، فامتنع و حلف، فأرادوا توسيطه حقيقة، فقال: أطلقونى أنا أدلّكم عليهم، فأطلقوه فأخذهم و توجّه بهم إلى قبّة النصر خارج القاهرة إلى محل كان الأشرف نزل فيه بجماعته فوجدوا بالمكان أرغون شاه و صرغتمش و بيبغا و بشتك و أرغون كتك و كان الذى توجّه مع قازان اليرقشىّ من القوم أسندمر الصرغتمشىّ و طولو الصرغتمشىّ و معهما جماعة كبيرة من المماليك الذين ثاروا بالقاهرة، فقبضوا على الأمراء المذكورين و سألوهم عن الملك الأشرف، فقالوا: فارقنا و توجّه هو و يلبغا الناصرىّ إلى القاهرة ليختفى بها، فقتلوا الأمراء المذكورين فى الحال و حزوا رءوسهم و أتوا بها إلى سوق الخيل ففرح بذلك بقيّة الأمراء الذين هم أصل الفتنة و علموا أنّ الأشرف قد زال ملكه.

و أمّا الملك الأشرف فإنه لما وصل إلى قبّة النصر توجّه منها نحو القاهرة و معه يلبغا الناصرىّ و اختفى عند أستادار يلبغا الناصرىّ، فلم يأمن على نفسه فتوجّه تلك الليلة من عند أستادار يلبغا الناصرىّ الى بيت آمنة زوجة المشتولىّ فاختفى عندها، فقلق عند ذلك الأمراء الذين أثاروا الفتنة و خافوا عاقبة ظهور الأشرف و هم: قرطاى الطازىّ و طشتمر اللفّاف و أسندمر الصرغتمشىّ و قطلوبغا البدرىّ و ألطنبغا السلطانىّ و بلاط الصغير و دمراش اليوسفىّ و أينبك البدرىّ و يلبغا النظامىّ و طولو الصرغتمشىّ و هؤلاء الأمراء، و أمّا الأجناد فكثير فاشتد قلقهم.

و بينماهم فى ذلك فى آخر نهار الأحد يوم قتلوا الأمراء المذكورين بقبّة النصر، و قبل أن يمضى النهار جاءت امرأة إلى الأمراء و ذكرت لهم أنّ السلطان مختف عند آمنة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١١، ص: ٧۶

زوجة المشتولىّ فى الجودرية، فقام ألطنبغا من فوره و معه جماعة و كبسوا بيت آمنة المذكورة فهرب السلطان و اختفى فى بادهنج البيت فطلعوا فوجدوه فى البادهنج و عليه قماش النساء، فمسكوه و ألبسوه عدّة الحرب و أحضروه الى قلعة الجبل فتسلّمه الأمير أينبك البدرىّ و خلا به و أخذ يقرّره على الذخائر فأخبره الملك الأشرف بها و قيل. إنّ أينبك المذكور ضربه تحت رجليه عدّة عصىّ. ثم أصبحوا فى يوم الاثنين خنقوه و تولّى خنقه جاركس شادّ عمائر ألجاى اليوسفىّ فأعطى جاركس المذكور إمرة عشرة و استقرّ شادّ عمائر السلطان.

ثم بعد خنق الملك الأشرف لم يدفنوه، بل أخذوه و وضعوه فى قفّة و خيّطوا عليها و رموه فى بئر، فأقام بها أياما إلى أن ظهرت رائحته، فاطّلع عليه بعض خدّامه من الطواشيّة، ثم أخرجوه و دفنوه عند كيمان السيدة نفيسة و ذلك الخادم يتبعهم من بعد حتى عرف المكان، فلما دخل الليل أخذ جماعة من إخوته و خدمه و نقلوه فى تلك الليلة من موضع دفنوه المماليك و دفنوه بتربة والدته خوند بركة بمدرستها التى بخطّ التّبانة فى قبّة وحده، بعد أن غسّلوه و كفّنوه و صلّوا عليه و قيل: غير ذلك و هو أنهم لمّا وجدوه فى البيت المذكور و عليه قماش النّسوة أركبوه على هيئة بازار خلف مملوك و مشوا خلفه و طلعوا به من على قنطرة باب الخلق و طلعوا به على

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١١، ص: ٧٧

معديّة فريج و طلعوا به من على الصّليبة وقت الظهر، و كان من رآه

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١١، ص: ٧٨

ظنه أميرا من الأمراء و فعلوا ذلك خوفا من العامّة فإنهم لو علموا أنه السلطان خلّصوه منهم و لو ذهبت أرواحهم الجميع لمحبة الرعية فى الأشرف المذكور.

ثم دخلوا بالأشرف إلى إسطبل بالقرب من الصليبة، مخافة من العامّة لا يعرفون به لمّا تكاثروا للفرجة عليه، فأقام بالإسطبل و نزل إليه قرطاى و قرّره على الذخائر، فقرّ له. ثم قتله و دفنه بمصطبة بالإسطبل المذكور، فهذه رواية أخرى غير ما ذكرنا أوّلا و الأوّل أشهر و أظنه الأصحّ و الأقوى.

و أمّا الذين تخلّفوا بالعقبة من الذين وثبوا على الملك الأشرف و كسروه و هرب الأشرف إلى جهة الديار المصرية و لم يدركوه، فإنهم اتّفقوا الجميع الأمراء و غيرهم و توجّهوا إلى الخليفة المتوكّل على اللّه و كان أيضا فى صحبة السلطان الملك الأشرف و قالوا له: يا أمير المؤمنين تسلطن و نحن بين يديك. و كانت العصائب السلطانية حاضرة فامتنع الخليفة من ذلك.

هذا و هم لا يعلمون بما وقع بالديار المصرية من ركوب هؤلاء و سلطنة أمير علىّ فإنّ كلّ طائفة و ثبت على السلطان. و ليس للأخرى بها علم و لا كان بينهم

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١١، ص: ٧٩

اتّفاقيّة على ذلك، و هذا من غريب الاتفاق، كون الواقعة تكون فى العقبة و ينكسر السلطان.

ثم بعد ثلاثة أيام أو أقلّ تكون بمصر أيضا و يخلع الملك الأشرف و يتسلطن ولده و كلاهما من غير مواعدة الأخرى، فنعوذ بالله من زوال النعم.

ثم إنّ الأمراء و المماليك أقاموا بالعقبة بعد هروب السلطان يومين و قد جهزوا للخليفة قماش السلطنة و آلة الموكب و ألحّوا عليه بالسلطنة و هو يمتنع و توجّهت القضاة الى القدس للزيارة و ردّ الحاجّ بأسره إلى أبيار العلائىّ و قد قصدوا العود إلى القاهرة و إبطال الحاج فى تلك السنة، فنهض الأمير بهادر الجمالىّ أمير الحاجّ و ردّهم و حجّ بهم. و لما تحقّقت الأمراء و المماليك أنّ الخليفة امتنع من السلطنة رجعوا نحو الديار المصرية حتى وصلوا إلى عجرود، أتاهم الخبر بما جرى من مسك السلطان الملك الأشرف و قتله فاطمأنوا فإنهم كانوا على وجل و منهم من ندم على ما فعل فإنه كان سببا لزوال دولة الملك الأشرف و لم ينله ما آمل و خرج الأمر

لغيره. ثم ساروا الجميع من عجرود إلى أن وصلوا إلى بركة الحاجّ، فسار إليهم جماعة من القائمين بمصر بآلة الحرب فتعبّوا لقتالهم، فأرسل طشتمر العلائىّ الدوادار طليعة عليها قطلقتمر الطويل، فقاتلوه المصريون فكسرهم قطلقتمر و سار خلفهم إلى قلعة الجبل، فلما قرب إلى القلعة تكاثروا عليه و مسكوه، و فى ذلك الوقت حضر

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٨٠

إلى الديار المصرية الأمير آقتمر الصاحبى نائب السلطنة بالديار المصرية و كان قد توجّه إلى بلاد الصعيد قبل توجّه السلطان الملك الأشرف إلى الحجاز، فتلقاه أمراء مصر و عظّموه و قالوا له: أنت نائب السلطنة على عادتك و أنت المتحدّث و كلّنا مماليكك، فلم يسعه إلا مطاوعتهم على ما أرادوا و كان كلام الأمراء لآقتمر الصاحبى بهذا القول، خوفا ممّن أتى من الأمراء و الخاصكيّة من العقبة.

ثم اتفق المصريون على قتال طشتمر الدوادار و من أتى معه من العقبة من المماليك الأشرفية و غيرها، فنزلوا اليهم من القلعة بعد المغرب فى جمع كبير و التقوا معهم على الصوّة من تحت القلعة، تجاه الطبلخاناة السلطانية و تقاتلوا، فانكسر طشتمر و من معه من الأمراء و المماليك الأشرقية و انهزموا بعد المغرب إلى ناحية الكيمان، فلما كان الليل أرسل طشتمر طلب الأمان لنفسه، فأرسلوا له الأمان، فلما حضر مسكوه و قيّدوه هو و جماعته و حبسوهم بالقلعة، و فيه يقول الأديب شهاب الدين أحمد بن العطار. [الكامل]

إن كان طشتمر طغى و أتى بحرب مسرع

و بغى سيؤخذ عاجلا و لكلّ باغ مصرع

قلت: ما أشقى هؤلاء القوّم العصاة بالعقبة فإنهم كانوا سببا لزوال ملك أستاذهم الملك الأشرف و ذهاب مهجته من غير أن يحصل أحدهم على طائل، بل ذهبت عنهم الدنيا و الآخرة، فإنهم عصوا على أستاذهم و خلعوا طاعته من غير موجب و شمل ضررهم على الحجاج و غيرهم و ارتكبوا أمورا قبيحة، فهذا ما حصلوه من الإثم.

و أما أمر الدنيا فإنها زالت عنهم بالكلية و خرج عنهم إقطاعاتهم و وظائفهم و أرزاقهم و منهم من قتل أشرّ قتلة و لم يقرّبهم ملك من الملوك بعد ذلك، بل

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٨١

صاروا مبعودين فى الدّول و ماتوا قهرا مما قاسوه من الذل و الهوان، حتى إننى رأيت منهم من كان عمّر و احتاج إلى السؤال، و ما ربك بظلّام للعبيد.

و كان السلطان الملك الأشرف- رحمه اللّه تعالى- من أجلّ الملوك سماحة و شهامة و تجملا و سؤددا.

قال قاضى القضاة بدر الدين محمود العينى- رحمه اللّه- فى تاريخه: كان ملكا جليلا لم ير مثله فى الحلم، كان هينا ليّنا محبّا لأهل الخير و العلماء و الفقراء مقتديا بالأمور الشّرعية واقفا عندها محسنا لإخوته و أقار به و بنى أعمامه، أنعم عليهم و أعطاهم الإمريات و الإقطاعات و هذا لم يعهد من ملك قبله فى ملوك الترك و لا غيرهم و لم يكن فيه ما يعاب، سوى كونه كان محبّا لجمع المال. و كان كريما يفرّق فى كل سنة على الأمراء أقبية بطرز زركش و الخيول المسوّمة بالكنابيش الزركش و السلاسل الذّهب و السروج الذّهب و كذلك على جميع أرباب الوظائف و هذا لم يفعله ملك قبله. انتهى كلام العينى باختصار- رحمه اللّه تعالى-.

و قال غيره- رحمه اللّه- و كان ملكا جليلا شجاعا مهابا كريما هيّنا ليّنا محبّا للرعية، قيل إنه لم يل الملك فى الدولة التركية أحلم منه و لا أحسن خلقا و خلقا و أبطل عدّه مكوس فى سلطنته. و اللّه أعلم.

قلت: حدّثنى العلامة علاء الدّين على القلقشندى- تغمده اللّه تعالى- الشافعى، قال حدّثنى العلّامة قاضى القضاة شمس الدين محمد البساطىّ المالكىّ

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٨٢

أنّ الملك الأشرف شعبان هذا كان من فطنته و ذكائه يعرف غالب أحوال القلاع الشامية و غيرها و يعرف كيف تؤخذ و من أين

تحاصر معرفة جيّدة.

قلت: هذا دليل على الذّكاء المفرط و التيقّظ فى أحوال مملكته. انتهى.

و رأيت أنا كثيرا من المماليك الأشرفيّة و بهم رمق و قوّة فى أوائل الدولة الأشرفية برسباى منهم الأمير آق سنقر الأشرفىّ الحاجب و غيره و كانت أيام الملك الأشرف شعبان المذكور بهجة و أحوال الناس فى أيامه هادئة مطمئنّة و الخيرات كثيرة، على غلاء وقع فى أيامه بالديار المصرية و البلاد الشامية و مع هذا لم يختلّ من أحوال مصر شىء لحسن تدبيره و مشى سوق أرباب الكمالات فى زمانه من كل علم و فن؛ و نفقت فى أيامه البضائع الكاسدة من الفنون و الملح و قصدته أربابها من الأقطار و هو لا يكلّ من الاحسان إليهم فى شىء يريده و شىء لا يريده، حتى كلّمه بعض خواصّه فى ذلك، فقال- رحمه اللّه-. أفعل هذا لئلا تموت الفنون فى دولتى و أيامى.

قلت. لعمرى إنه كان يحشى موت الفنون و الفضائل؛ و لقد جاء من بعده من قتلها صبرا، قبل أوان موتها و دفنها فى القبور و عفّى أثرها، و ما أحسن قول أبى الطيب أحمد بن الحسين حيت يقول:

على قدر أهل العزم تأتى العزائم [و تأتى على قدر الكرام المكارم]

[الطويل] و خلّف الملك الأشرف [رحمه اللّه] من الأولاد ستّة بنين، و هم الملك المنصور علىّ الذى تسلطن من بعده على ما يأتى ذكره و ذكر من قام بسلطنته مفصّلا- و الملك الصالح أمير حاج و قاسم و محمد و إسماعيل و أبو بكر و ولدت بعده خوند سمراء جاريته ولدا سمّوه أحمد فصاروا سبعة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٨٣

و خلّف سبع بنات رأيت إحداهنّ بعد سنة عشرين و ثمانمائة.

و كانت مدّة سلطنة الملك الأشرف أربع عشرة سنة و شهرين و عشرين يوما، و مات و عمره أربع و عشرون سنة. و قد تقدّم مولده فى أوّل ترجمته، و رثاه الشعراء بعد موته بعدّة قصائد و حزن الناس عليه حزنا عظيما و كثر تأسّفهم عليه. و عمل عزاؤه بالقاهرة عدّة أيام.

و فيه يقول الشيخ شهاب الدين أحمد بن العطار: [البسيط]

للملك الأشرف المنصور سيّدنا مناقب بعضها يبدو به العجب

له خلائق بيض لا يغيّرها صرف الزمان كما لا يصدأ الذهب

و قال غيره: [الزجل]

كوكب السعد غاب من القلعه و هلا لو قد انطفا بأمان

و زحل قد قارن المرّيخ لكسوف شمس الضّحى شعبان

[ما وقع من الحوادث سنة ٧٦٥]

السنة الأولى من سلطنة الملك الأشرف شعبان بن حسين على مصر. و هى سنة خمس و ستين و سبعمائة على أنه حكم فى السنة الماضية من شعبان إلى آخرها.

و فيها (أعنى سنة خمس و ستين) توفّى الشيخ الإمام العالم ناصر الدين محمد بن أحمد بن عبد العزيز القونوىّ الحنفىّ الشهير بابن الرّبوة- رحمه اللّه- كان إماما عالما بارعا خطيبا فصيحا فقيها مناظرا أفتى و درّس و أعاد و شرح «الفرائض السراجيّة» و «كتاب المنار» و له عدّة مصنّفات أخر و مات بدمشق فى هذه السنة و قيل فى الخالية.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٨٤

و توفّى قاضى القضاه نجم الدين عبد الرحيم ابن القاضى شمس الدين إبراهيم بن شرف الدين هبة اللّه بن عبد الرحيم بن إبراهيم بن

المسلم بن عبد اللّه بن حسّان المعروف بالبارزىّ الجهنىّ الحموىّ الشافعىّ قاضى قضاة حماة بها، بعد أن ولى قضاءها ستّا و عشرين سنة و كان مشكور السّيرة فى أحكامه- رحمه اللّه-.

و توفّى الأديب عزّ الدين أبو محمد الحسن بن علىّ بن الحسن بن علىّ العبّاسىّ الشهير بابن البنّاء الحلبىّ الشاعر المشهور؛ قدم إلى حلب و بها مات، و سنّه زيادة على سبعين سنة. و من شعره قصيدة أوّلها: [الرجز]

أنفقت عمرى فى رجاء وصلكم و العصر إنّى بكم فى خسر

و توفّى القاضى شهاب الدين أحمد ابن الصاحب جمال الدين محمد ابن الصاحب كمال الدين عمر بن أحمد الحنفىّ الحلبىّ الشهير بابن العديم بحلب، عن بضع و سبعين سنة. و كان فقيها عارفا بالتاريخ و الأدب.

و توفّى الأمير سيف الدين قطلوبغا الأحمدىّ نائب حلب بها عن نيّف و ثلاثين سنة- رحمه اللّه- و كان أميرا جليلا شجاعا كريما، نشأ فى السعادة و ولى نيابة حلب مرّتين.

و توفّيت خوند طولوبيه الناصريّة التّتريّة، زوجة السلطان الملك الناصر حسن.

ثم من بعده زوجة مملوكه يلبغا العمرىّ فى الرابع و العشرين من شهر ربيع الآخر.

و دفنت بتربتها التى أنشأتها بجوار تربة خوند طغاى الناصريّة أمّ آنوك خارج باب البرقيّة بالصحراء، و كانت من أجمل نساء عصرها.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٨٥

و توفّى القاضى تاج الدين أبو عبد اللّه محمد بن بهاء الدين إسحاق بن إبراهيم السّلمىّ المناوىّ الشافعىّ خليفة الحكم بالديار المصرية و قاضى العسكر، و وكيل بيت المال و الخاصّ بها فى يوم الجمعة سادس شهر ربيع الآخر.

و توفّى القاضى صلاح الدين عبد اللّه بن عبد اللّه بن إبراهيم البرلّسىّ المالكىّ محتسب القاهرة بها فى يوم الخميس خامس عشرين صفر و هذا المحتسب هو الذى أمر المؤذّنين أن يقولوا فى ليلة الجمعة بعد أذان العشاء الآخرة، و قبل الفجر: «الصلاة و السلام عليك يا رسول اللّه» فاستمرّ ذلك إلى سلطنة الملك الظاهر برقوق، أمر محتسب القاهرة نجم الدّين الطّنبذىّ أن يقولوا ذلك عقيب كلّ أذان إلّا المغرب، و استمرّ ذلك أيضا إلى يومنا هذا، على ما سنبيّنه فى وقته- إن شاء اللّه تعالى- و نذكر سببه، و لم يكن قبل ذلك إلّا الأذان فقط.

و توفّى قاضى مكّة تقىّ الدين محمد بن أحمد بن قاسم العمرىّ الحرازىّ الشافعىّ معزولا.

و توفّى بالمدينة النبويّة- على ساكنها أفضل الصلاة و السلام- الحافظ عفيف الدين أبو السيادة عبد اللّه بن محمد بن أحمد بن خلف فى سادس عشرين شهر ربيع الأوّل- رحمه اللّه- و كان إماما حافظا متقنا سمع الكثير و رحل البلاد و كتب و حصّل.

و توفّى السلطان الملك الصالح شمس الدين صالح ابن الملك المنصور نجم الدين غازى ابن الملك المظفر قرا أرسلان ابن الملك السعيد غازى بن أرتق بن أرسلان ابن إيل بن غازى بن ألبى بن تمرداش بن إيل بن غازى بن أرتق الأرتقىّ صاحب

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٨٦

ماردين بها، و قد ناهز السبعين سنة من العمر، بعد أن دام فى سلطنة ماردين أربعا و خمسين سنة. و تولّى ماردين بعده ابنه الملك المنصور أحمد. و كان الملك الصالح من أجلّ ملوك بنى أرتق حزما و عزما و رأيا و سؤددا و كرما و دهاء و شجاعة و إقداما، و كان يحبّ الفقهاء و الفضلاء و أهل الخير و كان له فضل و فهم و ذوق للشعر و الأدب، و كان يحبّ المديح و يجيز عليه بالجوائز السنيّة. و لصفىّ الدين عبد العزيز الحلى فيه مدائح و غرر فى مخلص بعض قصائده- رحمه اللّه-.

[الكامل]

لم أشك جور الحادثات و لم أقل حالت بى الأيام عن حالاتها

مالى أعدّ لها مساوئ جمة و الصالح السلطان من حسناتها

ملك تقرّ له الملوك بأنه إنسان عينيها و عين حياتها

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم خمسة أذرع و ستة أصابع. مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعا و اثنا عشر إصبعا. و كان الوفاء ثانى عشرين توت. و اللّه أعلم.

[ما وقع من الحوادث سنة ٧٦٦]

السنة الثانية من ولاية الملك الأشرف شعبان بن حسين على مصر. و هى سنة ست و ستين و سبعمائة.

فيها توفّى العلّامة قاضى القضاة جمال الدين يوسف بن أحمد بن الحسين بن سليمان بن فزارة الكفرى (بفتح الكاف) الدّمشقىّ الحنفىّ قاضى قضاة دمشق بها.

و كان- رحمه اللّه- إماما بارعا فى مذهبه ماهرا فى علم العربيّة بصيرا بالأحكام، باشر مدّة طويلة نيابة عن والده. ثم استقلّ بها إلى أن مات، و كان مشكور السّيرة و أفتى و درّس سنين.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٨٧

و توفّى قاضى القضاة زين الدين محمد بن سراج الدين عمر بن محمود الحنفى المعروف بابن السّراج بالقاهرة فى ذى القعدة عن تسع و ستين سنة و دفن بتربته خارج باب النصر بالقرب من تربة الصوفية- رحمه اللّه. و كان فقيها بارعا عالما مفتيا يحفظ الهداية فى الفقه و درّس بالجامع الحاكمى و أعاد بجامع أحمد بن طولون و الأشرفية و غيرهما و ناب فى القضاء عن قاضى القضاة جمال الدين التّركمانى الحنفى و كان معدودا من الفقهاء العلماء.

و توفّى الخطيب أبو المعالى تقىّ الدين محمد بن الخطيب محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ابن ناصح الحموى ثم الحلبى الشافعى الشهير بابن القوّاس بحلب عن نيّف و خمسين سنة- رحمه اللّه-.

و توفى الشيخ الإمام العالم العلّامة قطب الدين محمد بن محمد الرازى الشافعى الشهير بالقطب التحتانى - رحمه اللّه. بدمشق عن نيف و ستين سنة. كان بحرا فى جميع العلوم لا سيما فى العلوم العقلية و له تصانيف مفيدة، منها: شرح الشمسية و شرح

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٨٨

المطالع و الحواشى على كشاف الزمخشرى، و كانت تصانيفه أحسن من تصانيف شيخه العلّامة شمس الدين الأصفهانى - رحمه اللّه.

و توفّى الأمير سيف الدين أرنبغا بن عبد اللّه الكاملى نائب غزّة و كان، أصله من مماليك الملك الكامل شعبان ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون و كان خصيصا عنده إلى الغاية.

و توفّى الأمير الشريف أبو على الحسن بن محمد بن الحسن بن علىّ بن الحسن ابن زهرة الحسنىّ الحلبىّ، ولى نقابة الأشراف بحلب بعد والده- رحمهما اللّه تعالى- و استقرّ أمير طبلخاناه بحلب مدّة ثم صرف عن الوظيفتين و مات بظاهر حلب عن ثلاث و خمسين سنة.

و توفّى الشيخ شمس الدين محمد بن عبد الهادى الفوّىّ الفقيه الشافعىّ فى يوم الخميس ثانى عشر جمادى الأولى و قد تصدّر للتدريس و الإقراء- رحمه اللّه.

و توفّى الشيخ شرف الدين محمد بن أحمد بن أبى بكر المزّىّ الدمشقىّ الحريرىّ المحدّث بمصر فى شعبان. رحمه اللّه تعالى.

و توفّى الأمير آسن قجا بن عبد اللّه من على بك الناصرىّ أحد أمراء الطبلخانات، بعد ما تنقّل فى عدّة أعمال مثل البيرة و طرسوس و غيرهما- رحمه اللّه.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٨٩

و توفّى الأمير سيف الدين قمارى بن عبد اللّه الحموىّ الناصرىّ الحاجب و هو على نيابة طرسوس و كان من أعيان الأمراء و من أكابر

المماليك الناصريه.

و توفّى الشيخ المعمّر الرّحلة شمس الدين محمد بن إبراهيم بن محمد بن أبى بكر بن ابراهيم بن يعقوب [بن الياس] الأنصارىّ الخزرجىّ المقدسىّ البيانىّ الشاهد، كان أبوه يعرف بابن إمام الصّيخرة و اشتهر هو بالبيانى، ولد سنة ستّ و ثمانين و ستمائة فأحضر على زينب بنت مكى فى الثانية من عمره و على الفخر ابن البخارى فى الثالثه و أسمع على أبى الفضل بن عساكر و غيره و أجاز له جماعة و حدّث بالكثير، و عمّر و صار مسند عصره و رحلة زمانه و خرّج له الحافظ تقىّ الدين بن رافع مشيخة و ذيّل عليها الحافظ زين الدين العراقىّ. و كانت وفاته يوم الاثنين تاسع عشرين ذى القعدة، و آخر من تأخّر ممن سمع عليه شيخنا الرّحلة زين الدين عبد الرحمن الزّركشىّ الخيلىّ.

رحمه اللّه تعالى.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم خمسة أذرع و أربعة أصابع.

مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعا و ستة عشر إصبعا. و اللّه أعلم.

[ما وقع من الحوادث سنة ٧۶٧]

السنة الثالثة من سلطنة الملك الأشرف شعبان بن حسين على مصر و هى سنة سبع و ستين و سبعمائة.

فيها توفّى الشيخ الإمام العالم العلّامة قاضى القضاة عز الدين عبد العزيز ابن قاضى القضاة بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد اللّه بن جماعة الكنانىّ الحموى

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١١، ص: ٩٠

المصرى الشافعىّ بمكة المشرفة فى يوم الاثنين ثامن عشر جمادى الآخرة، و دفن بباب المعلاة بين الفضيل بن عياض و أبى القاسم القشيرىّ و نجم الدين الأصبهانىّ.

و مولده بالعادلية بدمشق فى سنة أربع و تسعين و ستمائة- رحمه اللّه- و كان إماما عالما فاضلا ديّنا صالحا، سمع بمصر و الشام و الحجاز و أخذ عن الأبرقوهىّ و الدّمياطىّ و غيرهما من الحفّاظ و جمع و كتب و حدّث و خطب و أفتى و درّس و تولى القضاء تسعا و عشرين سنة. ثم استعفى و توجّه إلى مكة مجاورا بها إلى أن مات.

و توفّى القاضى شهاب الدين أبو العباس أحمد بن ابراهيم أيوب العينتابىّ الحنفىّ قاضى العسكر بدمشق- رحمه اللّه تعالى- و بها كانت وفاته و قد جاوز ستين سنة، و كان إماما بارعا فى المذهب و أفتى و درّس و شرح مجمع البحرين فى الفقه فى المذاهب الثلاثة فى عشرة مجلدات و سماه: «المنبع».

و توفّى الشيخ الرضىّ شيخ خانقاة بيبرس الجاشنكير فى ليلة الجمعة حادى عشر شهر رجب و دفن بمقابر الصوفية و تولّى مكانه الشيخ ضياء الدين العفيفى المعروف بقاضى قرم. رحمه اللّه.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١١، ص: ٩١

و توفّى السلطان الملك المجاهد سيف الدين أبو يحيى على ابن السلطان الملك المؤيد هزير الدين داود ابن السلطان الملك المظفر يوسف ابن السلطان الملك لمنصور عمر بن نور الدين على رسول التّركمانىّ الأصل اليمنىّ المولد و المنشأ و الوفاة، صاحب اليمن بعدن- رحمه اللّه- فى يوم السبت الخامس و العشرين من شهر جمادى الأولى من هذه السنة و قيل سنة أربع و ستين و ولى بعده ابنه الملك الأفضل عباس. و مولد المجاهد هذا فى سنة إحدى و سبعمائة بتعز و نشأ بها و حفظ التنبيه فى الفقه و بحثه و تخرّج على المشايخ منهم: الشيخ الإمام العلامة الصاغانىّ، و تأدّب على الشيخ تاج الدين عبد الباقى و غيرهما، و شارك فى علوم و كان جيّد الفهم- رحمه اللّه- و له ذوق فى الأدب و له نظم و نثر، و هذا المجاهد الذى ذكرنا فى ترجمة الملك الناصر محمد بن قلاوون أنه

أرسل إليه نجدة إلى بلاد اليمن، لما خرج عليه و نازعه الملك الناصر بن الأشرف صاحب زبيد، و سقنا حكايته هناك مفصلا، و طالت مدّة المجاهد فى مملكة اليمن و فعل الخيرات و له مآثر: عمر مدرسة عظيمة بتعز و زيادة أخرى و غير ذلك و عمّر مدرسة بمكة المشرفة بالمسجد الحرام بالجانب اليمانىّ مشرفة على الحرم الشريف. و قد استوعبنا ترجمته فى المنهل الصافى بأطول من هذا إذ هو كتاب تراجم. و اللّه أعلم

و توفّى الشيخ شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الظاهر المعروف بابن الشرف الحنفىّ الفقيه خطيب جامع شيخون و كان من أعيان الفقهاء و له مشاركة و فضل. رحمه اللّه تعالى.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٩٢

و توفّى الأمير سيف الدين بطا بن عبد اللّه أحد أمراء الطبلخانات و قرئ على قبره بعد موته ألف ختمة شريفة بوصيّته هكذا نقل الشيخ تقىّ الدين المقريزى.

رحمه اللّه.

و توفّى الشيخ المحدّث العالم العلّامة شمس الدين أبو الثناء محمود بن خليفة بن محمد ابن خلف المنبجىّ ثم الدّمشقىّ التاجر. و مولده فى سنة سبع و ثمانين و ستمائة و مات فى ذى الحجة. رحمه اللّه.

و توفّى الشيخ الإمام أحد فقهاء المالكيّة خليل بن إسحاق المعروف بابن الجندى الفقيه المالكىّ- رحمه اللّه- فى يوم الخميس ثانى عشر شهر ربيع الأوّل.

و كان فقيها مصنّفا صنّف المختصر فى فقه المالكية و غيره.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم خمسة أذرع و أربعة أصابع.

مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعا و ستة عشر إصبعا. و اللّه سبحانه أعلم.

[ما وقع من الحوادث سنة ٧۶٨]

السنة الرابعة من سلطنة الملك الأشرف شعبان بن حسين على مصر. و هى سنة ثمان و ستين و سبعمائه.

و فيها كانت وقعة يلبغا العمرىّ الخاصكى صاحب الكبش و مقتلته و سلطنة آنوك بجزيرة الوسطى و لم يتم أمره و لا عدّ من السّلاطين و قد تقدم ذكر ذلك كله مفصلا فى ترجمة الملك الأشرف هذا فلينظر هناك.

و فيها توفّى قاضى القضاة أمين الدين أبو محمد عبد الوهاب بن أحمد بن وهبان الدمشقىّ الحنفىّ قاضى قضاة حماة و بها توفّى و هو من أبناء الأربعين- رحمه اللّه- و كان فقيها عالما مشكور السيرة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٩٣

و توفّى الشيخ الإمام العالم المسلّك العارف باللّه تعالى عفيف الدين أبو محمد و قيل أبو السيادة عبد اللّه بن أسعد بن على بن سليمان بن فلاح اليمانىّ اليافعىّ، نزيل مكة و شيخ الحرم و إمام المسلّكين و شيخ الصوفية فى ليلة الأحد العشرين من جمادى الآخرة بمكة المشرفة و دفن بالمعلاة بجوار الفضيل بن عياض. و مولده سنة ثمان و ستين و ستمائة تقريبا و سمع الكثير و برع فى الفقه و العربية و الأصلين و اللغة و الفرائض و الحساب و التصوّف و التسليك، و غير ذلك. و كان له نظم جيّد كثير، دوّن منه ديوان و له تصانيف كثيرة منها: «روض الرياحين» [فى حكايات الصالحين] و تاريخ بدأ فيه من أوّل الهجرة و أشياء غير ذلك، ذكرناها مستوفاة فى ترجمته فى تاريخنا «المنهل الصافى» و ما وقع له مع علماء عصره بسبب قصيدته التى أولها حيث قال فى ذلك: [الطويل]

و يا ليلة فيها السعادة و المنى لقد صغرت فى جنبها ليلة القدر

قال: و من شعره أيضا قصيدته التى أوّلها: [الطويل]

قفا حدّثانى فآلفؤاد عليل عسى منه يشفى بالحديث غليل

أحاديث نجد علّلانى بذكرها فقلبى إلى نجد أراه يميل

بتذكار سعدى أسعدانى فليس لى إلى الصّبر عنها و السّلوّ سبيل

و لا تذكر الى العامرية إنها يولّه عقلى ذكرها و يزيل

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١١، ص: ٩۴

و منها المخلص:

ألا يا رسول اللّه يا أكرم الورى و من جوده خير النّوال ينبل

و من كفّه سيحون منها و جيحن و دجلة تجرى و الفرات و نيل

مدحتك أرجو منك ما أنت أهله و أنت الذى فى المكرمات أصيل

فياخير ممدوح أئب شرّ مادح عطا مانح منه الجزاء جزيل

و توفّى الشيخ الإمام العالم المسلّك الصوفىّ العارف باللّه تعالى المعتقد جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن عبد اللّه بن عمر بن على بن خضر [الكردىّ] الكورانىّ الأصل المصرىّ الدار و الوفاة المعروف بالشيخ يوسف العجمىّ بزاويته بقرافة مصر الصّغرى فى يوم الاثنين ثانى عشر شهر ربيع الأوّل و قيل: جمادى الأولى و قيل:

يوم الأحد النصف من جمادى الأولى و دفن بزاويته المذكوة و قبره يقصد للزيارة و كان- رحمه اللّه- شيخا حقيقة و مقتدى طريقة، كان إمام المسلّكين فى عصره و كان على قدم هائل، كان غالب علماء عصره يقتدون به و كان له أوراد و أذكار هائلة، انتفع بصحبته جماعة من العلماء و الصلحاء و الفقهاء و كان لا يأخذه فى اللّه لومة لائم، مع فضيلة غزيرة و معرفة تامّة بالتصوّف و له رسالة سمّاها «ريحان القلوب و التوصّل إلى المحبوب». و قد شاع ذكر الشيخ يوسف فى الدنيا و أثنى عليه العلماء و الصلحاء.

حكى أنّ الشيخ يوسف هذا دخل مرة الى الشيخ يحيى بن علىّ بن يحيى الصنافيرى، فقام إليه الشيخ يحيى و كان لا يلتفت إلى أحد و تلقّاه و هو ينشد بقوله: [الوافر]

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١١، ص: ٩۵

أ لم تعلم بأنّى صيرفىّ بلوت العالمين على محكى

فمنهم زائف لا خير فيه و منهم جائز تجويز شكّ

و أنت الخالص الإبريز منهم بتزكيتى و حسبك من أزكّى!

فحصل للشيخ يوسف بهذا الكلام غاية السرور و الفرح و كان مع الشيخ يوسف ولده محمد فأقبل عليه الشيخ يحيى و أنشده فقال: [الكامل]

إنّ السّرىّ إذا سرى فبنفسه و ابن السّرىّ إذا سرى أسراهما

قال: فازداد الشيخ يوسف سرورا على سروره بهذا القول. رحمهما اللّه تعالى و نفعنا ببركاتهما.

و توفّى الشيخ الإمام الأديب البارع المفتن جمال الدين أبو بكر محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن صالح بن على بن يحيى بن طاهر بن محمد بن الخطيب أبى يحيى عبد الرحيم بن نباته (بضم النون) الفارقىّ: الأصل الجذامى المصرىّ المعروف بابن نباتة بالقاهرة- رحمه اللّه تعالى- بالبيمارستان المنصورىّ فى ثامن شهر صفر من السنة المذكورة. و مولده فى مصر فى شهر ربيع الأوّل سنة ست و ثمانين و ستمائة «بزقاق القناديل» و نشأ بمصر و برع فى عدّة علوم وفاق أهل زمانه فى نظم القريض و له الشّعر الرائق و النّثر الفائق و هو أحد من حذا حذو القاضى الفاضل و سلك طريقه و أجاد فيما سلك و كان خطّه فى غاية الحسن و ديوان شعره مشهور و قد مدح الملوك و الأعيان و رحل إلى البلاد و انقطع إلى السلطان الملك المؤيّد إسماعيل

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۱، ص: ۹۶

صاحب حماة و له فيه غرر مدائح و كان مع ما اشتمل عليه من المحاسن قليل الحظ و من شعره فى المعنى: [الكامل]

أسفى لشعر بارع نظمته تحتاج بهجته لرفد بارع

درّ يتيم قد تضوّع نشره يا من يرقّ على اليتيم الضّائع

و من شعره أيضا قوله: [السريع]

مقبّل الخدّ أدار الطّلا فقال لى فى حبّها عائبى

عن أحمر المشروب ما تنتهى قلت: و لا عن أخضر الشارب

و له أيضا: [السريع]

و تاجر قلت له إذ رنا رفقا بقلب صبره خاسر

و مقلة تنهب طيب الكرى منها على عينك يا تاجر

و له أيضا: [الكامل]

قبلته عند النّوى فتمرّرت تلك الحلاوة [بالتفرّق و الجوى]

و لثمته عند القدوم فحبّذا رطب الشّفاه السّكّرىّ بلا نوى

و له: أيضا- عفا اللّه عنه- [البسيط]

أهلا بطيف على الجرعاء مختلس و الفجر فى سحر كالثّغر فى لعس

و النّجم فى الأفق الغربىّ منحدر كشعلة سقطت من كفّ مقتبس

يا حبّذا زمن الجرعاء من زمن كلّ الليالى فيه ليلة العرس

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۱، ص: ۹۷

و حبّذا العيش مع هيفاء لو ظهرت للبدر لم يزه أو للغصن لم يمس

خود لها مثل ما فى الظّبى من ملح و ليس للظّبى ما فيها من الأنس

محروسة بشعاع البيض ملتمعا و نور ذاك المحيّا آية الحرس

يسعى ورا لحظها قلبى و من عجب سعى الطّريدة فى آثار مفترس

ليت العذول عنى مر أى محاسنها لو كان ثنّى عمى عينيه بالخرس

و قد استوعبنا من شعره و أحواله نبذة كبيرة فى المنهل الصافى. انتهى و اللّه أعلم.

و توفّى الوزير الصّاحب فخر الدين ماجد بن قرونة القبطىّ المصرى تحت العقوبة، بعد أن أحرقت أصابعه بالنار، و كان- رحمه اللّه- وزيرا عارفا مكينا عفيفا رزينا ذا حرمة و نهضة، لم يل الوزارة فى الدولة التركية من يشابهه؛ عمّر فى أيام وزارته بيوت الأموال بالذهب و الفضة، و ترك بالأهراء مغلّ ثلاث سنين و بعض الرابعة، و ذلك فوق ثلاثمائة ألف اردبّ. و بالبلاد مغلّ سنتين، بعد ما كان يقوم بالكلف السلطانية و كلفة الأتابك يلبغا العمرىّ الخاصّكى و بعد هذا كله كان يحمل إلى الخزانة الشريفة فى كل شهر ستين ألف دينار، و كان فيه محاسن كثيرة، غير أنه كانت نفسه نفسا شامخة، و فيه تهكّم على الناس مع تكبّر، هذا مع الكرم الزائد و الإحسان للناس و قلّة الظلم بالنسبة إلى غيره، رحمه اللّه تعالى؛ و اللّه أعلم.

و توفّى الأمير سيف الدين دروط ابن أخى الحاج آل ملك، كان أحد أمراء الألوف بالديار المصرية و حاجبا ثانيا بها.

و توفّى الأمير علاء الدين آقبغا بن عبد اللّه الصّفوى أحد الأمراء الطبلخانات بالديار المصرية و أمير آخور و كان- رحمه اللّه- من أعيان الأمراء.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۱، ص: ۹۸

و توفّى الأمير علاء الدين آقبغا بن عبد اللّه الأحمدى اليلبغاوى المعروف بالجلب فى أواخر السنة المذكورة و هو مسجون بثغر الإسكندرية، من جرح أصابه فى شهر ذى القعدة؛ و قد تقدّم ذكره فى عدّة مواطن. و اللّه أعلم.

و توفّى الأمير علاء الدين ألطنبغا بن عبد اللّه العزّى أحد أمراء الطبلخانات فى يوم الاثنين رابع شهر ربيع الآخر، و كان مثيرا للفتن.

و توفّى القاضى بهاء الدين حسن بن سليمان بن أبى الحسن بن سليمان بن ريّان ناظر الجيش بحلب فى دمشق عن ثمان و ستين سنة، و كان رئيسا نبيلا كاتبا بارعا، ولى عدّة وظائف؛ و له نظم و نثر؛ و من شعره- رحمه اللّه تعالى- [الرجز]

نحن الموقّعون فى وظائف قلوبنا من أجلها فى حرق

قسمتنا فى الكتب لا فى غيرها و قطعنا و وصلنا فى الورق

و توفّى القاضى تقىّ الدين محمد بن محمد بن عيسى بن محمود بن عبد اللطيف البعلبكى الشافعى الشهير بابن المجد- رحمه اللّه- كان فقيها فاضلا ولى قضاء طرابلس و غيرها.

و قد تقدم أنّ يلبغا العمرى قتل فى هذه السنة؛ انتهى، و اللّه أعلم.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ستة أذرع و ثلاثة أصابع.

مبلغ الزيادة تسعة عشر ذراعا و ستة أصابع.

[ما وقع من الحوادث سنة ۷۶۹]

السنة الخامسة من سلطنة الملك الأشرف شعبان بن حسين صاحب الترجمة على مصر؛ و هى سنة تسع و ستين و سبعمائة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۱، ص: ۹۹

فيها كانت الوقعة بين الملك الأشرف صاحب الترجمة و بين الأتابك أسندمر الزّينى الناصرى و انتصر الأشرف حسب ما تقدّم ذكره.

و فيها توفّى العلّامة قاضى القضاة جمال الدين عبد اللّه بن قاضى القضاة علاء الدين علىّ ابن العلامة فخر الدين عثمان بن إبراهيم بن مصطفى بن سليمان الحنفىّ المارديني، الشهير بابن التّركمانىّ بالقاهرة، فى ليلة الجمعة حادى عشر شهر شعبان و دفن بتربة والده خارج باب النصر من القاهرة و تولّى بعده القضاء العلّامة سراج الدين عمر الهندى. و مولده فى سنة تسع عشرة و سبعمائة، و قيل سنة خمس عشرة و سبعمائة. و تفقّه على والده و غيره، حتى برع فى الفقه و الأصول و العربية و شارك فى فنون كثيرة، و كان من جملة محفوظاته «الهداية فى الفقه» حتى إنه كان يمليها فى دروسه من صدره، و كمّل شرح أبيه لها، و تولّى القضاء بعد وفاة أبيه و باشر القضاء بعفّة و حشمة و رئاسة و تصدّى للإفتاء و التدريس و الإقراء سنين فى حياة والده الى أن مات. و كان له عبادة و أوراد هائلة و محاسن كثيرة. رحمه اللّه تعالى.

و توفّى قاضى القضاة موفّق الدين أبو محمد عبد اللّه بن محمد بن عبد الملك ابن عبد الباقى الحجّاوى المقدسىّ الحنبلىّ قاضى قضاة الديار المصرية بعد أن حكم بها ثلاثين سنة- رحمه اللّه تعالى- و تولّى بعده القاضى ناصر الدين نصر اللّه العسقلانى الحنبلىّ. و كان موفّق الدين مشكور السّيرة جميل الطريقة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۱، ص: ۱۰۰

و توفّى قاضى القضاة جمال الدين يوسف بن محمد بن عبد اللّه بن محمد بن محمود المرداوى المقدسى الحنبلىّ قاضى قضاة دمشق بها عن نيّف و سبعين سنة، مصروفا عن القضاء- رحمه اللّه تعالى-

و توفّى قاضى قضاة طرابلس شمس الدين أبو عبد اللّه محمد ابن الشيخ تقى الدين عبد اللّه الشّبلىّ الدمشقىّ الحنفىّ و هو من أبناء السبعين- رحمه اللّه- و كان عالما ديّنا مجاهدا مرابطا يلبس السّلاح فى سبيل اللّه و يغزو و سمع الكثير و جمع و ألّف و أفتى و درّس

و انتفع الناس به و باشر الحكم خمس عشرة سنة. رحمه اللّه.

و توفّى قاضى قضاة حلب صدر الدين أحمد بن عبد الظاهر بن محمد الدّميرى المالكى- رحمه اللّه- عن نيّف و سبعين سنة. و كان فقيها فاضلا مشكور السّيرة.

و توفّى الشيخ العلّامة قاضى القضاة بهاء الدين أبو محمد عبد اللّه بن عبد الرحمن ابن عقيل المصرى الشافعىّ قاضى قضاة الديار المصريّة و فقيه الشافعية- تغمّده اللّه برحمته- بالقاهرة فى ليلة الأربعاء الثالث و العشرين من شهر ربيع الأوّل و دفن بالقرافة بالقرب من قبّة الإمام الشافعىّ- رضى اللّه عنه- و مولده فى المحرّم سنة ثمان و تسعين و ستمائة. و نسبه يتّصل إلى عقيل بن أبى طالب رضى اللّه عنه.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۱، ص: ۱۰۱

و نشأ بالقاهرة. و قرأ على علماء عصره و برع فى علوم كثيرة و صنّف التصانيف المفيدة فى الفقه و العربيّة و التفسير، منها «شرح الألفيّة» لابن مالك و «شرح التسهيل» أيضا و باشر قضاء الديار المصريّة مدّة يسيرة و باشر التداريس الجليلة و المناصب الشريفة، و كتب إليه قاضى القضاة بهاء الدين أبو البقاء السّبكى من دمشق يقول:

[الطويل]

تقضّت شهور بالبعاد و أحوال جرت بعدكم فيها أمور و أحوال

فإن يسر اللّه التّلاقى ذكرتها و إلا فلى فى هذه الأرض أمثال

و توفّى الشيخ عزّ الدين أبو يعلى حمزة بن قطب الدين موسى بن ضياء الدين أحمد بن الحسين الدّمشقى الحنبلى الشهير بابن شيخ السلامية بدمشق و قد جاوز ستين سنة و كان- رحمه اللّه- إماما عالما فاضلا كتب على «المنتقى».

و توفّى الإمام العالم شهاب الدين أحمد بن لؤلؤ الشهير بابن النّقيب المصرى الشافعى فى يوم الأربعاء رابع عشر شهر رمضان و كان- رحمه اللّه- مفتنّا فى علوم و له مصنّفات و نظم حسن.

و توفّى الشيخ الإمام المحدّث صلاح الدين عبد اللّه ابن المحدّث شمس الدين محمد بن إبراهيم بن غنائم بن أحمد بن سعيد الصالحىّ الحنفى الشهير بابن المهندس

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۱، ص: ۱۰۲

- رحمه اللّه تعالى- بحلب عن نيفّ و سبعين سنة. و كان محدّثا مسندا سمع الكثير بمصر و الشام و الحجاز و العراق و كتب و حدّث و حجّ غير مرّة و طاف البلاد ثم استوطن حلب إلى أن مات. رحمه اللّه.

و توفّى القاضى علاء الدين علىّ ابن القاضى محيى الدين يحيى بن فضل اللّه القرشى العمرى كاتب السّر الشريف بالديار المصريّة بالقاهرة فى ليلة الجمعة تاسع عشرين شهر رمضان عن سبع و خمسين سنة. و كان قبل موته نزل عن وظيفة كتابة السّر لولده بدر الدين محمد فتمّ أمره من بعده. و كان القاضى علاء الدين- رحمه اللّه تعالى- إماما فى فنّه كاتبا عاقلا طالت أيّامه فى السعادة حتّى إنه باشر وظيفة كتابة السّر نيّفا و ثلاثين سنة لأحد عشر سلطانا من بنى قلاوون. استوعبنا ذلك كلّه فى «المنهل الصافى».

قلت: و لا أعلم أحدا ولى كتابة السّر هذه المدّة الطويلة من قبله و لا من بعده سوى العلّامة القاضى كمال الدين محمد بن البارزى- رحمه اللّه- فإنّه وليها أيضا نحوا من ثلاث و ثلاثين سنة على أنه عزل منها غير مرّة و تعطّل سنين، كما سيأتى ذكره فى ترجمته إذا وصلنا إليه- إن شاء اللّه تعالى- و كان للقاضى علاء الدين- رحمه اللّه- نظم و نثر و ترسّل و إنشاء و من شعره: [البسيط]

بان الحمى لم يمس من بعد بعدكم و لا تغنّت به و رقاؤه طربا

يا جيرة خلّفونى فى ديارهم أجرى الدموع على آثارهم سحبا

قد كان يحزننى واش يراقبنى و اليوم يحزننى أن ليس لى رقبا

و توفى الأمير علاء الدين طيبغا بن عبد اللّه الناصرى المعروف بالطويل نائب حلب بها فى يوم السبت وقت الظهر سلخ شوّال و دفن خارج باب المقام و قيل:

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ١٠٣

إنه سمّ، لأنّه كان أراد الخروج عن الطاعة، فعاجلته المنيّة، و قد تقدّم ذكره مع خشداشه يلبغا العمرى الخاصّكى و ما وقع له معه فى ترجمة الملك الناصر حسن و كيفيّة خروجه من الديار المصرية و القبض عليه فلا حاجة للإعادة هاهنا.

و توفّى الأتابك سيف الدين أسندمر بن عبد اللّه الناصرىّ صاحب الواقعة مع الملك الأشرف شعبان محبوسا بثغر الإسكندريّة فى شهر رمضان و قد تقدّم أيضا ذكر واقعته مفصّلا فى ترجمة الملك الأشرف.

و توفّى الأمير سيف الدين قنق بن عبد اللّه العزّى أحد مقدّمى الألوف بالديار المصرية على هيئة عجيبة؛ نسأل اللّه تعالى حسن الخاتمة بمحمد و آله. و خبره أنه كان قد عصى مع أسندمر الناصرى المقدّم ذكره، ركب معه من جملة اليلبغاويّة، فلما انكسرت اليلبغاويّة ساق قنق هذا فرسه إلى بركة الحبش و نزل بشاطئ البركة و بقى يشرب الماء و يستفّ الرمل إلى أن مات، فآنظر إلى هذا الجاهل و ما فعل فى نفسه.

و توفّى السلطان الملك المنصور أحمد ابن الملك الصالح صالح ابن الملك المنصور غازى بن قرا أرسلان بن أرتق الأرتقى صاحب ماردين بها و قد جاوز الستين سنة من العمر و كانت مدّة ملكه ثلاث سنن، و كان صاحب همّة عليّة و حرمة سنية.

رحمه اللّه تعالى.

و توفّى الشاب الفاضل تاج الدين محمد بن السّكّرى- رحمه اللّه- و كان فاضلا عالما و درّس و برع- رحمه اللّه- و فيه يقول ابن نباتة: [السريع]

سألته فى خدّه قبلة فقال قولا ليس بالمنكر

عليك بالصبر و من ذا الذى ينفعه الصبر عن السّكّرى

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ١٠۴

و توفّى الأمير علاء الدين ألطنبغا بن عبد اللّه البشتكى نائب غزّة و أستادار السلطان كان فى رابع عشر شعبان.

و توفّى الأمير سيف الدين باكيش بن عبد اللّه اليلبغاوىّ الحاجب فى صفر، و كان من رءوس الفتن و ممن قام على أستاذه يلبغا.

و توفّى الأمير سيف الدين بيليك بن عبد اللّه الفقيه الزرّاق، أحد مقدّمى الألوف بالديار المصرية- رحمه اللّه تعالى- كان فاضلا فقيها و يكتب المنسوب و عنده مشاركة فى فنون.

و توفى الأمير سيف الدين تلكتمر بن عبد اللّه المحمدى الخازندار أحد أمراء الألوف بالديار المصرية مسجونا بثغر الإسكندرية. و كان ممن قام مع أسندمر الناصرى.

و توفّى الأمير سيف الدين جرجى بن عبد اللّه الإدريسىّ الأمير آخور ثم نائب حلب و هو بدمشق. و كان من أجلّ الأمراء و تنقّل فى عدّة وظائف و ولايات- رحمه اللّه تعالى-.

و توفّى الأمير سيف الدين جرقطلو بن عبد اللّه أمير جاندار فى صفر و كان من الأشرار.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربعة أذرع و أربعة عشر إصبعا.

مبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعا سواء. و اللّه أعلم.

[ما وقع من الحوادث سنة ٧٧٠]

السنة السادسة من سلطنة الملك الأشرف شعبان بن حسين على مصر و هى سنة سبعين و سبعمائة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۱، ص: ۱۰۵

و فيها توفّى الشيخ بدر الدين محمد بن جمال الدين محمد بن كمال الدين أحمد بن جمال الدين محمد بن أحمد الشّريشىّ البكرىّ الوائلىّ الدّمشقى الشافعى بدمشق عن ستّ و أربعين سنة- رحمه اللّه- و كان عالما فاضلا فقيها درّس بالإقبالية بدمشق إلى أن مات.

و فيها توفّى قاضى القضاة جمال الذين محمود بن أحمد بن مسعود القونوىّ الحنفى قاضى قضاة دمشق بها عن ستّ و سبعين سنة و كان- رحمه اللّه- من العلماء الأماثل، كان رأسا فى الفقهاء الحنفية، بارعا فى الأصول و الفروع و درّس بدمشق بعدّة مدارس و أفتى و جمع و ألّف- رحمه اللّه تعالى-.

و توفّى القاضى شمس الدين محمد بن خلف بن كامل الغزّى الشافعىّ بدمشق عن بضع و خمسين سنة. و كان عالما، درّس بدمشق و أفتى و باشر بها نيابة الحكم إلى أن مات- رحمه اللّه تعالى-.

و توفّى الطواشى ناصر الدين شفيع بن عبد اللّه الفوّىّ نائب مقدّم المماليك السلطانيّة فى يوم الأحد ثامن شعبان و كان من أعيان الخدّام و طالت أيامه فى السعادة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۱، ص: ۱۰۶

و توفّى الأمير سيف الدين أرغون بن عبد اللّه بن غلبك الأزقى رأس نوبة النّوب بالديار المصريّة فى العشر الأوّل من جمادى الآخرة. و كان من أعيان الأمراء و هو أحد من ثار على يلبغا.

و توفّى الأمير صلاح الدين خليل بن أمير على ابن الأمير الكبير سلّار المنصورى و كان أحد أمراء الطبلخانات بالديار المصريّة و هو أحد من ركب مع الأتابك أسندمر.

و توفّى الأمير ناصر الدين محمد بن طقبغا الناصرى أحد أمراء الطبلخانات أيضا.

و توفّى الأمير صارم الدين إبراهيم ابن الأمير سيف الدين صرغتمش الناصرى و كان أيضا من أمراء الطبلخانات و له وجاهة فى الدولة، و فيه شجاعة و إقدام و دفن بمدرسة أبيه. رحمه اللّه تعالى.

و توفّى الأديب الموّال شهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد المعروف بالفار الشّطرنجىّ العالية، و كان بارعا فى المواليا و له شعر جيّد و كان ماهرا فى الشّطرنج.

و توفّى الأمير سيف الدين قشتمر بن عبد اللّه المنصورى نائب حلب بها مقتولا بيد العرب فى وقعة كانت بينه و بينهم على تلّ السلطان و قتل معه ولده، و قد تقدّم

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۱، ص: ۱۰۷

أنّ قشتمر هذا ولى نيابة طرابلس و نيابة دمشق و نيابة السلطنة بالديار المصريّة.

ثم أخرج من مصر إلى نيابة حلب فلم تطل مدّته على نيابة حلب و قتل- رحمه اللّه- و كان شجاعا مقداما عارفا عاقلا مدبّرا سيوسا دبّر أمر السلطنة سنين و حمدت سيرته.

و توفّى القاضى عماد الدين محمد بن شرف الدين موسى بن سليمان الشهير بالشيرجى بدمشق. كان ولى حسبة دمشق و نظر خزانتها و كان له ثروة ولديه فضيلة و عنده سياسة.

و توفّى الأمير سيف الدين آقتمر بن عبد اللّه من عبد الغنى الصغير فى شهر رمضان، و آقتمر هذا غير الأمير الكبير آقتمر عبد الغنى و كان آقتمر هذا من جملة أمراء الطبلخانات. و اللّه أعلم.

و توفّى السلطان صاحب تونس و ما والاها من بلاد الغرب أبو إسحاق إبراهيم ابن أبى بكر بن يحيى بن إبراهيم بن يحيى فى العشرين من شهر رجب بعد ما ملك تسع عشرة سنة- رحمه اللّه- و كان من أجلّ ملوك الغرب، كان شجاعا و له مواقف و فتوحات هائلة.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم خمسة اذرع و عشرون إصبعا. مبلغ لزيادة سبعة عشر ذراعا و ستة أصابع. و اللّه أعلم.

[ما وقع من الحوادث سنة ۷۷۱]

السنة السابعة من سلطنة الملك الأشرف شعبان بن حسين على مصر و هى سنة إحدى و سبعين و سبعمائة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۱، ص: ۱۰۸

و فيها توفّى قاضى القضاة شرف الدين أبو العبّاس أحمد ابن الشيخ شرف الدين حسن بن الخطيب شرف الدين أبى بكر عبد اللّه ابن الشيخ أبى عمر محمد بن أحمد ابن محمد بن قدامة الشهير بابن قاضى الجبل الحنبلىّ المقدسىّ الصالحىّ قاضى قضاة دمشق بها فى ثالث عشر شهر رجب عن ثمان و سبعين سنة- رحمه اللّه- و كان إماما عظيم القدر انتهت إليه رياسة مذهبه، و كان صحب ابن تيميّة و سمع منه و تفقّه به و بغيره، و فى هذا المعنى يقول: [الوافر]

نبيّى أحمد و كذا إمامى و شيخى أحمد كالبحر طامى

و اسمى أحمد أرجو بهذا شفاعة سيّد الرسل الكرام

و توفى قاضى القضاة تاج الدين عبد الوهاب ابن قاضى القضاة تقىّ الدين علىّ ابن عبد الكافى بن علىّ بن تمّام بن يوسف بن موسى بن تمّام الأنصارىّ السلمىّ السّبكىّ الشافعىّ قاضى قضاة دمشق بها، فى عصر يوم الثلاثاء سابع شهر ذى الحجّة و دفن بسفح قاسيون. تغمّده اللّه برحمته عن أربع و أربعين سنة. و كان إماما بارعا مفتنّا فى سائر العلوم و له تصانيف شتّى: منها «شرح المنهاج» فى الفقه للنّووىّ

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۱، ص: ۱۰۹

«و شرح مختصر ابن الحاجب» و منهاج البيضاوىّ، و غير ذلك و درّس «بالعادليّة» و «و الغزاليّة» و «الأميّنيّة» و «الناصريّة» و «دار الحديث الأشرفيّة» «و الشامية البرانيّة» و باشر قضاء دمشق أربع مرّات و خطب بالجامع الأموىّ، و قدم القاهرة و تولّى مكانه أخوه أبو حامد بهاء الدين و استقرّ تاج الدين هذا مكان أخيه أبى حامد المذكور فى تدريس «الشّيخونية» بمصر، و قيل: إنه كان أفقه من أخيه أبى حامد المذكور.

و توفّى قاضى القضاة جمال الدين أبو عبد اللّه محمد ابن الشيخ زين الدين عبد الرحيم بن على بن عبد الملك المسلّاقى السّلمى قاضى قضاة دمشق بالقاهرة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۱، ص: ۱۱۰

و هو من أبناء السبعين سنة و كان- رحمه اللّه- عالما فاضلا سمع بالإسكندرية و مصر و الشام و أخذ عن القونوىّ و أبى حيّان و غيرهما و ولى نيابة الحكم بدمشق.

ثم استقلّ بالقضاء أكثر من عشرين سنة.

و توفّى الأديب شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يوسف بن أحمد المارديني الشهير بابن خطيب الموصل- رحمه اللّه- مات بحماة و هو من أبناء الستين سنة.

و كان أديبا فاضلا، كان يتنقّل فى البلاد و كان يكتب المنسوب و له مشاركة.

و من شعره: [المتقارب]

ليهنك ما نلت من منصب شريف له كنت مستوجبا

و ما حسن أن تهنّى به و لكن نهنّى بك المنصبا

و توفّى الأمير ناصر الدين محمد ابن الأمير تنكز الحسامى الناصرىّ نائب الشام، كان أحد أمراء الطبلخانات بالديار المصرية و له وجاهة فى الدولة.

رحمه اللّه.

و توفّى الوزير الصاحب شمس الدين موسى بن أبى إسحاق عبد الوهاب بن عبد الكريم القبطى المصرىّ، أسلم أبوه و تولّى نظر الجيش و الخاصّ بعد كريم الدين الكبير و استناب ابنه هذا و كان يوم ذاك ناظر الخزانة الشريفة.

فلمّا مات أبوه فى سنة إحدى و ثلاثين و سبعمائة استقرّ مكانه فى نظر الخاصّ، فباشر فيه مدّة و صرف بالنشو و استقرّ فى نظر الجيش عوضا عن الفخر، فلم تطل مدّته و أمسك بسعى النّشو و سلّم هو و أخوه علم الدين ناظر الدولة إلى النّشو،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۱، ص: ۱۱۱

فأوقع الحوطة على موجودهما، فوجد لهما ما لا يوصف: من ذلك أربعمائة سراويل لزوجته و استقرّ عوضه فى نظر الجيش مكين الدين إبراهيم بن قرونة و استمرّ موسى فى المصادرة و أجرى عليه العذاب ألوانا، و أمره أعجب من العجب و هو أنه كان قبل مصادرته نحيف البدن قليل الأكل، لا يزال سقيما بالرّبو و ضيق النّفس، لزمه الحمّى الصّالبة، فلا يبرح محتميا و يلبس الفراء شتاء و صيفا، فبنى له أبوه بيتا فى الروضة و وكّل به الأطباء، يدبّرون له الأغذية الصالحة و يعالجونه و هو على ما هو عليه إلى أن قبض عليه و صودر و سلّم لوالى القاهرة ناصر الدين محمد بن المحسنى.

ثم نقل إلى لؤلؤ شادّ الدواوين و كان النّشو يغريهما على قتله، فضمن لؤلؤ للنشو قتله، فضربه أوّل يوم مائتى شيب و سعطه بالماء و الملح و بالخل و الجير حتى قوى عنده أنه مات فأصبح سويّا، فضربه بعد ذلك حتى أعياه أمره، و عقّد له المقرعة التى يضربه بها، فكانت إذا نزلت على جنبه تثقبه، فكان يضربه بتلك المقرعة حتى يقولوا: مات فيصبح فيعيدون عليه العذاب و التّسعيط، فصار يقيم اليوم و اليومين و الثلاثة لا يمكّن فيها من أكل و لا شرب. و كانوا إذا عاقبوه و فرغوا رموه عريانا فى قوّة الشتاء على البلاط فيتمرّغ عليه بجسده و هو لا يعى من شدّة الضرب و العقوبة، كل ذلك و النّشو يستحثّ على قتله. ثم عصروه فى كعبيه و صدغيه، حتى لهجوا بموته و بشّروا النشر بموته غير مرة. ثم يتحرّك فيجدوه حيّا، و استمرّ على ذلك أشهرا ثم ترك نحو الشهر لمّا أعياهم أمره و أعادوا عليه العقوبة و على زوجته بنت الشمس غبريال و كانت كحاله فى ضعف البدن و النّحافة و كانت حاملا، فولدت و هى تعصر،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۱، ص: ۱۱۲

فعاش ولدها حتى كبر، و ما زالا فى العقوبة حتى هلك النّشو و هو يقول: أموت و فى قلبى حسرة من موسى بن التاج، فمات النشو و لم ينل فيه غرضه. قيل: إنّ مجموع ما ضرب موسى هذا ستة عشر ألف شيب، حتى إنه ضرب مرة فوقع من ظهره قطعة لحم بقدر الرّغيف، و أعجب من هذا كلّه أنه لمّا أطلق تعافى مما كان به من الأمراض المزمنة القديمة. و صار صحيح البدن. ثم أفرج عنه الملك الناصر محمد و أكرمه و أنعم عليه ببغلة النشو و ردّ عليه أشياء كثيرة و ولّاه نظر جيش دمشق، ثم ولى نظر الخاصّ ثانيا و أضيف إليه نظر الخزانة الشريفة و ساءت سيرته و استعفى و أعيد إلى دمشق وزيرا، و لم يزل يتنقّل فى الوظائف إلى أن مات فى هذا التاريخ.

و قد أطلنا فى ذكره لما أوردناه من الغرائب. انتهى.

و توفّى الأمير علاء الدين طيبغا المحمدىّ فى شهر صفر و كان أحد مقدّمى الألوف بالديار المصرية.

و توفّى الأمير سيف الدين بكتمر بن عبد اللّه المؤمنى الأمير آخور الكبير بالديار المصرية- رحمه اللّه- و كان من أجل الأمراء فضلا و معرفة و دينا و عفّة عن الأموال، و تولّى عدّة وظائف و تنقّل فى الولايات، مثل نيابة حلب و الإسكندرية، ثم استقرّ أمير آخور إلى أن مات، و هو صاحب المصلّاة بالرّميلة، و السبيل المعروف بسبيل المؤمنىّ. رحمه اللّه تعالى.

و توفّى الأمير سيف الدين، أسندمر بن عبد اللّه الكاملىّ زوج خوند القردمية بنت الملك الناصر محمد بن قلاوون و كان أحد مقدّمى الألوف بالديار المصرية و مات بالقاهرة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۱، ص: ۱۱۳

و توفّى الأمير سيف الدين آروس بغا بن عبد اللّه الخليليّ أحد أمراء الطبلخانات بالقاهرة فى شهر رجب و هو أحد من قام على يلبغا.

و توفّى الأمير سيف الدين أسن بن عبد اللّه الصرغتمشيّ أحد أمراء الطبلخانات بالديار المصريّة بدمشق بعد ما نفى إليها و كان من الأشرار.

و توفّى الأمير علاء الدين ألطنبغا بن عبد اللّه العلائيّ المعروف «فرفور» كان أحد أمراء الطبلخانات بمصر و كان خصيصا عند الملك الأشرف. رحمه اللّه.

و توفّى الأمير علاء الدين آقبغا بن عبد اللّه اليوسفيّ الناصريّ الحاجب فى شعبان بمدينة منفلوط، و قد توجّه إلى لقاء هدية صاحب اليمن إلى السلطان الملك الأشرف.

و توفّى الأمير سيف الدين أينبك بن عبد اللّه الأزقيّ أحد أمراء الطبلخانات و رأس نوبة ثانى بها و كان من الشجعان.

و توفّى الأمير الأكز بن عبد اللّه الكشلاويّ و هو منفيّ بحلب فى شهر ربيع الأوّل و كان من أعظم الأمراء و أوجههم، ولى الوزر و الأستادارية بمصر و نالته السعادة و عظم فى الدّول إلى أن تغيّر عليه الملك الأشرف شعبان و عزله ثم نفاه إلى حلب لأمر اقتضى ذلك.

و فيها كان بدمشق طاعون عظيم و انتشر إلى عدّة بلاد و مات فيه خلائق لا تحصى كثرة. و اللّه أعلم.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربعة أذرع و خمسة و عشرون إصبعا- مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعا و ثمانية عشر إصبعا.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۱، ص: ۱۱۴

[ما وقع من الحوادث سنة ۷۷۲]

السنة الثامنة من سلطنة الملك الأشرف شعبان بن حسين على مصر، و هى سنة اثنتين و سبعين و سبعمائة.

و فيها توفّى الشيخ العالم المفتّن جمال الدين أبو محمد عبد الرحيم الحسن بن علىّ ابن عمر القرشيّ الأمويّ الإسنائيّ الشافعيّ شيخ الشافعية بالديار المصرية. مات فجأة فى ليلة الأحد ثامن عشرين جمادى الأولى عن سبع و ستين سنة، رحمه اللّه تعالى.

و كان إماما عالما مصنّفا بارعا، درّس بالأقبغاوية و الفاضلية و الفارسية،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۱، ص: ۱۱۵

و درّس التفسير بجامع أحمد بن طولون و تصدّر بالملكية و أعاد «بالناصرية» و المنصورية و غيرهما. و له مصنّفات كثيرة مفيدة: منها «كتاب المهمّات على الرافعيّ» و «شرح المنهاج فى الفقه» و «شرح منهاج البيضاويّ فى الأصول» و له «كتاب طبقات الفقهاء الشافعية» و «كتاب تخريج الفروع على الأصول» و سمّاه «التمهيد» و «كتاب تخريج الفروع على العربية» و سماه «الكوكب» و «شرح عروض ابن الحاجب» و «مختصر الإمام الرافعيّ» و «كتاب الجمع و الفرق». و كان له نظم ليس بذاك، من ذلك ما قاله يمدح كتاب الرافعيّ فى الفقه: [الكامل]

يا من سما نفسا إلى نيل العلا و نحا الى العلم الغزير الرافع

قلّد سميّ المصطفى و نسيبه و الزم مطالعة العزيز الرافعى

و توفّى القاضى شهاب الدين أبو العباس أحمد ابن الشيخ الصالح برهان الدين إبراهيم [بن عمر بن أحمد] العمريّ الصالحيّ الحنفى، قاضى قضاة الإسكندرية

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۱، ص: ۱۱۶

و بها توفى- رحمه اللّه- و قد قارب سبعين سنة و كان فاضلا عالما أفتى و درّس و خطب و أفاد و أعاد و أقام بحلب مدّة، يقرئ و يفتى. ثم قدم إلى مصر و أقام بها أيضا إلى أن ولى قضاء الإسكندرية مسئولا فى ذلك.

و توفّى الأمير الكبير علاء الدين علىّ الماردينىّ، ثمّ الناصرى نائب السلطنة بدمشق، ثم بالديار المصرية فى العشر الأوّل من المحرّم عن بضع و ستين سنة و كان أميرا جليلا دينا خيرا عفيفا عاقلا، تنقل فى الأعمال الجليلة سنين عديدة و طالت أيامه فى السعادة، و كان- رحمه اللّه- منقادا إلى الشريعة فى أحكامه و أفعاله، مشتغلا بالفقه على مذهب الإمام الأعظم أبى حنيفة- رضى اللّه عنه- مستحضرا له و كان قريبا من الناس محبّبا للرعية. و أجلّ أعمال وليها نيابة حلب ثمّ دمشق ثلاث مرّات فيما أظنّ. و اللّه أعلم. ثم نيابة السلطنة بالديار المصرية. و أمّا الولايات التى دون هؤلاء فكثير.

و توفّى الأمير سيف الدين جرجى بن عبد اللّه الإدريسىّ الناصرىّ بدمشق عن بضع و خمسين سنة. و كان أصله من مماليك الملك الناصر محمد بن قلاوون، و ترقّى إلى أن ولى نيابة حلب. ثمّ عزل بعد مدّة و أنعم عليه بإمرة بدمشق، فتوجّه إليها و أقام بها إلى أن مات- رحمه اللّه- و كان عالى الهمّة، غزير النعمة، و له سعادة وافرة، و قد تقدّم وفاته، و الأصحّ أنه توفّى فى هذه السنة.

و توفّى قاضى قضاة المدينة النبوية- على الحالّ بها أفضل الصلاة و السلام- نور الدين أبو الحسن علىّ بن عز الدين أبى المحاسن يوسف بن الحسن [بن محمد

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۱، ص: ۱۱۷

ابن محمود] الزّرندىّ الحنفىّ المدنىّ- رحمه اللّه- كان عالما فاضلا ولى قضاء المدينة سنين.

و توفّى الأمير سيف الدين أرغون بن عبد اللّه من قيران السّلّارىّ أحد أمراء الطبلخانات و نقيب الجيوش المنصورة فى شهر جمادى الأولى، و كان قديم هجرة و له كلمة فى الدولة و حرمة و قرب من الملوك.

و توفّى الأمير سيف الدين أسندمر بن عبد اللّه العلائىّ الحاجب المعروف «حرفوش» بعد ما أنعم عليه بإمرة مائة و تقدمة ألف بدمشق على هيئة النّفى، فإنه كان من أكابر أمراء الألوف بالديار المصرية و كان ممن يخاف شرّه.

و توفّى القاضى بدر الدين أبو علىّ الحسن بن محمد بن صالح [بن محمد بن محمد] النابلسىّ الفقيه الحنبلىّ- رحمه اللّه- مفتى دار العدل فى شهر جمادى الآخرة.

و توفّى الشيخ علاء الدين أبو الحسن علىّ بن عماد الدين إسماعيل بن برهان الدين إبراهيم [بن موسى] الفقيه المالكىّ، المعروف بابن الظريف فى أربع عشر شهر جمادى الأولى. رحمه اللّه.

و توفّى الشيخ شمس الدين محمد بن عبد اللّه بن محمد الزّركشى الحنبلىّ فى رابع عشرين جمادى الأولى أيضا- رحمه اللّه تعالى- و كان من أعيان الفقهاء الحنابلة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۱، ص: ۱۱۸

و توفّى الأمير سيف الدين منكوتمر بن عبد اللّه من عبد الغنى الأشرفى الدّوادار فى شهر جمادى الأولى و كان من خواصّ السلطان الأشرف شعبان و من مماليكه.

و توفّى القاضى تاج الدين أبو عبد اللّه محمد بن البها المالكى المعروف بابن شاهد الجمالى- تغمده اللّه تعالى- كان فقيها و تولّى إفتاء دار العدل و شاهد الجيش و ناظر البيمارستان المنصورى و وكيل الخاصّ و توجّه إلى الحجاز فمات فى عوده بمنزلة العقبة.

و توفّى الشيخ المعتقد الصالح صاحب الكرامات الخارقة أبو زكرياء يحيى بن على ابن يحيى المغربى الأصل الصّنافيرى الضرير المجذوب، قدم جدّه يحيى من الغرب و نزل عند الشيخ أبى العباس البصير بزاويته بجوار باب الخرق و ولد له على أبو يحيى هذا و كانت له أيضا كرامات، و قدم فى التجريد و كان الغالب عليه الوله، و ذكر له الموفّق كرامات جمّة. ثم ولد له يحيى هذا صاحب الترجمة مكفوفا مجذوبا، إلا أنه له كلام خارق و أحوال عجيبة، و كان الغالب عليه الوله، كما كان أبوه، و كان لا يفيق من سكرته، لا يزال مغمورا فى نشأته، لا يفرّق بين من هو

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة؛ ج ۱۱؛ ص۱۱۸

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١١، ص: ١١٩

فى حضرته من سلطان و لا أمير و لا غنىّ و لا فقير، و الناس كلّهم عنده سواء، و كان يقيم أوّلا بالقرافة عند ضريح أبى العباس البصير، و بنى له هناك قبّة و جعل لها بابين:

بابا ظاهرا و بابا فى الأرض نازلا، و كان إذا أحسّ بالناس هرب من ذلك الباب الذى فى الأرض، فلمّا كثر ترداد الناس إليه للزيارة من كلّ فجّ، صار يرجمهم بالحجارة، فلم يردّهم ذلك عنه رغبة فى التماس بركته، ففرّ منهم و ساح فى الجبال مدّة طويلة. ثم نزل صنافير بالقليوبية من قرى القاهرة، فكان كل يوم فى أيام الشتاء يغطس فى الماء البارد صبيحة نهاره و فى شدّة الحرّ يجلس عريانا مكشوف الرأس فى الشمس، و ليس عليه سوى ما يستر عورته، فكان يقيم على سقيفة طابونة سوداء، أقام على ذلك ثلاث سنين، لا ينزل عنها و بنى له بعض الأمراء زاوية، فلم يسكنها و لا التفت اليها و كان الناس يتردّدون اليه فوجا فوجا ما بين قاض و عالم و أمير و رئيس و هو لا يلتفت إلى أحد منهم.

و من كراماته- نفعنا اللّه به- أنه أتى مرة بمنسف خشب فيه طعام أرز، فقال لهم: سخّنوه، فلم يسعهم إلا موافقته، و وضعوا المنسف الخشب على النار، حتى اشتدّت سخونة الطعام و لم تؤثّر النار فى الخشب، ثم عاد إلى القرافة فمات بها فى يوم الأحد سابع عشرين شهر شعبان و صلّى عليه بمصلّاة خولان فحرز عدّة من صلّى عليه من الناس، فكانوا زيادة على خمسين ألفا. و اللّه أعلم.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم خمسة أذرع و خمسة و عشرون إصبعا. مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعا و أربعة أصابع.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١١، ص: ١٢٠

[ما وقع من الحوادث سنة ٧٧٣]

السنة التاسعة من سلطنة الملك الأشرف شعبان بن حسين على مصر و هى سنة ثلاث و سبعين و سبعمائة.

فيها رسم السلطان الملك الأشرف للأشراف بسائر الأقطار أن يسموا عمائمهم بعلائم خضر، و قد تقدّم ذكر ذلك كلّه فى ترجمة الأشرف. و اللّه أعلم.

و فيها توفّى القاضى كمال الدين أبو الغيث محمد ابن القاضى تقىّ الدين عبد اللّه ابن قاضى القضاة نور الدين أبى عبد اللّه محمد بن محمد بن محمد بن [عبد الخالق بن] عبد القادر الأنصارىّ الدمشقىّ الشافعىّ الشهير بابن الصائغ بدمشق عن بضع و أربعين سنة. رحمه اللّه. و كان ولى قضاء حلب مرتين ثم ولى قضاء حمص، ثم عاد إلى دمشق، و بها كانت وفاته.

و توفّى الشيخ العالم العلّامة قاضى القضاة سراج الدين أبو حفص عمر ابن الشيخ نجم الدين إسحاق بن شهاب الدين أحمد الغزنوىّ الهندىّ الحنفىّ قاضى قضاة الديار المصرية بها فى ليلة الخميس سابع شهر رجب، بعد أن ولى القضاء نحو خمس عشرة سنة- رحمه اللّه- و تولّى بعده القضاء صدر الدين محمد بن جمال الدين التّركمانىّ؛ و مولد السراج هذا فى سنة أربع أو خمس و سبعمائة تخمينا، و قدم القاهرة قبل سنة أربعين [و سبعمائة]- رحمه اللّه- و كان إماما عالما بارعا مفتّنا فى الفقه و الأصلين و النحو و علمى المعانى و البيان و غيرهم، و ناب فى الحكم بالقاهرة و تصدّى للإفتاء و التدريس و الإقراء سنين، ثمّ تولّى عدّة وظائف دينيّة، و هو أحد من قام

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١١، ص: ١٢١

مع ابن النقّاش فى قضية الهرماس حتى وغّرا خاطر السلطان عليه و وقع له معه ما وقع.

و كان السراج- رحمه اللّه تعالى- إماما مصنّفا: منها «شرح المغنى» فى مجلدين و «شرح البديع» لابن السّاعاتىّ و غير ذلك، و قد ذكرنا من علوّ همّته و غزير فضله فى «المنهل الصافى» نبذة كبيرة جيّدة تنظر هناك.

و توفّى الشيخ الأديب أبو زكرياء يحيى بن محمد بن زكرياء بن محمد بن يحيى العامرىّ الحموىّ الشهير بالخبّاز بدمشق و هو من أبناء الثمانين و كان بارعا فى النّظم، نظم سائر فنون الأدب و كان فيه تشيّع كبير و من شعره: [الوافر]

بعيشك هاتها صفراء صرفا صباحا و اطّرح قول النّصوح

فإنّ الشّمس قد بزغت بعين تغامزنا على شرب الصّبوح

و له أيضا: [السريع]

باكر عروس الرّوض و استجلها و طلّق الحزن ثلاثا بتات

بقهوة حلّت لنا كلّما حلّت لآلى القطر جيد النبات

و توفّى العلّامة قاضى القضاة بهاء الدين أبو حامد أحمد ابن قاضى القضاة تقىّ الدين أبى الحسن علىّ ابن الشيخ زين الدين عبد الكافى بن علىّ بن تمّام بن يوسف ابن موسى بن تمام الأنصارىّ السّبكى الشافعىّ. بمكة المشرفة عن ست و خمسين سنة- رحمه اللّه- و كان إماما عالما بارعا فى عدّة من الفنون و سمع من الحفّاظ، و أخذ من والده و عن أبى حيّان - و هو أسنّ من أخيه تاج الدين المقدّم ذكره-

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۱، ص: ۱۲۲

و درّس بقبّة الشافعىّ و الجامع الطولونىّ و المنصورية و الشّيخونية، و باشر قضاء العسكر و إفتاء دار العدل بمصر و خطب و ألّف و صنّف و تولّى قضاء الشام عوضا عن أخيه تاج الدين و تولّى أخوه تاج الدين وظائفه بمصر، و قد تقدّم ذلك.

ثم ترك قضاء دمشق عفّة و رجع إلى مصر يدرّس و يفتى ثم جاور بمكّة و بها مات- رحمه اللّه-.

و توفّى الأمير سيف الدين أيدمر بن عبد اللّه الشّيخى أحد أمراء الألوف بالديار المصريّة. ثم نائب حماة و كان من أعيان الأمراء، و قد تقدّم ذكره فى عدّة أماكن.

و توفّى الشيخ الفقير المعتقد عبد اللّه درويش- رحمه اللّه- فى سابع عشر شهر رجب. و كان فقيرا مباركا و للناس فيه محبة و اعتقاد حسن.

و توفّى الأديب الشاعر شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن عثمان بن شيخان المعروف بابن المجد البكرى التّيمىّ القرشىّ البغدادىّ فى عاشر شهر رمضان بمنية ابن خصيب من صعيد مصر و من شعره: [الوافر]

أتى المحبوب فى السّنجاب يسعى و طلعته لناظره تروق

فتبصر طوقه السّنجاب سحبا و فيها من تبسّمه بروق

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم سبعة أذرع و خمسة و عشرون إصبعا. مبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعا و أربعة أصابع.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۱، ص: ۱۲۳

[ما وقع من الحوادث سنة ۷۷۴]

السنة العاشرة من سلطنة الملك الأشرف شعبان بن حسين على مصر و هى سنة أربع و سبعين و سبعمائة.

و فيها استقرّ الأمير ألجاى اليوسفىّ أتابك العساكر بديار مصر بعد موت منكلى بغا الشّمسى.

و فيها توفّى الشيخ الإمام الحافظ المؤرّخ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل ابن الخطيب شهاب الدين أبى حفص عمر بن كثير القرشىّ الشافعىّ صاحب «التاريخ» و «التفسير» فى يوم الخميس سادس عشرين شعبان بدمشق. و مولده بقرية شرقىّ بصرى من أعمال دمشق فى سنة إحدى و سبعمائة- رحمه اللّه تعالى- قال العبنىّ رحمه اللّه: كان قدوة العلماء و الحفّاظ، و عمدة أهل المعانى و الألفاظ. و سمع و جمع و صنّف و درّس و حدّث و ألّف. و كان له اطّلاع عظيم فى الحديث و التفسير و التاريخ و اشتهر بالضبط و التحرير، و انتهى إليه علم التاريخ و الحديث و التفسير، و له مصنّفات عديدة مفيدة. انتهى كلام العينى- رحمه اللّه.

قلت: و من مصنّفاته «تفسير القرآن الكريم» فى عشر مجلدات، و كتاب «طبقات الفقهاء» و «مناقب الإمام الشافعى» رضى اللّه عنه و

التاريخ المسمّى «بالبداية و النّهاية» حذا فيه حذو ابن الأثير- رحمه اللّه- فى «الكامل» و التاريخ أيضا فى عشرة مجلدات، و خرّج أحاديث «مختصر ابن الحاجب» و كتب

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ١٢۴

على «البخارى» و لم يكمّله- رحمه اللّه تعالى- و لما مات رثاه بعض طلبته رحمه اللّه بقوله: [الطويل]

لفقدك طلّاب العلوم تأسّفوا و جادوا بدمع لا يبيد غزير

و لو مزجوا ماء المدامع بالدّما لكان قليلا فيك يا ابن كثير

و توفّى الشيخ الحافظ تقىّ الدين محمد بن جمال الدين رافع بن هجرس بن محمد ابن شافع بن السّلّامىّ المصرىّ الشافعىّ بدمشق عن ستين سنة، و كان- رحمه اللّه- إماما فى الحديث، رحل البلاد و سمع بمصر و الشام و حلب و الحجاز و كتب لنفسه مشيخة و «ذيّل على تاريخ البخارى» رحمه اللّه.

و توفّى الأديب زين الدين أبو محمد عبد الرحمن بن الخضر بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن يوسف بن عثمان السّنجارىّ، قدم حلب و باشر بها توقيع الدّرج إلى أن مات بها عن نيّف و خمسين سنة. و من شعره فى مغنّ و رأيته لغيره: [الكامل]

أضحى يخرّ لوجهه قمر السّما و غدا يلين لصوته الجلمود

فإذا بدا فكأنّما هو يوسف و إذا شدا فكأنّه داود

و توفّى الأمير مظفّر الدين موسى ابن الحاج أرقطاى الناصرىّ نائب صفد بها، و تولّى عوضه نيابة صفد الأمير علم دار المحمدىّ، و كان مظفّر الدين من الأماثل، و له و جاهة فى الدّول و ثروة.

و توفّى الأمير الكبير سيف منكلى بغا بن عبد اللّه الشمسىّ أتابك العساكر بالديار المصرية بها فى شهر جمادى الأولى عن بضع و خمسين سنة، كان من أجلّ الأمراء و أعظمهم حرمة و هيبة و وقارا، و كان فيه ديانة، و له معرفة بالأمور، و له اشتغال جيّد

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ١٢۵

فى علوم متعدّدة، ولى نيابة صفد و طرابلس و حلب و دمشق ثم أعيد إلى حلب لإصلاح البلاد الحلبيّة، فعاد إليها و مهّد أمورها، ثم طلبه الملك الأشرف إلى الديار المصرية و سأله أن يلى النيابة بها فامتنع من ذلك، فأخلع عليه باستقراره أتابك العساكر الديار المصرية و زوّجه الأشرف بأخته: «خوند سارة» فاستمرّ على ذلك إلى أن مات فى التاريخ المذكور- رحمه اللّه-.

و توفّيت خوند بركة خاتون والدة السلطان الملك الأشرف هذا و زوجة الأمير ألجاى اليوسفى فى شهر ذى القعدة، و دفنت بمدرستها التى أنشأتها بخط التّبانة، و بسبب ميراثها كانت الوقعة بين ابنها الملك الأشرف و زوجها ألجاى اليوسفى، و قد تقدّم ذكر ذلك كلّه مفصّلا فى أوائل هذه الترجمة، و كانت خيّرة ديّنة عفيفة جميلة الصورة. ماتت فى أوائل الكهولية. رحمها اللّه تعالى.

و توفّى الشيخ الإمام العالم العلّامة ولىّ الدين أبو عبد اللّه محمد بن أحمد بن إبراهيم الملّوىّ الدّيباجىّ الشافعىّ- رحمه اللّه- ذو الفنون بالقاهرة فى ليلة الخميس خامس عشرين شهر ربيع الأوّل عن بضع و ستين سنة. و كان من أعيان فقهاء الديار المصرية.

و توفّى الشيخ العارف بالله تعالى المعتقد المسلّك بهاء الدين محمد بن الكازرونىّ فى ليلة الأحد خامس شهر ذى الحجّة بزاويته بالمشتهى بالرّوضة و كان- رحمه اللّه تعالى رجلا صالحا معتقدا و للناس فيه محبّة زائدة و اعتقاد حسن.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ١٢۶

و توفّى القاضى بدر الدين محمد بن محمد ابن العلامة شهاب الدين محمود بن سليمان ابن فهد الحلبىّ ثمّ الدّمشقى الحنبلىّ ناظر جيش حلب بها- رحمه اللّه- و كان رئيسا كاتبا فاضلا من بيت كتابة و فضل- رحمه اللّه تعالى- و اللّه أعلم.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم لم يحرّر لأجل التحويل، حوّلت هذه السنة إلى سنة خمس و سبعين.

[ما وقع من الحوادث سنة ٧٧۵]

السنة الحادية عشرة من سلطنة الملك الأشرف شعبان بن حسين على مصر و هى سنة خمس و سبعين و سبعمائة.

فيها كانت وقعة الملك الأشرف المذكور مع زوج أمّه الأتابك ألجاى اليوسفى و غرق ألجاى فى بحر النيل حسب ما تقدّم ذكره.

و فيها توفّى قاضى القضاة بدر الدين أبو إسحاق إبراهيم بن صدر الدين أحمد بن مجد الدين عيسى بن عمر بن خالد بن عبد المحسن المخزومىّ المصرىّ الشافعىّ الشهير بابن الخشّاب و هو فى البحر المالح بالقرب من الأزلم عائدا إلى الديار المصريّة و هو من أبناء الثمانين سنة- رحمه اللّه- و كان عالما مفتيا مدرّسا، شاع ذكره فى الأقطار و انتفع الناس بعلمه و ولى نيابة الحكم بالقاهرة. و باشر قضاء حلب استقلالا. ثم ولى القضاء بالمدينة النبويّة و أراد التوجّه إلى نحو مصر فأدركته المنيّة فى طريقه- رحمه اللّه-.

و توفّى الشيخ الإمام العالم العلّامة أرشد الدين أبو الثناء محمود بن قطلوشاه السّرائىّ الحنفىّ بالقاهرة فى جمادى الآخرة عن نيّف و ثمانين سنة- رحمه اللّه

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۱، ص: ۱۲۷

تعالى- و كان بحرا فى العلوم لا سيّما العلوم العقلية و الأدبية، و أقام بالقاهرة سنين كثيرة يشتغل و يقرئ، و انتفع به عامّة الطلبة من كلّ مذهب، و تولّى مشيخة الصّرغتمشيّة بعد وفاة الشيخ العلّامة قوام الدّين أمير كاتب الإتقانىّ فباشر تدريسها إلى أن مات فى التاريخ المذكور.

و توفّى الأمير سيف الدين طيبغا بن عبد اللّه الفقيه الحنفىّ أحد أمراء العشرات بالديار المصرية بالقاهرة و قد ناهز الستين سنة، و كان فقيها مستحضرا لفروع مذهبه و يشارك فى فنون كثيرة- رحمه اللّه تعالى.

و توفّى الأمير سيف الدين تمرقيا بن عبد اللّه العمرىّ الجوكندار، أحد أمراء الطبلخانات بالديار المصرية و سنّه نحو الخمسين سنة و هو خشداش يلبغا العمرىّ الخاصّكى. و تمرقيا باللغة التركية: جبل حديد، فتمر هو الحديد و قيا بفتح القاف هو الصخر العظيم.

و توفّى الأمير سيف الدين تلكتمر بن عبد اللّه الجمالىّ، أحد أمراء الطبلخانات بالقاهرة، مات بمنزلة قاقون من طريق الشام فى شهر ذى الحجة، كان الملك الأشرف أرسله فى مهمّ.

و توفّى الأمير سيف الدين آل ملك بن عبد اللّه الصرغتمشى أحد أمراء الطبلخانات بالقاهرة و كاشف الوجه البحرى و نقيب الجيوش المنصورة فى شهر شوّال. و كان أصله من مماليك الأمير صرغتمش الناصرىّ صاحب المدرسة بالصليبة المقدّم ذكره. و كلّ من نذكره فى هذه السنين بالصرغتمشى فهو منسوب إليه، و لا حاجة للتعريف به بعد ذلك.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۱، ص: ۱۲۸

و توفّى الأمير سيف الدين آقبغا بن عبد اللّه من مصطفى اليلبغاوىّ، أحد أمراء الطبلخانات بالديار المصرية و هو مجرّد بالإسكندرية و هو ممن قام على أستاذه يلبغا.

و توفّى الأمير سيف الدين أرغون بن عبد اللّه الأحمدىّ أحد مقدّمىّ الألوف بالديار المصرية و لالا الملك الأشرف شعبان صاحب الترجمة و كان معظما فى الدول و له همة و معرفة و شجاعة و حرمة وافرة فى الدولة الأشرفية. و قد مرّ ذكره فى عدّة حكايات، و لمّا ثقل على الملك الأشرف أخرجه إلى نيابة الإسكندرية فمات بها فى خامس عشر ذى القعدة.

و توفّى الشيخ نور الدين علىّ بن الحسن بن علىّ الإسنائىّ الشافعىّ أخو الشيخ جمال الدين عبد الرحيم المتقدّم ذكره، مات فى شهر رجب- رحمه اللّه تعالى-.

و توفّى القاضى شمس الدين شاكر القبطىّ المصرىّ المعروف بابن البقرىّ ناظر الذخيرة و صاحب المدرسة البقريّة بالقاهرة فى ثالث عشر شوّال و كان معدودا من رؤساء الأقباط.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۱، ص: ۱۲۹

و توفّى الأمير سيف الدين بيبغا بن عبد اللّه المعروف بحارس طير، أحد أمراء الطبلخانات، و هو غير بيبغا طط حارس طير الذى ولى نيابة السلطنة فى سلطنة الملك حسن.

و توفّى الأمير علاء الدين ألطنبغا بن عبد اللّه الماردينىّ فى ثانى جمادى الآخرة، و هو أيضا غير ألطنبغا الماردينىّ الناصرىّ صاحب الجامع، و قد تقدّم ذكر هذاك فى محلّه.

و توفّى الأمير سيف الدين آروس بن عبد اللّه المحمودىّ أحد أمراء الألوف بالقاهرة، و زوج بنت الأمير منجك اليوسفىّ فى ذى القعدة، و كان أصله من مماليك الناصر محمد، و ترقّى فى الدول إلى أن صار أمير مائة و مقدّم ألف، ثم ولى الحجوبية، ثم أمير جاندار، ثم ولى الأستادارية العالية مدّة طويلة. و وقع له أمور و حوادث، و أخرج إلى الشام. ثم قدم إلى مصر صحبة حميه منجك اليوسفىّ، فأقام بها إلى أن مات.

و توفّى الأمير الكبير سيف الدين ألجاى اليوسفىّ أحد مماليك الملك الناصر حسن غريقا بالنيل بساحل الخرقانية، بعد وقعة كانت بينه و بين الملك الأشرف شعبان حسب ما ذكرناه أنه انكسر فى الآخر و توجّه إلى الجهة المذكورة و اقتحم البحر بفرسه، فغرق فى يوم الجمعة تاسع المحرّم، و دفن بمدرسته بسويقة العزّىّ خارج القاهرة. و كان من أجلّ الأمراء شجاعة و كرما و همّة و سؤددا، و قد تقدّم ذكره فى عدّة تراجم من هذا الكتاب.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم خمسة أذرع و عشرة أصابع.

مبلغ الزيادة خمسة عشر ذراعا و تسعة عشر إصبعا و هى سنة الشراقى العظيم.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ١٣٠

[ما وقع من الحوادث سنة ٧٧۶]

السنة الثانية عشرة من سلطنة الملك الأشرف شعبان بن حسين بن على مصر و هى سنة ست و سبعين و سبعمائة.

و فيها كان ابتداء الغلاء العظيم بسائر البلاد.

و فيها فتحت سيس على يد نائب حلب الأمير إشقتمر الماردينى، و قد تقدّم ذكر ذلك كلّه فى أصل الترجمة.

و فيها توفّى العلّامة قاضى القضاة صدر الدين أبو عبد اللّه محمد ابن العلّامة قاضى القضاة جمال الدين عبد اللّه ابن قاضى القضاة علاء الدين علىّ بن عثمان بن الماردينى الحنفىّ الشهير بابن التّركمانىّ، قاضى قضاة الديار المصرية بها فى ليلة الجمعة ثالث ذى القعدة عن نحو أربعين سنة، بعد أن باشر ثلاث سنين و أشهرا، و كان سلك فى العدل طريقة أبيه و جدّه، و كان عالما بارعا ذكيّا فهما عفيفا. و له نظم و نثر، و من شعره و قد حصل له رمد: [الوافر]

أفرّ إلى الظلام بكلّ جهدى كأنّ النور يطلبنى بدين

و ما للنور من ظلّ و إنّى أراه حقيقة مطلوب عينى

و قد تقدّم ذكر أبيه و جدّه كلّ واحد منهما فى محلّه.

و توفّى قاضى القضاة شرف الدين أبو العباس أحمد بن الحسين بن سليمان بن فزارة الكفرى (بفتح الكاف) الحنفىّ بدمشق، بعد أن كفّ بصره عن خمس و ثمانين سنة. و كان من العلماء الأعلام، ماهرا فى مذهبه، أفتى و درّس و أفاد و أتقن

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ١٣١

روايات القرّاء السبعة و ناب فى الحكم بدمشق مدّة من الزمان. ثم استقلّ بالوظيفة مدّة طويلة ثم تركها لولده متنزّها عن ذلك و لزم العبادة إلى أن مات.

و توفّى الشيخ الإمام العالم العلّامة جمال الدين أبو عبد اللّه محمد بن الحسن بن محمد بن عمّار الحارثى الدّمشقىّ الشافعىّ الشهير

بابن قاضى الزّبدانىّ بدمشق عن سبع و ثمانين سنة، و قد انتهت إليه رياسة الفتوى بالشام فى زمانه، و درّس بظاهرية دمشق و عادليتها الصغرى و كتب و صنّف.

و توفّى الشيخ أمين الدين أبو عبد اللّه محمد ابن القاضى برهان الدين إبراهيم بن علىّ بن أحمد بن علىّ بن يوسف بن إبراهيم الدمشقىّ الحنفىّ الشهير بابن عبد الحق درّس بدمشق بعدّة مدارس و باشر بها الوظائف الجليلة و كان معدودا من أعيان أهل دمشق إلى أن مات بها عن بضع و ستين سنة.

و توفّى الشيخ الإمام العلّامة الأديب المفتن شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يحيى بن أبى بكر بن عبد الواحد التّلمسانىّ المغربىّ الحنفىّ الشهير بابن أبى حجلة نزيل الديار المصرية بها فى يوم الخميس مستهلّ ذى الحجّة عن إحدى و خمسين سنة.

و مولده بالمغرب بزاوية جدّه أبى حجلة عبد الواحد، ثم رحل إلى الشام ثم استوطن مصر و ولى مشيخة خانقاه منجك اليوسفىّ إلى أن مات. و كان إماما بارعا فاضلا ناظما ناثرا، و له مصنّفات كثيرة تبلغ ستين مصنّفا- رحمه اللّه- و من شعره فى مليح له خال على خدّه: [البسيط]

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۱، ص: ۱۳۲

تفرّد الخال عن شعر بوجنته فليس فى الخدّ غير الخال و الخفر

يا حسن ذاك محيّا ليس فيه سوى خال من المسك فى خال من الشّعر

و له: [السريع]

و عاذل بالغ فى عذله و قال لمّا هاج بلبالى

بعارض المحبوب ما تنتهى قلت و لا بالسّيف و الوالى

و له مضمّنا و هو أحسن قوله فى المعنى: [الكامل]

يا صاح قد حضر الشّراب و بغيتى و حظيت بعد الهجر بالإيناس

و كسا العذار الخدّ حسنا فاسقنى و اجعل حديثك كلّه فى الكاس

و توفّى الصاحب الوزير فخر الدين عبد اللّه بن تاج الدين موسى بن أبى شاكر بالقاهرة و دفن بالقرافة بتربته بجوار تربة قاضى القضاة شمس الدين الحريرى. و كان فى مبادئ أمره صاحب ديوان يلبغا العمرىّ ثم تولّى الوزر بعد موته ثلاث مرات و جمع فى بعض الأحيان بين الوزارة و نظر الخاصّ معا كما كان ابن قرونة من قبله. و كان حسن السّيرة مليح الشكل بشوشا متواضعا، ليّن الجانب، قليل الأذى محبّبا للناس.

و توفّى التاجر ناصر الدين محمد بن مسلّم الكارمىّ المصرىّ فى يوم الجمعة ثانى عشر شوّال. و قد خلّف اموالا كثيرة من المتجر و عمل الكيميا بحيث إنه لم يكن أحد من أهل عصره أكثر مالا منه.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۱، ص: ۱۳۳

و توفّى القان أويس ابن الشيخ حسن بن حسين بن اقبغا بن أيلكان صاحب تبريز و بغداد و ما والاهما. و فى موتته غريبة و هى أنه رأى فى منامه قبل موته أنه يموت فى يوم كذا و كذا، فخلع نفسه من الملك و ولّى عوضه ولده الكبير الشيخ حسين بن أويس و اعتزل هو عن الملك و صار يتعبّد و يكثر من الصلاة و الصدقة و البرّ إلى الوقت الذى عيّنه لهم أنه يموت فيه فمات فيه. و كان ملكا حازما عادلا- ذا شهامة و صرامة، قليل الشرّ كثير الخير محبّبا للفقراء و العلماء، و كان مع هذا فيه شجاعة و كرم و مات فى عنفوان شبيبته و كان تسلطن بعد أبيه فمكث فى الملك تسعة عشر سنة و مات بتبريز عن نيّف و ثلاثين سنة.

و توفّى الأمير الكبير سيف الدين منجك بن عبد اللّه اليوسفى الناصرى أتابك العساكر و نائب السلطنة الشريفة بالديار المصرية بداره من القاهرة بالقرب من سويقة العزّىّ الملاصقة لمدرسة السلطان حسن، بعد عصر يوم الخميس تاسع عشرين شهر ذى الحجة و دفن

صبيحة يوم الجمعة بتربته التى أنشأها عند

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ١٣۴

جامعه و خانقاته، خارج باب الوزير بالقرب من قلعة الجبل. و كانت جنازته مشهودة و كان عمره يوم مات بضعا و ستين سنة، و قد مرّ من ذكره ما يستغنى به عن التكرار هنا. و كان ابتداء أمره و ظهور اسمه من سلطنة الملك الناصر أحمد ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون و هلمّ جرّا إلى يومنا هذا، حتى إنه لم يذكر سلطان بعد موت محمد بن قلاوون، إلا و منجك هذا له فيه أمر و ذكر و واقعة. و قد طالت أيامه فى السعادة على أنه قاسى فيها خطوبا و أهوالا و أمسك و حبس ثم أطلق و اختفى مدّة ثم ظهر و قد تكرر ذلك كلّه مفصلا فى عدّة تراجم من سلاطين مصر.

و أمّا ما عمّره من المساجد و الجوامع و المآثر فقد ذكرنا ذلك كلّه فى ترجمته «فى المنهل الصافى و المستوفى بعد الوافى» فلينظر هناك.

و توفّى الأمير سيف الدين يلبغا بن عبد اللّه الناصرىّ حاجب الحجّاب بالديار المصرية و أحد أمراء الألوف بها، و كان من أماثل الأمراء و أعيان المماليك الناصرية، ترقّى بعد موت أستاذه الملك الناصر محمد و ولى عدّة وظائف أعظمها حجوبيّة الحجّاب.

و توفّى الأمير سيف الدين أيدمر بن عبد اللّه الناصرىّ الدّوادار بالقاهرة عن نيّف و ستين سنة، و كان أميرا عالى القدر ظاهر الحشمة وافر المهابة حسن السياسة و التدبير، يبدأ الناس بالسلام و يكثر من ذلك، حتى إنه لمّا ولى نيابة حلب لقّبه أهلها «بسلام عليكم» و كان أوّلا أمير مائة و مقدّم ألف بديار مصر.

ثم ولى نيابة طرابلس ثم نيابة حلب ثم عزل و طلب إلى ديار مصر و استقرّ بها أمير مائة و مقدّم ألف أيضا إلى أن مات و هو أجل أمراء عصره.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ١٣۵

و توفّى الأمير الطواشى سابق الدين مثقال بن عبد اللّه الحبشى الآنوكىّ مقدّم المماليك السلطانية و أحد أمراء الطبلخانات، و كان أصله من خدّام سيدى آنوك ابن الملك الناصر محمد و ترقّى إلى أن ولى تقدمة المماليك السلطانية و هو الذى ضربه يلبغا العمرى داخل القصر ستمائة عصاة و نفاه إلى أسوان و ولّى مكانه مختار الدمنهورىّ شاذروان، فلما قتل يلبغا أعاده الملك الأشرف هذا إلى رتبته و وظيفته تقدمة المماليك السلطانية إلى أن مات و ولى التّقدمة بعده مختار الدمنهورىّ شاذروان المقدّم ذكره ثانيا، و أظن مثقالا هذا هو صاحب المدرسة السابقيّة داخل بين القصرين من القاهرة. و اللّه أعلم.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربعة أذرع و اثنا عشر إصبعا.

مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعا و خمسة أصابع.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ١٣۶

[ما وقع من الحوادث سنة ٧٧٧]

السنة الثالثة عشرة من سلطنة الملك الأشرف شعبان بن حسين على مصر و هى سنة سبع و سبعين و سبعمائة.

فيها كان الغلاء المفرط بالبلاد الشامية حتى أكل الناس الميتات و الكلاب و القطط.

و فيها توفّى الشيخ الإمام العالم العلّامة قاضى القضاة برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم ابن القاضى علم الدين محمد بن أبى بكر بن عيسى بن بدران الهيدبانى السعدى الإخنائى المالكى قاضى قضاة الديار المصرية بها فى يوم الأربعاء ثالث شهر رجب بعد أن مكث فى القضاء خمس عشرة سنة و كان- رحمه اللّه- من أعيان الفقهاء المالكية.

و توفّى الشيخ الإمام العالم العلّامة قاضى القضاة بهاء الدين أبو البقاء محمد ابن قاضى القضاة سديد الدين عبد البر بن صدر الدين

يحيى السّبكىّ الأنصارىّ الشافعىّ- رحمه اللّه تعالى- قاضى القضاة بالديار المصرية ثم بدمشق المحروسة فى شهر ربيع الأوّل. و مولده فى سنة سبع و سبعمائة. و كان إمام وقته و عالم زمانه، روى البخارى عن الوزيرة و الحجّار و تولّى القضاء بدمشق ثم بمصر ثم عزل و عاد إلى قضاء دمشق إلى أن مات- رحمه اللّه- بعد أن أفتى و درّس و كتب و ألّف و نظم و نثر. و من شعره- رحمه اللّه تعالى-. [الكامل]

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۱، ص: ۱۳۷

ودّعته و لثمت باسم ثغره مع خدّه و ضممت مائس قدّه

ثمّ انتبهت و مقلتى تبكى دما يا ربّ لا تجعله آخر عهده

قلت: و يعجبنى فى هذا المعنى قول الأديب المفتنّ علاء الدين علىّ كاتب ابن وداعة. [مخلّع البسيط]

إذا رأيت الوداع فاصبر و لا يهمّنّك البعاد

و انتظر العود عن قريب فإنّ قلب الوداع عادوا

و توفّى القاضى شهاب الدين أبو العباس أحمد ابن القاضى علاء الدين على ابن القاضى محيى الدين يحيى بن فضل اللّه بن المجلى بن دعجان، ينتهى نسبه الى الإمام عمر بن الخطاب- رضى اللّه عنه- مات بدمشق و دفن بسفح قاسيون عن نيف و ثلاثين سنة بعد أن باشر نيابة كتابة سر مصر عن والده. و كان إماما بليغا كاتبا ناظما ناثرا أخذ العربية عن الشيخ كمال الدين بن قاضى شهبة ثم عن قاضى القضاة شمس الدين محمد بن مسلّم- رحمهم اللّه تعالى- و توجّه القاضى شهاب الدين المذكور إلى دمشق و استوطنها إلى أن مات. و شهاب الدين هذا سمى على اسم عمّه شهاب الدين أحمد صاحب «مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار» و قد مرّ ذكره و ذكر جماعة من آبائه و أقاربه.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۱، ص: ۱۳۸

و توفّى الشيخ المعتقد أحمد بن مسعود المجذوب و دفن بالقرافة بالقرب من قبّة الإمام الشافعىّ- رضى اللّه عنه- و كان يجلس فى المريس دائما و للناس فيه اعتقاد.

و توفّى الإمام العالم العلّامة شمس الدين أبو عبد اللّه محمد بن عبد الرحمن بن على الشهير بابن الصائغ الحنفىّ- رحمه اللّه- فى يوم الثلاثاء ثانى عشر شهر شعبان، و كان إماما فى القراءات و سمع الحديث و أخذ النحو عن أبى حيّان و برع فى الفقه و أعاد و درّس و أفاد و أفتى و برع فى النحو و الأدب و درّس بجامع ابن طولون بالقاهرة و تولّى قضاء العسكر بمصر و كان أديبا لطيفا ظريفا بارعا فى النظم و من شعره: [الطويل]

بروحى أفدى خاله فوق خدّه و من أنا فى الدنيا فأفديه بالمال

تبارك من أخلى من الشّعر خدّه و أسكن كلّ الحسن فى ذلك الخال

و له عفا اللّه عنه: [الرجز]

قاس الورّى وجه حبيبى بالقمر لجامع بينهما و هو الخفر

قلت القياس باطل بفرقه و بعد ذا عندى فى الوجه نظر

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۱، ص: ۱۳۹

و له: [السريع]

و شادن ظلّت عيون الرّبا لمّا رأته مقبلا ساجده

سألته من ريقه شربة فقال ذى مسألة بارده

و توفّى السيّد الشريف عزّ الدّين عجلان بن رميثة بن أبى نمىّ محمد بن أبى سعد حسن بن على بن قتادة بن إدريس المكىّ الحسنىّ

أمير مكـة. و كان قبل موته نزل لولده السيّد الشـريف أحمد بن عجلان عن نصف إمرة مكة التى كانت بيده، فإنه كان قبل ذلك نزل له عن النّصف الأوّل قديما و كان ولى إمرة مكة غير مرة نحو ثلاثين سنة مستقلا بها مدّة و شريكا لأخيه ثقبة مدّة و شريكا لابنه أحمد هذا مدّة. و كانت وفاته فى ليلة الاثنين الحادى عشـر من شهر جمادى الأولى و دفن بالمعلاة- رحمه اللّه- و قد قارب السبعين سنة من العمر، و كان ذا عقل و دهاء و معرفة بالأمور و سياسة حسـنة. و كان بخلاف آبائه و أقاربه يحبّ أهل السّـنّة و ينصـرهم على الشّيعة و ربما كان يـذكر أنه شافعىّ المـذهب، و هـذا نادرة فى السادة الأشـراف، فإنّ غالبهم زيديّـة يتجاهرون بـذلك. قيل: إنه ذكر عنده مرة معاوية بن أبى سفيان لينظروا رأيه فيه، فقال عجلان: معاوية شيخ من كبار قريش لاح له الملك فتلقّفه.

قلت: لو لم يكن من محاسـنه إلا اتباعه للسّـنة النبويـة لكفاه ذلك شـرفا. و كان ممـدوحا، مدحه النّشو أحد شـعراء مكة بقصـيدة طنّانة أوّلها: [الكامل]

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ١۴٠

لو لا الغرام و وجده و نحو له ما كنت ترحمه و أنت عدو له

إن كنت تنكره فسل عن حاله فالحبّ داء لا يفيق عليله

يا من يلوم على الهوى أهل الهوى دع لومهم فالصبر مات جميله

و توفّى الأمير سيف الـدين أسـنبغا بن بكتمر الأبوبكرىّ فى يوم الأربعاء خامس المحرّم و كان من عظماء أمراء الديار المصـرية، كان خصيصا عند الملك الناصر محمد ابن قلاوون و أنعم عليه بإمرة طبلخاناه. ثم ترقى بعد موته حتى ولى الأمير آخورية الكبرى للسلطان حسن. ثم للاشرف. ثم ولى نيابة الإسكندرية. ثم نيابة حلب.

ثم حجوبيّة الحجّاب بديار مصر و طالت أيامه فى السعادة و أظنّه صاحب الأبوبكريّة داخل القاهرة. و اللّه أعلم.

و توفّى الشـيخ الإمام المعتقـد العالم العلّامـة جمال الدين عبد اللّه بن محمد بن أبى بكر بن خليل بن إبراهيم بن يحيى بن أبى عبد اللّه بن يحيى بن إبراهيم بن سـعيد بن طلحة بن موسـى بن إسـحاق بن عبد اللّه بن محمد بن أبان بن عثمان بن عفّان- رضى اللّه عنه- فى يوم الأحد ثالث شهر جمادى الأولى بخلوته بسطح جامع

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ١۴١

الحاكم. و كانت جنازته مشـهودة جـدّا، اجتمع فيها خلائق لا تحصـى- رحمه اللّه- و مولـده فى سـنة أربع و تسـعين و سـتمائة. و كان فقيها شافعيّا صاحب فنون و علوم.

و توفّى الأمير ناصـر الـدين محمـد ابن الأمير قيران الحسامىّ، كان أحـد أمراء الطبلخانات بالـديار المصـريّة- رحمه اللّه تعالى- و كان كريما شجاعا مقداما و له وجاهة فى الدّول و حرمة وافرة.

و توفّى تاج الدين أبو غالب الكلبشاوى الأسـلمىّ القبطىّ ناظر الذّخيرة فى نصف شـهر شوّال و إليه تنسب المدرسة المعروفة بمدرسـة أبى غالب تجاه باب

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ١۴٢

الخوخـة ظاهر القاهرة. و توفى شـيخ الكتّاب غازى بن قطلوبغا التركى فى شـهر رجب، و قـد انتهت إليه الرياسـة فى الخط المنسوب و تصدّر للإفادة سنين عديدة و انتشر خطه فى الآفاق.

و توفّى الشـيخ نور الدين علىّ بن محمد بن محمد بن علىّ بن أحمد الكنانىّ العسقلانىّ الشافعىّ الشهير بابن حجر والد الحافظ شهاب الدين أحمد بن حجر فى يوم الأربعاء عاشر شهر رجب، و كان تاجرا بمدينة مصر القديمة، و تفقّه على مذهب الإمام الشافعىّ

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ١۴٣

- رضى اللّه عنه- و حفظ الحاوى و أخذ الفقه عن بهاء الدين محمد بن عقيل- رحمه اللّه- و قال الشعر، و من شعره يشير إلى المتجر:

[المجتث]

إسكندريّة كم ذا يسمو قماشك عزّا

فطمت نفسى عنها فلست أطلب بزّا

و له أيضا: [الكامل]

يا ربّ أعضاء السّجود عتقتها من فضلك الوافى و أنت الواقى

و العتق يشرى بالغنى ياذا الغنى فامنن على الفانى بعتق الباقى

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم خمسة أذرع و أربعة أصابع.

مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعا و ثلاثة عشر إصبعا. و اللّه أعلم.

[ما وقع من الحوادث سنة ٧٧٨]

اشارة

السنة الرابعة عشرة من سلطنة الملك الأشرف شعبان بن حسين على مصر و هى سنة ثمان و سبعين و سبعمائة و هى التى قتل فيها فى ذى القعدة.

فيها توفّى القاضى محبّ الدين أبو عبد اللّه محمد ابن القاضى نجم الدين أبى المحاسن يوسف بن أحمد بن عبد الدائم التّميمىّ المصرىّ ناظر الجيوش المنصورة بالديار المصرية بها فى يوم الثلاثاء ثانى عشر شهر ذى الحجة عن إحدى و ثمانين سنة. و كان فى ابتداء أمره تولّى ديوان چنكلى بن البابا ثم خدم عند الأمير منكلى الفخرىّ فكتب إليه الشيخ صلاح الدين الصّفدىّ يقول: [السريع]

من چنكلى صرت الى منكلى فكلّ خير أرتجى منك لى

و أنت لى كهف و ما مقصدى من هذه الدنيا سوى أنت لى

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ١۴۴

و كان القاضى محبّ الدين المذكور رجلا صالحا فاضلا و له سماع عال و له مصنّفات- رحمه اللّه- منها «شرح التسهيل» [فى النحو] فى أربعة مجلدات و «شرح التلخيص فى المعانى و البيان» و غير ذلك.

و توفّى الشيخ الإمام العالم العلّامة تقىّ الدين أبو الفداء إسماعيل بن نور الدين علىّ بن الحسن القلقشندىّ الشافعىّ المصرىّ مفتى المسلمين بالقدس الشريف عن نحو سبعين سنة و كان فقيها برع فى عدّة علوم و أفتى و درّس و استقل. رحمه اللّه.

و توفّى الشيخ المسند المعمّر الرّحلة أبو حفص عمر بن الحسن بن مزيد الشهير بابن أميلة المراغىّ الحلبى ثم الدمشقىّ بها عن ثمان و تسعين سنة، بعد أن صار رحلة زمانه و قصد من الأقطار للسماع عليه فسمع منه خلائق كثيرة.

و توفّى الشيخ الأديب جمال الدين أبو الربيع سليمان بن داود بن يعقوب المصرىّ ثم الحلبىّ بحلب، و قد قارب الخمسين سنة و كان معدودا من الكتّاب الأدباء الفضلاء، و من شعره: [الطويل]

رياض جرت بالظّلم عادات ريحها و سار بغير العدل فى الحكم سيرها

ففرّقت الاغصان عند اعتناقها و سلسلت الانهار إذ جنّ طيرها

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ١۴۵

و توفّى الأمير سيف الدين يعقوب شاه بن عبد اللّه الحاجب الثانى و أحد مقدّمى الألوف بالديار المصرية، و كان ممن قام مع الملك الأشرف فى واقعة أسندمر و أظهر شجاعة عظيمة، فقرّبه السلطان الملك الأشرف من ثمّ و رقّاه و أنعم عليه، حتى جعله من جملة

الأمراء الألوف بالديار المصرية إلى أن مات- رحمه اللّه تعالى-.

و توفّى السلطان الملك الأفضل عباس ابن الملك المجاهد علىّ ابن الملك المؤيّد داود ابن الملك المظفّر يوسف بن عمر [بن على] بن رسول التّركمانىّ الأصل اليمنىّ صاحب اليمن و ابن صاحبها- رحمه اللّه تعالى- فى شعبان، و تسلطن بعده ولده السلطان الملك الأشرف إسماعيل، و كان الملك الأفضل ولى السلطنة بعد موت أبيه المجاهد فى شهر جمادى الأولى سنة أربع و ستين و سبعمائة. و لمّا ولى اليمن خرج فى أيامه ابن ميكائيل فوقع له معه وقائع، حتى أباده الأفضل و زالت دولة ابن ميكائيل فى أيامه.

و كان الأفضل- رحمه اللّه- شجاعا مهابا كريما و له إلمام بالعلوم و الفضائل و مشاركة جيّدة فى عدّة علوم و تصانيف منها: «كتاب العطايا السنية فى ذكر أعيان اليمنية» و «كتاب نزهة العيون فى تاريخ طوائف القرون» و «مختصر تاريخ ابن خلّكان» و «كتاب بغية ذوى الهمم فى أنساب العرب و العجم» و كتاب آخر «فى الألغاز الفقهية» و غير ذلك. و كان فيه برّ و صدقة و له مآثر حسنة- رحمه اللّه تعالى-

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ١۴۶

بنى مدرسة عظيمة بتعزّ و له أيضا بمكة مدرسة معروفة به بالصفا. و قيل: إن هذه التصانيف المذكورة إنما هى لقاضى تعز رضىّ الدين أبى بكر بن محمد بن يوسف الجرائى الصبرىّ [الناشرى]- رحمه اللّه- عمل ذلك على لسان الأفضل- و اللّه أعلم-.

و توفّى الأمير سيف الدين جركتمر بن عبد اللّه الخاصّكى الأشرفىّ أحد مقدّمى الألوف بالقاهرة مقتولا فى هذه السنة و كان من خواصّ الملك الأشرف هذا و من أجلّ مماليكه.

و توفّى السلطان الملك المظفّر فخر الدين داود ابن الملك الصالح صالح ابن الملك المنصور غازى بن ألبى بن تمرتاش بن إيل غازى بن أرتق الأرتقىّ صاحب ماردين و ابن صاحبها بماردين فى هذه السنة، بعد أن حكمها نحو عشرين سنة و تولّى سلطنة ماردين من بعده ابنه الملك الظاهر مجد الدين عيسى الآتى ذكره فى محلّه- إن شاء اللّه تعالى- و كان الملك المظفر هذا ولى ملك ماردين بعد ابن أخيه الملك الصالح محمود الذى أقام فى سلطنة ماردين أربعة أشهر عوضا عن والده الملك المنصور أحمد ابن الملك الصالح صالح و خلع و تسلطن الملك المظفر هذا فأظهر العدل و اقتفى أثر والده الملك الصالح فى الإحسان إلى الرعية و إصلاح الأمور إلى أن مات- رحمه اللّه-.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ١۴٧

و توفّى فى هذه السنة جماعة كبيرة من الأمراء الأشرفية ممن مرّ ذكرهم فى أواخر ترجمة الملك الأشرف، قتلوا بالسيف عند كسرة الأشرف من العقبة، و هم: الأمير سيف الدين أرغون شاه بن عبد اللّه الجمالىّ الأشرفى أحد مقدّمى الألوف بالديار المصرية و أجلّ أمراء الأشرف، بعد أن قدم معه من العقبة و الأمير سيف الدين صرغتمش بن عبد اللّه الأشرفىّ رأس نوبة فى النّوب و أحد مقدّمى الألوف أيضا بالديار المصرية و الأمير سيف الدين يلبغا بن عبد اللّه السابقىّ الأشرفى أحد مقدّمى الألوف أيضا و الأمير سيف الدين بشتك بن عبد اللّه الأشرفىّ أحد مقدّمى الألوف أيضا و هو غير بشتك الناصرى صاحب القصر و الحمّام و الأمير سيف الدين أرغون ابن عبد اللّه العزّى الأشرفىّ الأفرم أحد مقدّمى الألوف أيضا و غيرهم من أمراء الطبلخانات و العشرات.

و هؤلاء الذين ذكروا هم أعيان الأشرفية القادمون صحبة أستاذهم الملك الأشرف من العقبة إلى مصر، قتلوا الجميع فى ساعة واحدة و أتوا برءوسهم من قبة النصر إلى الأمراء الذين ثاروا بالقاهرة و هم يقولون: «صلّوا على محمّد» و وضعوها بين يديهم.

و قد تقدّم ذكر ذلك كلّه فى أواخر ترجمة الملك الأشرف شعبان، و تأتى بقيّة ما وقع فى ترجمة الملك المنصور على ابن الملك الأشرف شعبان هذا.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ستة أذرع و اثنتا عشرة إصبعا.

مبلغ الزيادة تسعة عشر ذراعا و إصبعان. و اللّه أعلم.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۱، ص: ۱۴۸

ذكر سلطنة الملك المنصور علىّ على مصر

السلطان الملك المنصور علاء الدين علىّ ابن السلطان الملك الأشرف زين الدّين شعبان ابن الأمير الملك الأمجد حسين ابن السلطان الملك الناصر محمد ابن السلطان الملك المنصور قلاوون الألفىّ الصالحىّ و هو السلطان الثالث و العشرون من ملوك الترك بالديار المصرية، تسلطن فى حياة والده حسب ما تقدّم ذكره أنّ الأمير قرطاى و طشتمر اللّفاف و أينبك البدرىّ لمّا ثاروا بمن معهم بالدّيار المصرية، و طلعوا إلى القلعة و أخذوا أمير علىّ هذا من الدور السلطانية و سلطنوه فى حياة والده أرادوا بذلك انضمام الناس عليهم فإنهم كانوا أشاعوا موت الملك الأشرف شعبان فى العقبة حتى تمّ لهم ما أرادوه و سلطنوا أمير علىّ هذا من غير حضور الخليفة و القضاة فإنهم كانوا صحبة السلطان الملك الأشرف بالعقبة فلمّا زالت دولة الملك الأشرف و قبض عليه و قتل ثم حضر الخليفة المتوكّل على اللّه أبو عبد اللّه محمد من العقبة و كان القضاة بالقدس الشريف توجّهوا إليه من العقبة بعد واقعة الملك الأشرف و هروبه الى مصر.

فلما كان يوم الخميس ثامن شهر ذى القعدة سنة ثمان و سبعين و سبعمائة و ذلك بعد قتل الملك الأشرف شعبان بثلاثة أيام، اجتمع الأمراء القائمون بهذا الأمر بالقلعة و استدعوا الخليفة و من كان بمصر من القضاة و نوّاب من هو غائب من القضاة بالقدس و حضر الأمير آقتمر الصاحبىّ نائب السلطنة بالديار المصرية و قعدوا الجميع بباب الآدر الشريفة من قلعة الجبل و جدّدوا البيعة بالسلطنة للملك المنصور علىّ هذا بعد وفاة أبيه الملك الأشرف و قبل له البيعة آقتمر الصاحبىّ المذكور

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۱، ص: ۱۴۹

و لبسوه السواد خلعة السلطنة و كانت فرجيّة حرير بنفسجىّ بطرز ذهب و بدائرها تركيبة زركش بحاشية حرير أزرق خطائى وشاش أسود خليفتى و قبعا أسود بعذبة خليفتيّا زركش. و ركب بأبّهة السلطنة و شعار الملك من باب الستارة و الأمراء مشاة بين يديه إلى أن وصل إلى الإيوان و جلس على تخت الملك فى يوم الخميس المذكور و قبّلت الأمراء الأرض بين يديه و حلفوا له على العادة و أخلع على الخليفة و على الأمراء و على من له عادة بلبس الخلع و مدّ السّماط و كان عمر السلطان الملك المنصور يوم تسلطن نحو سبع سنين تخمينا.

ثم قام الملك المنصور من الإيوان و دخل إلى القصر و أخلع على الأمير طشتمر اللفّاف [المحمدى] باستقراره أتابك العساكر بالديار المصرية و أنعم عليه بكل مال أرغون شاه الأشرفىّ بعد قتله، و خلع على الأمير قرطاى الطازىّ و استقرّ رأس نوبة كبيرا و أطابكا و أنعم عليه بكل مال صرغتمش الأشرفىّ بعد قتله أيضا، و رسم لهما أيضا أن يجلسا بالإيوان فى الميمنة، و خلع على أسندمر الصّرغتمشىّ و استقرّ أمير سلاح و رسم له أن يجلس فى الميسرة، و خلع على قطلوبغا البدرىّ و استقرّ أمير مجلس و خلع على طشتمر العلائى الدوادار و استقرّ فى نيابة دمشق و رسم له أن يخرج من يومه و خلع على إياس الصرغتمشىّ و استقرّ دويدارا كبيرا عوضا عن طشتمر العلائىّ بإمرة طبلخاناه. ثم أنعم على أينبك البدرىّ و استقر أمير آخور كبيرا و بلاط السيفىّ ألجاى الصغير و دمراش اليوسفىّ و استقرّ رأس نوبة ثانيا- و هذه الوظيفة هى الآن

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۱، ص: ۱۵۰

وظيفة رأس نوبة النّوب فى زماننا هذا- و يلبغا النظامىّ و ألطنبغا السلطانىّ، و كان الجميع أجنادا ماعدا أينبك البدرىّ فإنه كان أمير طبلخاناه و طشتمر اللفّاف فإنه كان أمير عشرة فانتقل للأتابكيّة دفعة واحدة و أنعم على جماعة بإمرة طبلخاناه، و هم:

الأمير طغيتمر الناصرىّ و قطلوبغا البيسرىّ و بيخجا الكاملىّ و صربغا الناصرىّ و طولو الصّرغتمشىّ و أطلمش الأرغونىّ و مقبل الرومىّ و ألجيبغا السيفىّ ألجاى و قطلوبغا النظامىّ و أحمد بن يحمر التّركمانىّ و قطلوخجا أخو أينبك البدرىّ و تمربغا البدرىّ و ألطنبغا

المعلّم و تلكتمر بن عبد اللّه المنصوريّ و أسنبغا الصارميّ و أطلمش الطازيّ و إبراهيم بن قطلقتمر العلائى و أرنبغا السيفيّ ألجيبغا و عليّ بن آقتمر عبد الغنيّ و أسنبغا النظاميّ و مأمور القلمطاويّ.

و أنعم على جماعة بإمرة عشرات و هم: تكا الشمسيّ و محمد بن قرطاى الطازيّ و خضر بن ألطنبغا السلطانى و محمد بن شعبان بن يلبغا العمريّ و أسنبغا المحموديّ و طبج المحمديّ و ألطنبغا شادى و سودون العثمانيّ شادّ السلاح خاناه و تلكتمر المنجكيّ و آقبغا السيفيّ ألجاى و جركس السّيفيّ ألجاى و طقتمش السيفيّ يلبغا و طوغان العمريّ الظهيريّ و بكلمش الإبراهيميّ و يلبغا العلائى دوادار أمير عليّ النائب و يوسف بن شادى أخو حاج ملك و خضر الرسوليّ و أسندمر الشرفيّ و مغلطاى الشرفيّ و خليل بن أسندمر العلائيّ و رمضان بن صرغتمش و حسن أخو قطلوبغا حاجّى أمير علم و منكلى الشمسيّ و ألجيبغا السيفيّ جنقرا.

ثم رسم بالإفراج عن جماعة من السجن بقلعة الجبل فى يوم السبت عاشر شهر ذى القعدة و هم: الأمير آقتمر عبد الغنى نائب السلطنة بديار مصر و نائب الشام كان

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ١٥١

و الأمير علم المحمديّ و أيدمر الشمسيّ و سودون جركس المنجكيّ و طيبغا الصّفويّ ألجاى و مغلطاى البدريّ الجماليّ و صربغا السيفيّ و طشتمر الصالحيّ و بلاط الكبير السيفيّ ألجاى و حطط اليلبغاويّ و إياس المارديني و بلّوط الصرّغتمشيّ و يلبغا المنجكيّ و قرابغا أبو جركتمر و حاجيّ خطاى والد غريب. ثم من الغد أمر بمسكهم ثانيا و تقييدهم و إرسالهم إلى سجن الإسكندرية فقبض عليهم و أرسلوا فى تلك الليلة ما خلا آقتمر عبد الغنيّ و سودون المنجكيّ.

ثم فى يوم الأحد ثامن عشر ذى القعدة قبضوا على جماعة من مباشرى الدولة و طلعوا بهم إلى القلعة و هم: الصاحب الوزير شمس الدين المقسى و تاج الدين موسى ناظر الخواصّ الشريفة و أمين الدّين و علاء الدّين بن السائس و شهاب الدين ابن الطّولونى و أدخلوا قاعة الصاحب و صودروا حتى قرّر عليهم ما يقومون به من الأموال ثم أفرج عنهم.

ثم أحضر الأمير صلاح الدين خليل بن عرّام من الإسكندرية و صودر و قرّر عليه ألف ألف درهم ثم خلع عليه باستقراره فى نيابة الإسكندرية على عادته.

ثمّ مسكوا من الطواشية و الخدّام جماعة كبيرة، و هم: مختصّ الأشرفيّ و جوهر الإسكندريّ و سنبل رأس نوبة الجمدارية و أدخلوا قاعة الصاحب.

ثم أصبحوا من الغد قبضوا على جماعة أخروهم: دينار اللّالا و شاهين دست و سنبل اللّفاف أحد الجمدارية و أدخلوا أيضا إلى قاعة الصاحب. ثم أصبحوا من الغد و رسموا لمثقال الجماليّ الزّمام بحمل ثلاثمائة ألف درهم، ثم استقرّت مائة ألف درهم.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ١٥٢

ثم فى يوم الاثنين تاسع عشر ذى القعدة خلع على الأمير آقتمر الصاحبيّ و استقرّ على نيابة السلطنة بالدّيار المصرية، كما كان فى أيام الملك الأشرف شعبان، و فوّض إليه أن يخرج الإقطاعات للأمراء و الأجناد و النوّاب و ألّا يكون لأحد معه تحكّم و ذلك بعد أن رضيت الأمراء و الخاصّكية و البرّانيّون بذلك.

ثم أخلع على الأمير أرغون الإسعرديّ بنيابة طرابلس عوضا عن الأمير منكلى بغا الأحمديّ البلدي. ثم أخلع على القاضى بدر الدين بن فضل اللّه كاتب السّر باستمراره على وظيفته.

ثم أخلع على الصاحب تاج الدين المكّيّ بإعادته إلى الوزارة ثانية و هى وزارته الرابعة و أخلع على القاضى كريم الدين بن الرّويهب باستقراره ناظر الدولة و استقرّ القاضى تقيّ الدين عبد الرحمن ابن القاضى محب الدين محمد فى نظر الجيوش المنصورة عوضا عن والده محبّ الدين المذكور بحكم وفاته.

ثم شرع الأمراء فى النفقة على المماليك السلطانية فأعطوا كلّ نفر عشرة آلاف درهم. و فى ثانى عشر شهر ذى الحجة قرئ تقليد

السلطان الملك المنصور على بالإيوان من قلعة الجبل و علّم عليه الخليفة المتوكّل على اللّه و شهدت عليه القضاة بتفويض السلطنة للملك المنصور و خلع على الخليفة و أنعم عليه بألف دينار و هى رسم المبايعة.

ثم بعد أيام دخل أسندمر الصرغتمشىّ و دمرداش اليوسفىّ إلى الدّور السلطانيّة و فرّقوا جوارى الملك الأشرف شعبان على الأمراء.

ثم استقرّ فى خامس المحرّم من سنة تسع و سبعين و سبعمائة الأمير قرطاى الطازىّ أتابكا بعد موت طشتمر اللّفّاف و أخلع عليه بعد أيام بنظر البيمارستان

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۱، ص: ۱۵۳

المنصورىّ و أخلع على الأمير مبارك الطازىّ و استقرّ رأس نوبة كبيرا عوضا عن قرطاى المذكور. ثم بعد ذلك بمدّة يسيرة استقرّ الأمير أينبك البدرىّ الأمير آخور الكبير فى نظر البيمارستان، عوضا عن قرطاى برغبة قرطاى عنه و استقرّ سودون جركس أستادارا.

ثم فى العشرين من المحرّم خلع على الأمير سودون الفخرىّ الشّيخونىّ و بلّوط الصرغتمشىّ و استقرّا حاجبين بالديار المصريّة.

ثم فى صفر حضر الأمير يلبغا الناصرىّ إلى القاهرة و كان قد نفى إلى بلاد الشام، بعد قتل السلطان الأشرف فأنعم عليه بإمرة طبلخاناه و كانوا أيضا قبل تاريخه قد عزلوا الأمير منكلى بغا الأحمدىّ عن نيابة طرابلس و تمربای نائب صفد عن نيابة صفد فجاء الخبر بأنّ منكلى بغا حلّ سيفه و أطاع و أنّ تمربای عصى و امتنع بصفد فخلع على الأمير أرغون الإسعردىّ ثانيا بنيابة طرابلس عوضا عن منكلى بغا المذكور و تولى نيابة حماة تمراز الطازىّ.

ثم فى هذه الأيام بدت الوحشة بين قرطاى الطازىّ الأتابك و بين صهره أينبك البدرىّ الأمير آخور الكبير فى الباطن، كلّ ذلك فى هذه المدّة اليسيرة و صار كلّ واحد يدبّر على الآخر مع أصحابه و حواشيه، فلمّا كان يوم الأحد العشرون من صفر عمل الأمير الأتابك قرطاى وليمة فأهدى له أينبك مشروبا يقال له الشّششو و عمل فيه بنجا، فلمّا شربه قرطاى تبنّج، و كان لأينبك عند قرطاى عيون فأخبروه أنّه تبنّج فركب أينبك من وقته بالسلاح و معه جماعة كبيرة ملبسين و أنزل السلطان الملك المنصور عليّا إلى الإسطبل السلطانىّ و دقّت الكوسات فجاءت الأمراء إلى السلطان و أقام أينبك راكبا من عصر يوم الأحد إلى صبيحة يوم الاثنين، و سببه أنه كان

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۱، ص: ۱۵۴

عند قرطاى فى بيته جماعة من الأمراء من أصحابه: منهم سودون جركس و أسندمر الصرغتمشىّ و قطلوبغا البدرىّ و قطلوبغا جركس و أمير سلاح و مبارك الطازىّ رأس نوبة كبير و جماعة أخر من أمراء الطبلخانات و العشرات فركبوا الجميع و منعوا أينبك من الوصول إلى قرطاى و حموه إلى أن استفاق قرطاى من بنجه و قد ضعف أمر أصحابه و قوى أمر أينبك، فبعث قرطاى يسأل أينبك أن ينعم عليه بنيابة حلب و يرسل إليه منديل الأمان، فأجابه أينبك إلى ذلك فخرج قرطاى من وقته إلى سرياقوس و قبض أينبك على من كان عند قرطاى من الأمراء فإنّهم كانوا قاتلوه و أبادوه من أخذ قرطاى و قيّدهم و أرسلهم إلى الإسكندرية فسجنوا بها. و رسم للأمير آقتمر الصاحبىّ نائب السلطنة بمصر بنيابة دمشق عوضا عن طشتمر العلائىّ الدوادار فلبس آقتمر الخلعة و خرج من وقته و نودى بالقاهرة و مصر فى الوقت بالأمان و من كان له ظلامة، فعليه بباب المقرّ الأشرف العزىّ الأتابك أينبك البدرىّ و سافر قرطاى، فلمّا وصل إلى غزّة نفى إلى طرابلس. ثم حمل منها إلى المرقب فحبس به ثم خنق بعد مدّة يسيرة وصفا الوقت لأينبك فأخلع السلطان عليه خلعة سنيّة فى خامس عشرين شهر صفر باستقراره أتابك العساكر و مدبّر الممالك و خلع على الأمير آقتمر عبد الغنى و استقرّ نائب السلطنة بالديار المصريّة عوضا عن الأمير آقتمر الصاحبىّ المنتقل إلى نيابة دمشق و كلاهما قديم هجرة من أكابر الأمراء المشايخ.

و استقرّ الأمير بهادر الجمالىّ أستادارا عوضا عن سودون جركس و استقرّ بلاط السيفى ألجاى أمير سلاح، عوضا عن قطلوبغا جركس و استقرّ ألطنبغا السلطانىّ أمير مجلس و استقرّ دمرداش اليوسفىّ رأس نوبة كبيرا.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۱، ص: ۱۵۵

و أنعم على يلبغا الناصرىّ بإمرة مائة و تقدمة ألف و استقرّ رأس نوبة ثانيا و يلبغا الناصرىّ هذا هو صاحب الوقعة المشهورة مع السلطان الملك الظاهر برقوق و إلى الآن برقوق لم يتأمّر عشرة.

ثم أنعم على أطلمش الأرغونىّ بإمرة طبلخاناه و استقرّ دوادار كبيرا عوضا عن إياس الصرغتمشىّ و أخلع على قطلوخجا و استقرّ أمير آخور كبيرا عوضا عن أخيه أينبك البدرىّ و صار الأمر فى المملكة لأينبك البدرىّ وحده من غير منازع و أخذ أينبك فى المملكة و أعطى و حكم بما اختاره و أراده، فمن ذلك أنه فى رابع شهر ربيع الأوّل رسم بنفى الخليفة المتوكّل على اللّه تعالى إلى مدينة قوص فخرج المتوكل على اللّه ثم شفع فيه فعاد إلى بيته و من الغد طلب أينبك نجم الدين زكريا بن إبراهيم ابن الخليفة الحاكم بأمر اللّه و خلع عليه و استقرّ به فى الخلافة عوضا عن المتوكّل على اللّه من غير مبايعة و لا- خلع المتوكل من الخلافة نفسه، و لقّب زكرياء المذكور بالمعتصم باللّه. ثم فى العشرين من شهر ربيع الأوّل المذكور تكلّم الأمراء مع أينبك فيما فعله مع الخليفة و رغّبوه فى إعادته فطلبه و أخلع عليه على عادته بالخلافة و عزل زكرياء. و من الناس من لم يثبت خلافة زكريا المذكور، فإنّه لم يخلع المتوكل نفسه من الخلافة حتى يبايع زكريا المذكور.

ثم بدا لأينبك أن يسكن جماعة من مماليكه بمدرسة السلطان حسن و بمدرسة الملك الأشرف شعبان و يجعل فى كل مدرسة مائة مملوك. ثم أعطى أينبك لولديه تقدمتى ألف و هما الأمير أحمد و أبو بكر. ثم نفى أرغون العثمانىّ إلى الشام بطالا و خلع على مقبل الدوادار الطواشىّ الرومىّ و استقرّ زماما بالآدر الشريفة عوضا عن

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۱، ص: ۱۵۶

مثقال الجمالىّ. ثم خلع على بهادر الجمالىّ الأستادار و استقرّ فى نظر البيمارستان المنصورىّ.

و بينما أينبك فى أمره و نهيه ورد عليه الخبر بعصيان نوّاب الشام ففى الحال علّق أينبك جاليش السفر فى تاسع عشر شهر ربيع الأوّل المذكور و رسم للعساكر بالتجهيز إلى سفر الشام و أسرع بالنفقة على العساكر و تجهّز فى أسرع وقت و خرج الجاليش من القاهرة إلى الريدانية فى سادس عشرين شهر ربيع الأوّل المذكور و هم خمسة من أمراء الألوف أوّلهم: قطلوخجا الأمير آخور الكبير أخو أينبك الأتابك و أحمد ولده و يلبغا الناصرىّ و الأمير بلاط السيفىّ ألجاى و تمربای الحسنىّ. و من الطبلخانات بورى الأحمدىّ و آقبغا آص الشيخونىّ فى آخرين و مائة مملوك من المماليك السلطانية و مائة مملوك من مماليك الأتابك أينبك.

و فى تاسع عشرين شهر ربيع الأوّل المذكور من سنة تسع و سبعين و سبعمائة خرج طلب السلطان الملك المنصور و طلب الأتابك أينبك البدرىّ و أطلاب بقيّة العساكر من الأمراء و غيرهم إلى الرّيدانية فأقاموا بالريدانية إلى يوم السبت مستهلّ شهر ربيع الآخر استقلّوا بالمسير قاصدين البلاد الشامية، و ساروا حتى وصلوا بلبيس رجعوا على أعقابهم بالعساكر إلى جهة الديار المصرية.

و خبر ذلك أن قطلوخجا أخا أينبك مقدّم الجاليش بلغه أن الجماعة الذين معه مخامرون و أنهم أرادوا أن يكبسوا عليه فاستقصّ الخبر حتّى تحقّقه فركب من وقته و ساعته و هرب فى الحال و هو فى ثلاثة أنفس عائدا إلى أخيه أينبك فاجتمع به و عرّفه

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۱، ص: ۱۵۷

الخبر ففى الحال أخذ أينبك السلطان و رجع به إلى نحو القاهرة حتّى وصلها فى يوم الاثنين ثالث شهر ربيع الآخر و طلع به إلى قلعة الجبل و أنزل الأتابك أينبك السلطان الملك المنصور إلى الإسطبل السلطانىّ و جاءه بعض أمراء من أصحابه ثم أخذ أينبك فى إصلاح أمره و بينما هو فى ذلك بلغه أن الأمير قطلقتمر العلائىّ الطويل و الأمير ألطنبغا السلطانىّ و كانا رجعا معه من بلبيس، ركبا بجماعتهما فى نصف الليل و معهما عدّة من الأمراء و سائر المماليك السلطانية و خرج الجميع إلى قبّة النصر موافقة لمن كان من الأمراء بالجاليش المقدّم ذكره، فجهز أينبك الأمير قطلوخجا فى مائتى مملوك لقتال هؤلاء، فخرج بهم قطلوخجا إلى قبّة النصر، فتلقّاه القوم و حملوا عليه فآنكسر و مسك.

فلما بلغ أينبك ذلك جهّز الأمراء الذين كانوا بقلعة الجبل و أرسلهم إلى قبة النصر و هم: آقتمر من عبد الغنىّ نائب السلطنة و أيدمر

الشمسىّ و بهادر الجمالىّ الأستادار و مبارك الطازىّ. هذا و قد ضعف أمر أينبك المذكور و خارت قواه، فإنّه بلغه أن جميع العساكر اتّفقت على مخالفته حتى إنه لم يعلم من هو القائم بهذا الأمر لكثرة من خرج عليه، فلمّا رأى أمره فى إدبار ركب فرسه و نزل من الإسطبل السلطانىّ من غير قتال و هرب إلى ناحية كيمان مصر فتبعه أيدمر الخطائىّ و جماعة من العسكر فلم يقف له أحد على أثر، كلّ هذا و إلى الآن لم يجتمع من بالجاليش مع من هو بقبّة النصر من الأمراء، غير أنّ الفتنة قائمة على ساق و الغوغاء ثائرة و السعد قد زال عنه من غير تدبير و لا عمل و اختفى أينبك بتلك الجهة ثم وجدوا فرسه و قباءه و لبسه، و لمّا استولت الأمراء على القلعة على ما سنحكيه- إن شاء اللّه تعالى- بعد أن نذكر قتلة أينبك المذكور ألزموا و الى القاهرة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۱، ص: ۱۵۸

و مصر بإحضاره فنودى عليه بالقاهرة و مصر و هدّد من أخفاه بانواع النّكال، فخاف كلّ أحد على نفسه من تقريبه، فلم يجد بدّا من طلب الأمان من الأمير يلبغا الناصرىّ الآتى ذكره، فأمّنه بعد مدّة فطلع أينبك اليه فحال وقع بصر القوم عليه قبضوه و أرسلوه مقيّدا إلى سجن الإسكندرية و كان ذلك آخر العهد به، كما سيأتى ذكره بعد استيلاء الأمراء على القلعة. قلت «و كما تدين تدان». و ما من طالم إلّا سيبلى بظالم.

و فى أينبك هذا يقول الأديب شهاب الدين بن العطّار: [المنسرح]

من بعد عزّ قد ذلّ أينبكا و انحطّ بعد السّموّ من فتكا

و راح يبكى الدماء منفردا و الناس لا يعرفون أين بكى

و أمّا الأمراء فإنهم لمّا بلغهم هروب أينبك من قلعة الجبل ركبوا الجميع من قبّة النصر و طلعوا إلى الإسطبل السلطانىّ من القلعة و صار المتحدّث فيهم قطلقتمر العلائى الطويل و ضرب رنكه على إسطبل شيخون بالرميلة تجاه باب السلسلة و أقام ذلك اليوم متحدثا، فأشار عليه من عنده من أصحابه أن يسلطن سلطانا كبيرا يرجع الناس إلى أمره و نهيه، فلم يفعله و قال: حتّى يأتى إخواننا، يعنى الأمراء الذين كانوا بالجاليش مع قطلوبغا و هم الذين ذكرناهم فيما تقدّم عند خروج الجاليش و معهم من الأمراء الطبلخانات و العشرات جماعة: منهم برقوق العثمانىّ اليلبغاوىّ و بركة الجوبانىّ اليلبغاوىّ و كان أينبك قد أنعم على كل واحد منهما بإمرة طبلخاناه، بعد واقعة قرطاى دفعة واحدة من الجندية، قبل خروج السفر بأيام قليلة و هذا أوّل

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۱، ص: ۱۵۹

ظهور برقوق و بركة فى الدّول ثم حضرت الأمراء الذين كانوا بالجاليش إلى الإسطبل السلطانىّ و هم جمع كبير ممّن أنشأه أينبك و غيرهم و تكلّموا فيمن يكون إليه تدبير الملك و اشتوروا فى ذلك فاختلفوا. فى الكلام و ظهر للقادمين الغدر ممّن كان بالإسطبل السلطانىّ ممّن ذكرناه، فقبضوا على جماعة منهم و هم: قطلقتمر العلائىّ الطويل المذكور الذى كان دبّر الأمر لنفسه و ألطنبغا السلطانىّ و مبارك الطازىّ فى آخرين و قيّدوا الجميع و أرسلوا إلى الإسكندرية صحبة جمال الدين عبد اللّه بن بكتمر الحاجب و اتّفقوا على أن يكون المتكلم فى المملكة الأمير يلبغا الناصرىّ، فصار هو المتحدّث فى أحوال الملك و سكن الإسطبل السلطانىّ و أرسل بإحضار الأمير طشتمر العلائىّ الدوادار نائب الشام.

ثم فى يوم الأحد تاسع شهر ربيع الآخر لمّا تزايد الفحص على أينبك حضر أينبك بنفسه إلى عند الأمير بلاط فطلع به بلاط إلى يلبغا الناصرىّ بعد أن أخذ له منه الأمان حسب ما تقدّم ذكره، فلم تطل أيام يلبغا الناصرىّ فى التحدث و ظهر منه لين جنب، فاتّفق برقوق و بركة و هما حينذاك من أمراء الطبلخانات، لهم فيها دون الشهرين مع جماعة أخر و ركبوا فى سادس عشر شهر ربيع الآخر المذكور و ركبت معهم خشداشيّتهم من المماليك اليلبغاوية و مسكوا دمرداش اليوسفىّ و تمربای الحسنىّ و آقبغا آص الشيخونىّ و قطلوبغا الشعبانىّ و دمرداش التمان تمرىّ المعلّم و أسندمر العثمانىّ و أسنبغا تلكى و قيّدوا و أرسلوا إلى سجن الإسكندرية فسجنوا بها. و قد أضربنا عن أشياء كثيرة من وقائع هذه الأيام لاختلاف نقول الناس فيها، لأنّ غالب من وثب و أثار الفتنة من واقعة الملك الأشرف

شعبان إلى هذه الأيام كان فيما قيل فى العام الماضى إمّا جنديا و إمّا أمير

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۱، ص: ۱۶۰

عشرة لا يعرف من أحواله إلا القليل و أيضا لم يكن فى هذه الواقعة رجل عظيم له شأن قام بأمر و تبعته الناس، بل كل واقعة من هؤلاء تكون فيها جماعة كبيرة، كلّ منهم يقول: أنا ذاك و لهذا اختلفت النقول. و قد ذكرنا المقصود من ذلك كلّه و ما فيه كفاية. إن شاء اللّه تعالى.

و لنشرع الآن فى سياق ما وقع فى أيام الملك المنصور- إلى أن يتوفّى إلى رحمة اللّه تعالى- فنقول:

ثم فى النهار المذكور (أعنى اليوم الذى مسك فيه الأمراء) قبض أيضا على الطواشى مختار الحسامىّ مقدّم المماليك السلطانية و حبس بالبرج من القلعة ثم أفرج عنه بعد أيام قلائل و أعيد إلى تقدمة المماليك على عادته. ثم بعد مدّة يسيرة استقرّ برقوق العثمانىّ اليلبغاوىّ أمير آخور كبيرا دفعة واحدة و سكن بالإسطبل السلطانىّ و أنزل معه الأمير يلبغا الناصرىّ و استقرّ الأمير زين الدين بركة الجوبانى اليلبغاوىّ أمير مجلس. ثم حضر الأمير طشتمر الدوادار نائب الشام إلى الديار المصرية بطلب من يلبغا الناصرىّ لما كان متحدّثا فى أمور المملكة، فخرج السلطان الملك المنصور و سائر الأمراء لتلقيه إلى الرّيدانية خارج القاهرة، فلمّا رأى السلطان نزل عن فرسه و قبّل الأرض بين يديه و بكى و طلع فى خدمة السلطان إلى القلعة و خلع عليه باستقراره أتابك العساكر بالديار المصرية و حضر مع طشتمر من الشام الأمير تمربغا التمرتاشىّ و الأمير تغرى برمش و سودون الشيخونىّ و كان أينبك قد نقله إلى الشأم و الأمير طقطمش و نزل طشتمر إلى بيت شيخون بالرّميلة و سكن به ليحكم بين الناس.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۱، ص: ۱۶۱

فلمّا كان فى ثالث جمادى الأولى أمر طشتمر أن ينادى بالقاهرة و مصر «من كان له ظلامة فعليه بباب المقرّ الأشرف طشتمر العلائىّ».

ثم فى خامس جمادى الأولى المذكور أخلع السلطان على تمربغا التمرداشىّ باستقراره رأس نوبة كبيرا عوضا عن دمرداش اليوسفىّ و خلع على برقوق العثمانىّ باستمراره على وظيفة الأمير آخورية و على بركة الجوبانىّ باستمراره فى إمرة مجلس و أنعم على الأمير أطلمش الأرغونىّ بتقدمة ألف و استقرّ دوادارا كبيرا و استقرّ يلبغا المنجكىّ شادا لشراب خاناه و رسم للأمير بلاط أمير سلاح أن يجلس بالإيوان ثم استقرّ دينار الطواشى الناصرىّ لالا السلطان الملك المنصور عوضا عن مقبل الكلبكىّ بحكم نفيه.

و فى سلخ جمادى الآخرة عزل الأمير آقتمر عبد الغنىّ من نيابة السلطنة بديار مصر.

ثم استقرّ الأمير تغرى برمش حاجب الحجّاب بالقاهرة و استقرّ أمير علىّ ابن قشتمر حاجبا ثانيا بإمرة مائة و تقدمة ألف و يقال له: حاجب ميسرة.

ثم فى يوم الأحد ثانى شهر رجب توجّه الأمير أيتمش البجاسىّ إلى الإسكندرية بالإفراج عن جميع من بها من الأمراء المسجونين خلا أربعة أنفس: أينبك و أخوه قطلوخجا و أسندمر الصّرغتمشى و قيل جركس الجاولى الرابع و أنّ أينبك كان قتل.

فلما أحضروا الأمراء من الإسكندرية أخرجوا إلى بلاد الشام. ثم ولى الأمير بيدمر الخوارزمىّ نيابة الشام بعد موت الأمير آقتمر الصاحبىّ الحنبلىّ و كان آقتمر أحد من نفى من أكابر الأمراء المشايخ.

و أخلع على مبارك شاه المشطوب بنيابة غزة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۱، ص: ۱۶۲

و فى مستهلّ شعبان استقرّ قطلقتمر العلائىّ نائب ثغر الإسكندرية عوضا عن خليل بن عرّام ثم نفى ببغا الطويل العلائىّ أحد أمراء الطبلخانات إلى الشام بطّالا. ثم نقل الأمير منكلى بغا الأحمدىّ البلدىّ من نيابة حماة إلى نيابة طرابلس عوضا عن أرغون الإسعردىّ و نقل أرغون الإسعردىّ إلى نيابة حماة عوضه لأمر اقتضى ذلك و نقل الأمير آقبغا الجوهرىّ حاجب حجّاب طرابلس إلى نيابة غزّة عوضا عن مبارك العلائىّ و نقل مبارك العلائىّ عوضه فى حجوبيّة طرابلس. ثم أخلع على الأمير صلاح الدين خليل بن عرّام

المعزول عن نيابة إسكندرية باستقراره وزيرا بالديار المصرية عوضا عن القاضى كريم الدين بن الرّويهب. و قبض على ابن الرّويهب و صودر.

و فى شوّال توجّه بلاط أمير سلاح إلى خيله بالجيزة فأرسل إليه خلعة بنيابة طرابلس، فأجاب و خرج من القاهرة فرسم له بأن يتوّجه إلى القدس بطّالا و استقرّ عوضه يلبغا الناصرىّ أمير سلاح و أخلع على إينال اليوسفىّ اليلبغاوىّ و استقرّ رأس نوبة ثانيا بتقدمة ألف، عوضا عن يلبغا الناصرىّ المذكور. و أخلع على القاضى بدر الدين محمد ابن القاضى بهاء الدين أبى البقاء السبكىّ الشافعىّ قاضى قضاة الديار المصرية عوضا عن قاضى القضاة برهان الدين ابن جماعة بحكم توجّهه إلى القدس بحسب سؤاله على ذلك.

و لمّا صار الأمر للأتابك طشتمر العلائىّ الدوادار أخذ فى تنفيد الأمور على القواعد فعظم ذلك على برقوق و اتّفق مع بركة الجوبانىّ خجداشه و مع جماعة أخر على الركوب على طشتمر، فلما كان ليلة تاسع ذى الحجة من سنة تسع و سبعين المذكورة ركب برقوق العثمانىّ و خجداشه بركة الجوبانىّ بمن وافقهما من الأمراء و غيرهم و أنزلوا السلطان الملك المنصور بكرة النهار و هو يوم عرفة و دقت الكوسات،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ١۶٣

و قصد برقوق مسك طشتمر الأتابك، فركبت مماليك طشتمر و خرجوا إليهم و تقاتلوا معهم قتالا عظيما، حتى تكاثر جمع برقوق و بركة و قوى أمرهم فحينئذ انكسرت مماليك طشتمر و أرسل طشتمر يطلب الأمان فأرسل السلطان إليه منديل الأمان، فطلع إلى القلعة فمسك فى الحال هو و الأمير أطلمش الأرغونىّ الدوادار و أمير حاج بن مغلطاى و دوادار الأمير طشتمر المذكور و أرسل الجميع إلى سجن الإسكندرية فاعتقلوا بها.

ثم فى يوم الاثنين ثالث عشر ذى الحجّة استقرّ برقوق العثمانىّ أتابك العساكر بالديار المصرية عوضا عن طشتمر العلائى المقدّم ذكره و استقرّ بركة الجوبانىّ رأس نوبة كبيرا أطابكا - و هذه الوظيفة الآن مفقودة فى زماننا- و سكن بركة فى بيت قوصون تجاه باب (٣) السلسلة و استقرّ الأمير أيتمش البجاسىّ أمير آخور كبيرا بتقدمة ألف عوضا عن برقوق و استقرّ برقوق بسكنه بالإسطبل السلطانىّ و صار هؤلاء الثلاثة هم: نظام الملك و إليهم العقد و الحلّ و برقوق كبيرهم الذى يرجع إليه و المعوّل على الاثنين: برقوق و بركة، حتى لهجت الناس بقولهم: (برقوق و بركة، نصبا على الدنيا شبكة).

ثم بعد يومين مسك الأمير يلبغا الناصرىّ أمير سلاح و أرسل إلى سجن الإسكندريّة و معه الأمير كشلى أحد أمراء الطبلخانات. ثم أخرج يلبغا الناصرىّ بعد مدّة إلى نيابة طرابلس؛ و يلبغا الناصرىّ هذا هو صاحب الوقعة مع برقوق الآتى ذكرها فى سلطنته إن شاء اللّه تعالى.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ١۶۴

ثم فى العشرين من ذى الحجّة خلع على الأمير إينال اليوسفىّ و استقرّ أمير سلاح عوضا عن يلبغا الناصرىّ.

ثم فى مستهل شهر المحرّم سنة ثمانين و سبعمائة أنعم على آقتمر العثمانىّ بتقدمة ألف و استقرّ دوادارا كبيرا عوضا عن أطلمش الأرغونىّ. ثم بعد أيام قبض على صراى تمر نائب صفد و سجن بالكرك و استقرّ عوضه فى نيابة صفد آقبغا الجوهرى نائب غزّة و استقرّ عوضه فى نيابة غزّة مبارك شاه.

ثم فى سادس صفر تولّى كريم الدين عبد الكريم بن مكانس الوزر و الخاصّ معا و وكالة بيت المال و نظر الدواوين. ثم استقرّ برقوق بالأمير منكلى بغا الأحمدىّ البلدىّ نائب طرابلس فى نيابة حلب عوضا عن إشقتمر الماردينىّ بحكم عزله بالقبض عليه بمدينة بلبيس و سجنه بالإسكندرية. و قد قدّمنا أنّ إشقتمر هذا كان ممن ولى الأعمال الجليلة من سلطنة السلطان حسن و برقوق يوم ذاك من صغار مماليك يلبغا العمرىّ. انتهى.

ثمّ أخرج برقوق يلبغا الناصرىّ و ولّاه نيابة طرابلس عوضا عن منكلى بغا الأحمدىّ البلدىّ المنتقل إلى نيابة حلب. ثمّ بعد مدّة يسيرة

قبض على منكلى بغا المذكور و اعتقل بقلعة حلب و تولّى حلب عوضه الأمير تمربای الأفضلیّ التمرداشی.

ثمّ رسم بالإفراج عن إشقتمر المارديني من سجن الإسكندرية و أن يتوجّه إلى القدس بطّالا.

ثم فى هذه الأيام رسم بعزل الأمير بيدمر الخوارزميّ عن نيابة الشام بالأمير كمشبغا الحمويّ اليلبغاويّ.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۱، ص: ۱۶۵

قلت: و بيدمر هذا أيضا ممّن ولى نيابة طرابلس فى أيام يلبغا العمريّ و غيرها من الأعمال و حضر بيدمر إلى القاهرة و قبض عليه و اعتقل بسجن الإسكندرية.

ثمّ استقرّ الأمير قرادمرداش الأحمديّ اليلبغاويّ أمير مجلس و استقر ألطنبغا الجوبانيّ اليلبغاويّ رأس نوبة ثانيا بتقدمة ألف و هذه الوظيفة هى الآن وظيفة رأس نوبة النوب و استقر الأمير بزلار العمريّ الناصريّ نائب إسكندرية عوضا عن الأمير قطلقتمر بتقدمة ألف و استقر منكلى بغا الطرخانيّ نائب الكرك، عوضا عن تمراز الطازيّ و استقرّ خليل بن عرّام المعزول عن نيابة إسكندرية و عن الوزر و هو يومئذ من جملة أمراء الألوف أستادار بركة الجوبانيّ و هذا شئ لم يسمع بمثله كون أمير مائة و مقدّم ألف يكون أستادارا عند بعض أعيان الأمراء، فهذا شئ عجيب.

ثم استقرّ الأمير بركة الجوبانيّ ناظر الأوقاف الحكمية جميعها و جعل نائبه فى النظر جمال الدين محمود العجميّ الحنفى.

ثمّ استعفى الأمير تغرى برمش من الإمرة و الحجوبية الكبرى بديار مصر فأعفى، فاستقر عوضه الأمير مأمور القلمطاويّ اليلبغاويّ أمير مائة و مقدّم ألف و حاجب الحجاب.

و فى هذه الأيام اتّفق جماعة على قتل الأتابك برقوق العثمانيّ، ففطن بهم فمسك منهم جماعة منهم طشبغا الخاصّكى و آقبغا بشمقدار ألجاى و آقبغا أمير آخور ألجاى فى آخرين تقدير أربعين نفسا، فنفى برقوق بعضهم و حبس البعض، ثمّ مسك

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۱، ص: ۱۶۶

برقوق ألطنبغا شادى و جماعة من مماليك ألجاى اليوسفيّ ثمّ أمسك بعد ذلك بمدّة سبعة عشر أميرا و قيّدهم و أرسلهم إلى الإسكندرية.

ثمّ فى حادى عشرين شهر ربيع الأوّل سمّر برقوق آقبغا البشمقدار و معه أحد عشر مملوكا من المماليك السلطانية، و عشرين من مماليك طشتمر الدوادار لكلام صدر منهم فى حق برقوق.

و فى أوّل هذه السنة (أعنى سنة ثمانين) كان الحريق العظيم بديار مصر بظاهر باب زويلة، احترق فيه الفاكهيون و النقليون و البراذعيون و عمل الحريق إلى سور القاهرة، فركب الأمير بركة و الأمير أيتمش و الأمير قرادمرداش الأحمديّ و جماعة كبيرة من الأمراء و الحكّام، حتى قدروا على طفيه بعد أيام و استمر مواضع الحريق خرابا من أوّل هذه السنة إلى آخرها.

ثمّ فى سادس عشرين ذى القعدة اجتمع الأمراء و القضاة عند الأتابك برقوق و قالوا: إنّ العساكر قلت فى الإسلام و نريد أن نحلّ الأوقاف المحدثة، بعد الملك الناصر محمد بن قلاوون، فمنعهم الشيخ سراج الدين البلقينيّ من ذلك، فلم يسمعوا له و حلّوا أوقاف الناس و جعلوها إقطاعات و فرّقوها.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۱، ص: ۱۶۷

و فى مستهل شهر ربيع الآخر من سنة إحدى و ثمانين و سبعمائة طلب اشقتمر المارديني من القدس الى القاهرة، فحضر فى أوّل جمادى الأولى و تولّى نيابة حلب بعد عزل تمربای الأفضلیّ التّمرداشيّ، و لمّا حضر اشقتمر إلى القاهرة تلقّاه الأتابك برقوق و الأمير بركة الى الحوض التحتانيّ من الريدانية و ترجّلا له عن خيولهما، و أنزله برقوق عنده و خدمه أتمّ خدمة، ثمّ عزل الأمير كمشبغا الحمويّ اليلبغاويّ عن نيابة دمشق، و تولّى عوضه بيدمر الخوارزميّ على عادته، و كان بيدمر معتقلا بالإسكندرية.

ثمّ فى أثناء هذه السنة كانت واقعة الأمير إينال اليوسفيّ اليلبغاويّ مع الأتابك برقوق.

و خبر هذه الواقعة: أنه لمّا كان فى يوم رابع عشرين شعبان ركب الأتابك برقوق من الإسطبل السلطانىّ فى حواشيه و مماليكه للتسيير على عادته، و كان الأمير بركة الجوبانىّ مسافرا بالبحيرة للصيد، فلما بلغ إينال اليوسفىّ أمير سلاح ركوب برقوق من الإسطبل السلطانىّ انتهز الفرصة لركوب برقوق و غيبة بركة، و ركب بمماليكه و هجم الإسطبل السلطانىّ و ملكه و مسك الأمير جركس الخليلىّ، و كان مع إينال المذكور جماعة من الأمراء: منهم سودون جركس المنجكىّ أمير آخور، و الأمير صصلان الجمالىّ، و سودون النّوروزىّ، و جمق الناصرىّ، و قمارى،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ١٦٨

و جماعة أخر، و لما طلع إينال الى باب السلسلة و ملكها أرسل الأمير قمارى لينزل بالسلطان الملك المنصور إلى الإسطبل، فأبى السلطان من نزوله و منعه، ثمّ كبس إينال زردخاناه برقوق و أخرج منها اللّبوس و آلة الحرب، و أخذ مماليك برقوق الذين كانوا وافقوه و ألبسهم السلاح و أوقفهم معه و أوعدهم بمال كبير و إمريات، و بلغ برقوقا الخبر فعاد مسرعا، و جاء الى بيت الامير أيتمش البجاسىّ بالقرب من باب الوزير و ألبس مماليكه هناك، و جاءه جماعة من أصحابه، فطلع بالجميع الى تحت القلعة و واقعوا إينال اليوسفىّ، و أرسل برقوق الأمير قرط فى جماعة الى باب السلسلة الذى من جهة باب المدرّج، فأحرقه، ثمّ تسلّق قرط المذكور من عند باب سرّ قلعة الجبل، و نزل ففتح لأصحابه الباب المتصل الى الإسطبل السلطانىّ، فدخلت أصحاب برقوق منه و قاتلت إينال، و صار برقوق بمن معه يقاتل من الرّميلة فانكسر إينال و نزل الى بيته جريحا من سهم أصابه فى رقبته من بعض مماليك برقوق، و طلع برقوق الى الإسطبل و ملكه و أرسل الى إينال من أحضره، فلمّا حضر قبض عليه و حبسه بالزّردخاناه و قرّره بالليل فأقرّ: أنه ما كان قصده إلّا مسك بركة لا غير.

ثم إنّ برقوق مسك جماعة من الأمراء و غيرهم من أصحاب يتال اليوسفىّ ما خلا سودون النوروزىّ و جمق الناصرىّ و شخصا جنديّا يسمى أزبك و كان يدّعى أنه من أقارب برقوق. ثمّ حمل إينال فى تلك الليلة إلى سجن الإسكندرية

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ١٦٩

و معه سودون جركس. ثم أخذ برقوق فى القبض على مماليك إينال اليوسفىّ، و نودى عليهم بالقاهرة و مصر؛ و فى هذه الواقعة يقول الأديب شهاب الدين أحمد ابن العطار: [الرجز]

ما بال إينال اتى فى مثل هذى الحركه

مع علمه بأنها خالية من بركه

و له أيضا- عفا اللّه عنه: [السريع]

قد ألبس اللّه برقوق المهابة فى نهار الاثنين من نصر و تمكين

و راح إينال مع سودون و انكسرا و كان يوما عسيرا يوم الاثنين

و له عفا اللّه عنه: [الوافر]

بغى إينال و اعتقد الأمانى تساعده فما نال المؤمّل

و مدّ لأخذ برقوق يديه و لم يعلم بأن الخوخ أسفل

ثمّ فى الثامن و العشرين من شعبان حضر الأمير بركة من السّرحة، فركب الأتابك برقوق و تلقّاه من السّحر و أعلمه بما وقع من إينال اليوسفىّ فى حقّه. ثم اتّفقا على طلب الأمير يلبغا الناصرىّ من نيابة طرابلس فحضر و أنعم عليه باقطاع إينال اليوسفىّ و وظيفته إمرة سلاح و كانت وظيفة يلبغا قبل إينال. و تولّى مكانه فى نيابة طرابلس منكلى بغا الأحمدىّ البلدىّ ثم استقر بلّوط الصّرغتمش فى نيابة الإسكندريّة، بعد عزل بزلار عنها و نفيه إلى الشام بطّالا.

ثمّ نقل حطط من نيابة أبلستين إلى نيابة حماة عوضا عن أرغون الإسعردىّ ثمّ استقر قرط فى نيابة الوجه القبلىّ مضافا إلى أسوان.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۱، ص: ۱۷۰

ثمّ أمسك برقوق مثقال الجمالىّ الزّمام و سأله عن ذخائر الملك الأشرف شعبان فأنكر ففرض عليه العقوبة فأقرّ بصندوق داخل الدار السلطانية فأرسله، و معه خادمان فأتى بالصندوق و فيه ثلاثون ألف دينار. ثمّ قرّره فأخرج من قاعة المجدىّ ذخيرة فيها خمسة عشر ألف دينار و برنيّة فيها فصوص، منها فصّ عين هرّ، زنته ستة عشر درهما.

ثمّ بعثه إلى الأمير بركة فعصره فلم يعترف بشىء ثمّ وجدوا عند دادة الملك الاشرف أوراقا فيها دفتر بخط الملك الأشرف: فيه كلّ شىء ادّخره مفصّلا، فوجدوا الذخائر كلّها قد أخذت و لم يتأخر إلا عند طشتمر الدوادار ذخيرة فيها خمسة عشر ألف دينار و علبة فصوص و علبة لؤلؤ، و ما وجدوا فى ذلك اسم مثقال المذكور فأفرج عنه.

و فى هذه السنة وجّه الأمير بركة دواداره سودون باشا إلى الحجاز الشريف لإجراء الماء الى عرفة، و كان فى أوائل هذه السنة برز المرسوم الشريف بأن يعمل على قنطرة فم الخور التى عند موردة الجبس سلسلة تمنع المراكب من الدخول إلى الخليج

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۱، ص: ۱۷۱

و إلى بركة الرطلى، فعمل شعراء العصر فى ذلك أبياتا، منها قول بدر الدين ابن الشامّيّة أحد صوفية الخانقاة الرّكنية بيبرس: [البسيط]

يا سادة فعلهم جميل و ما لهم فى الورى و حاشه

سلسلتم البحر لا لذنب و ارسلتموا للحجاز باشه

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۱، ص: ۱۷۲

قلت: لم تصح التورية معه فى قوله: باشه، لعدم معرفته باللغة التركية، لأن اسم باشا بالتفخيم و الألف و باشه مرقّقة و فى آخرها هاء و بينهما بون فى اللفظ، و كثير مثل هذا يقع للشعراء من أولاد العرب، فيأخذون المعانى الصالحة فيجعلونها هجوا مثل لفظة نكريش و غيرها، لأن نكريش باللغة العجمية معناه: «جيد اللحية»، فاستعملوها الشعراء فى باب الهجو و كثير مثل هذا. و قد أوضحنا ذلك فى مصنف بيّنا فيه تحاريف أولاد العرب فى الأسماء التركية و غيرها. و قال الأديب عبد العال البغدادىّ فى المعنى: [مخلّع البسيط]

أطلقت دمعى على خليج مذ سلسلوه فصار يقفل

من رام من دهرنا عجيبا فلينظر المطلق المسلسل

[مخلّع البسيط] و قال غيره:

قد أطلقوا البحر من فسوق مذ سلسلوا منه خير جدول

ورق قلب الهوى عليه فجذا نهره المسلسل

و فى هذه السنة كانت بالديار المصرية واقعة غريبة من كلام الحائط، و خبره:

أن فى أوائل شهر رجب من هذه السنة ظهر كلام شخص من حائط فى بيت العدل شهاب الدين [أحمد] الفيشىّ الحنفىّ بالقرب من الجامع الأزهر، فصار كلّ من

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۱، ص: ۱۷۳

يأتى الى الحائط المذكور و يسأله عن شىء يردّ عليه الجواب و يكلّمه بكلام فصيح، فجاءته الناس أفواجا و تردّدت الى الحائط المذكور أكابر الدولة و تكلّموا معه و افتتن الناس بذلك المكان و تركوا معايشهم و ازدحموا على الدار المذكورة و أكثر أرباب العقول الفحص عن ذلك، فلم يقفوا له على خبر، و تحيّر الناس فى هذا الأمر العجيب، إلى أن حضر الى البيت المذكور القاضى جمال الدين محمود القيصرىّ العجمىّ محتسب القاهرة و فحص عن أمره بكلّ ما يمكن القدرة اليه، حتّى إنه أخرب بعض الحائط فلم يؤثّر ذلك شيئا و استمرّ الكلام فى كلّ يوم الى ثالث شعبان، و قد كادت العامّة أن تتعبد بالمكان المذكور. و أكثروا من قولهم: «يا سلام سلّم، الحيطة بتتكلّم» و خاف أهل الدولة من إفساد الحال و قد أعياهم أمر ذلك، حتّى ظهر أنّ الذى كان يتكلّم هى زوجة

صاحب المنزل، فأعلم بذلك الأتابك برقوق، فاستدعى بها مع زوجها فحضرا فأنكرت المرأة فضربها فأقرّت، فأمر بتسميرها و تسمير شخص آخر معها يسمى «عمر» و هو الذى كان يجمع الناس إليها، بعد أن ضرب برقوق الزوج و عمر المذكور بالمقارع و طيف بهما فى مصر و القاهرة ثم أفرج عنهم، بعد أن حبسوا مدّة، و فى ذلك يقول الشيخ شهاب الدين بن العطار:

[البسيط]

يا ناطقا من جدار و هو ليس يرى اظهر و إلّا فهذا الفعل فتّان

فما سمعنا و للحيطان ألسنة و إنّما قيل للحيطان آذان

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ١٧٤

و قال غيره: [البسيط]

قد حار فى منزل الفيشى الورى عجبا بناطق من جدار ظل مبديه

و كلّهم فى حديد بارد ضربوا و صاحب البيت أدرى بالذى فيه

و فى هذه السنة أمر الأمير بركة بنقل الكلاب و قرّر على كلّ أمير شيئا معيّنا و على أصحاب الدكاكين على كلّ صاحب دكّان كلبا، فتتبّع الناس الكلاب حتى أبيع كلّ كلب بدرهم فأخذ بركة جميع الكلاب و نفاها إلى برّ الجيزة.

و فى يوم الأربعاء سابع صفر من سنة اثنتين و ثمانين و سبعمائة كان ابتداء الفتنة بين الأتابك برقوق و بين خجداشه بركة الجوبانىّ و هو أن بركة أرسل يقول إلى برقوق فى اليوم المذكور: إن أيتمش البجاسىّ لابس آلة الحرب هو و مماليكه بإسطبله فأرسل برقوق إلى أيتمش فى الحال فلم يجد الأمر صحيحا. ثم طلع أيتمش إلى برقوق و أقام عنده و تردّدت الرسل بين برقوق و بركة، و الذى كان الرسول بينهما العلّامة أكمل الدّين شيخ الشيوخ بالشيخونية، أراد بذلك إخماد الفتنة و الشيخ أمين الدين الحلوانىّ و لا زالا بهما حتى أوقع الصلح بينهما و رضى بركة على أيتمش البجاسىّ و خلع عليه قباء «نخ» عند نزوله إليه بأمر برقوق صحبة الشيخين المذكورين.

ثم فسد ما بينهما أيضا بعد اثنى عشر يوما فى ليلة الجمعة تاسع عشر صفر و بات تلك الليلة كلّ أمير من أمراء مصر ملبسا بمماليكه فى إسطبله، و سببه: أن بركة أراد أن يمسك جماعة من الأمراء، ممّن هو من ألزام برقوق فأصبح نهار الجمعة و الأمراء لابسون السلاح و لمّا وقع ذلك، طلب برقوق القضاة إلى القلعة ليرشّد السلطان الملك المنصور و قال لهم: نرشّد السلطان فيتكلم فى أمور مملكته و أنكفّ أنا و غيرى من التّكلّم و أنا مملوك من جملة مماليك السلطان، فتكلّم القضاة بينه و بين

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ١٧٥

الأمير بركة و تردّدوا فى الرّسلية غير مرّة إلى أن أذعن كلّ منهما إلى الصلح و تحالفا على ذلك و اصطلحا و أصبحت الأمراء من الغد ركبوا إلى الميدان و لعبوا بالكرة و خلع بركة على أيتمش ثانيا. و استقرّ الصلح و خلع برقوق على القضاة الأربعة و التزم بركة أنه لا يتحدّث فى شىء من أمور المملكة البتة.

و استمرّ الأمراء على ذلك إلى يوم الاثنين سابع شهر ربيع الأوّل ركبت الأمراء و سيّروا بناحية قبّة النصر و رجعوا و طلع برقوق إلى الإسطبل السلطانىّ، حيث سكنه، و ذهب بركة إلى بيته و كان برقوق قد ولد له ولد ذكر و عمل سماطا للناس و طلع إليه الأمير صراى الرّجبىّ الطويل و كان من إخوة بركة و قال لبرقوق: إن بركة و حاشيته قد اتّفقوا على قتلك إذا دخلت يوم الجمعة إلى الصلاة هجموا عليك و قتلوك فبقى برقوق متفكّرا فى ذلك متحيّرا لا يشكّ فيما أخبره صراى لصحبته مع بركة و بينما برقوق فى ذلك إذ طلع إليه الأمير قرادمرداش الأحمدىّ اليلبغاوىّ أمير مجلس و طبج المحمدىّ و آقتمر العثمانىّ الدّوادار الكبير. و هم من أعيان أصحاب بركة و هنّئوه بالولد و أكلوا السّماط، فلمّا فرغوا طلب برقوق الأمير جركس الخليلىّ و يونس الدّوادار و أمرهما بمسك هؤلاء الثلاثة و من معهم، فمسكوا فى الحال. ثم أمر برقوق حواشيه بلبس السلاح فلبسوا و نزل بزلار الناصرىّ من وقته غارة إلى مدرسة السلطان حسن مع مماليكه و طلع إليها و أغلق بابها و صعد إلى سطحها و مآذنها و رمى بالنّشّاب على بركة فى إسطبله الملاصق للمدرسة المذكورة و

هو بيت قوصون تجاه باب السلسلة، فلمّا رأى بركة ذلك أمر مماليكه و أصحابه بلبس السلاح، فلبسوا و نادى برقوق فى الحال للعامّة تنهب بيت بركة، فتجمّعوا فى الحال و أحرقوا بابه و لم يتمكن بركة من قتالهم من عظم الرمى عليه من أعلى سطوح المدرسة، فخرج من بابه الذى

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ١٧۶

بالشارع الأعظم المتّصل إلى صليبة ابن طولون و خرج معه سائر أصحابه و مماليكه و ترك ماله بالبيت و دخل من باب زويلة و أخذ و الى القاهرة معه إلى باب الفتوح، ففتحه له فإنه كان أغلق عند قيام الفتنة مع جملة أبواب القاهرة و سار بركة بمن معه من الأمراء و المماليك إلى قبّة النصر، خارج القاهرة فأقام بها ذلك اليوم فى مخيّمه ثم أخرج طائفة من عساكره إلى جهة القلعة فتوجّهوا يريدون القلعة فندب برقوق لقتالهم جماعة من أصحابه، فنزلوا إليهم و قاتلوهم قتالا شديدا، قتل فيه من كلّ طائفة جماعة. ثم رجعت كلّ طائفة إلى أميرها و باتوا تلك الليلة.

فلمّا أصبح نهار الثلاثاء ثامن شهر ربيع الأوّل من سنة اثنتين و ثمانين و سبعمائة، ندب برقوق لقتال بركة الأمير علّان الشعبانىّ و أيتمش البجاسىّ و قرط الكاشف فى جماعة كبيرة من الأمراء و المماليك و توجّهوا إلى قبّة النصر فبرز لهم من أصحاب بركة الأمير يلبغا الناصرىّ أمير سلاح بجماعة كبيرة و التقوا و تصادموا صدمة هائلة انكسر فيها يلبغا الناصرىّ بمن معه و انهزم إلى جهة قبة النصر، فلمّا رأى الأمير بركة انهزام عسكره ركب بنفسه و صدمهم صدمة صادقة و كان من الشّجعان كسرهم فيها أقبح كسرة و تتّبعهم إلى داخل التّرب، ثم عاد إلى مخيّمه و طلع أصحاب برقوق إلى باب السلسلة فى حالة غير مرضية و باتوا تلك الليلة، فلمّا أصبح نهار الأربعاء تاسع شهر ربيع الأوّل المذكور، أنزل برقوق السلطان الملك المنصور إلى عنده بالإسطبل السلطانىّ، و نادى للمماليك السلطانية بالحضور، فحضروا فأخرج جماعة كبيرة من الأمراء و معهم المماليك السلطانية و ندبهم لقتال بركة و دقّت الكوسات بقلعة الجبل

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ١٧٧

حربية، هذا و قد جهّز بركة أيضا جماعة كبيرة أيضا من أصحابه، لملتقى من ندبه برقوق لقتاله، و سار كلّ من الفريقين إلى الآخر حتّى تواجها على بعد، فلم يتقدّم أحد من العسكرين إلى غريمه، فلما كان بعد الظهر بعث الأمير بركة أمير آخر سيف الدين طغاى يقول لبرقوق: ما هذا العمل! هكذا كان الاتفاق بيننا؟ فقال برقوق: هكذا وقع، قل لأستاذك يتوجه نائبا فى أىّ بلد شاء، فرجع أمير آخوره بركة له بهذا القول، فلم يوافق بركة على خروجه من مصر أصلا، فلما أيس منه أمير آخوره قال له: إن كان و لا بدّ فهذا الوقت وقت القيلولة و الناس مقيلة، فهذا وقتك، فركب بركة بأصحابه و مماليكه من وقته و ساقوا فرقتين: فرقة من الطريق المعتادة، و فرقة من طريق الجبل. و كان بركة فى الفرقة التى بطريق الجبل؛ و بلغ برقوقا ذلك فأرسل الأمراء و المماليك فى الوقت لملتقاه، فلمّا أقبل بركة هرب أكثر عساكر برقوق و لم يثبت إلّا الأمير علّان الشعبانىّ فى نحو مائة مملوك، و التى مع بركة. و كان يلبغا الناصرىّ بمن معه من أصحاب بركة توجّه من الطريق المعتادة، فآلتقاه أيتمش البجاسىّ بجماعة و كسره و ضربه بالطّبر و أخذ جاليشه و طبلخاناته و رجع مكسورا بعد أن وقع بينهم وقعة هائلة جرح فيها من الطائفتين خلائق.

و أمّا بركة فإنه لما التقى مع علّان صدم علان صدمة تقنطر فيها عن فرسه و ركب غيره، فلمّا تقنطر انهزم عنه أصحابه، فصار فى قلّة فثبت ساعة جيّدة ثم انكسر و انهزم إلى جهة قبّة النصر، و أقام به إلى نصف الليل فلم يجسر أحد من البرقوقية على التوجّه إليه و أخذه.

فلمّا كانت نصف ليلة الخميس المذكورة رأى بركة أصحابه فى قلّة و قد خلّ عنه أكثر مماليكه و حواشيه و هرب من قبّة النصر هو و الأمير آقبغا صيوان إلى جامع

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ١٧٨

المقسىّ خارج القاهرة فغمز عليه فى مكانه فمسك هو و آقبغا المذكور من هناك و طلع بهما إلى برقوق و تتبع برقوق أصحاب بركة

و مماليكه فمسك منه جماعة كبيرة حسب ما يأتى ذكره مع من مسك مع بركة من الأمراء و بقيت القاهرة ثلاثة أيام مغلقة و الناس فى وجل بسبب الفتنة فنادى برقوق عند ذلك بالأمان و الاطمئنان.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۱، ص: ۱۷۹

و فى واقعة بركة يقول طاهر بن حبيب: [الرجز]

يا لؤمها من حالة و شؤمها من حركه

و قبحها من فتنة فيها زوال بركه

و عظم كسرة بركة و مسكه على الناس، لأنه كان محبّبا للرعيّة و فيه كرم و حشمة و كان أكثر ميل الناس إليه.

و لمّا كان عشيّة ليلة الخميس المذكورة أخذ برقوق خجداشه بركة و قيّده و أرسله إلى سجن الإسكندرية فحبس به صحبة الأمير قردم الحسنىّ و معه جماعة فى القيود من أصحابه الأمراء و هم: الأمير قرادمرداش الأحمدىّ أمير مجلس المقبوض عليه قبل واقعة بركة و آقتمر العثمانىّ الدوادار و أمير آخر.

ثم أخذ برقوق فى القبض على الأمراء من أصحاب بركة، فمسك جماعة كبيرة و هم: أيدمر الخطائىّ و خضر (بضم الخاء المعجمة و فتح الضاد المعجمة وراء ساكنة) و قراكسك و أمير حاج بن مغلطاى و سودون باشا و يلبغا المنجكىّ و قرابلاط و قرابغا الأبوبكرىّ و تمربغا السيفىّ تمربای و إلياس الماجرىّ و تمربغا الشمسىّ و يوسف ابن شادى و قطلبك النظامىّ و آقبغا صيوان الصالحىّ و كزل القرمىّ و طولو تمر الأحمدىّ و طوجى الحسينىّ و تنكر العثمانى و قطلوبغا السيفىّ و غريب الأشرفىّ و كمجىّ و ألطنبغا الأرغونىّ و يلبغا الناصرىّ رفيق منطاش الآتى ذكرهما و أطلمش الطازىّ و تمرقيا.

فأرسل منهم برقوق فى ليلة الأحد ثانى عشر ربيع الأوّل جماعة إلى الإسكندرية صحبة الأمير سودون الشيخونىّ و هم: يلبغا الناصرىّ و هو أكبر الجماعة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۱، ص: ۱۸۰

و طبج المحمدىّ و يلبغا المنجكىّ و أطلمش الطازىّ و قرابلاط و تمرقيا السيفىّ تمربغا و إلياس و قرابغا.

ثم عرض برقوق مماليك بركة فأخذ أكابرهم فى خدمته، و كذلك فعل بمماليك يلبغا الناصرىّ، ثم أمسك أرسلان الأشرفىّ دوادار بركة. ثم أفرج برقوق عن ستة أمراء ممن أمسكهم.

ثم أنعم برقوق على جماعة من أصحابه بتقادم ألوف فأنعم على ولده محمد بن برقوق بإقطاع بركة بتمامه و كماله، ثم أنعم على أربعة أخر بتقادم ألوف و هم: جركس الخليلىّ و بزلار العمرىّ الناصرىّ و ألطنبغا المعلّم و آلابغا العثمانىّ و أنعم على أطلمش الطازىّ أحد أصحاب بركة بإمرة طبلخاناة بالشام.

ثم فى يوم الخميس ثامن شهر ربيع الأوّل المذكور أنعم على جماعة بإمرة طبلخانات، و هم: آقبغا الناصرىّ و تنكزبغا السيفىّ؟؟ و فارس الصرغتمشىّ و كمشبغا الأشرفىّ الخاصّكى و قطلوبغا السيفىّ كوكاى و تمربغا المنجكىّ و سودون باق السّيفىّ تمربای و إياس الصرغتمشىّ و على جماعة بإمرة عشرات و هم: قوصون الأشرفىّ و بيبرس التمان تمرىّ و طغا الكريمىّ و بيرم العلائىّ و آقبغا اللّاجينىّ.

ثم فى حادى عشرين شهر ربيع الأوّل المذكور أخلع برقوق على جماعة من الأمراء بوظائف، فاستقرّ أيتمش البجاسىّ رأس نوبة كبيرا أطابكا عوضا عن بركة- و هذه الوظيفة بطلت من أيام الملك الناصر فرج- و استقرّ علّان الشعبانىّ أمير سلاح عوضا عن يلبغا الناصرىّ و استقرّ ألطنبغا الجوبانىّ أمير مجلس عوضا عن قرادمرداش الأحمدىّ و استقرّ آلابغا العثمانىّ دوادارا عوضا عن آقتمر العثمانىّ و استقرّ ألطنبغا المعلّم رأس نوبة ثانى بتقدمة ألف (أعنى رأس نوبة النّوب) و استقرّ جركس الخليلىّ أمير آخور كبيرا و استقرّ قرابغا الأبوبكرى حاجبا و استقرّ

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١١، ص: ١٨١

بجمان المحمدىّ من جملة رءوس النوب و استقرّ كمشبغا الأشرفىّ الخاصّكى شادّ الشراب خاناه.

و فى ثانى عشرينه استقرّ الأمير صلاح الدين خليل بن عرّام نائب إسكندرية عوضا عن بلّوط الصرغتمشىّ فتوجّه ابن عرّام إلى الإسكندرية ثم عاد إلى القاهرة، بعد مدّة يسيرة و شكا من الأمير بركة، فأوصاه برقوق به فى الظاهر و سيّره إلى الإسكندرية ثانيا.

ثم أمسك برقوق الأمير بيدمر الخوارزمىّ نائب الشام و أمسك معه جماعة من أصحابه من الأمراء و كان بيدمر من حزب بركة و خرج عن طاعة برقوق فولّى برقوق عوضه الأمير اشقتمر المارديني نائب حلب.

و تولّى نيابة حلب بعد اشقتمر منكلى بغا الأحمدىّ البلدىّ نائب طرابلس.

ثم فى آخر جمادى الأولى أفرج برقوق عن جماعة الأمراء المسجونين بثغر الإسكندرية ما خلا أربعة أنفس، و هم: بركة و يلبغا الناصرىّ و قرادمرداش الأحمدىّ و بيدمر الخوارزمىّ نائب الشام و حضرت البقيّة إلى القاهرة فأخرج بعضهم إلى الشام و نفى بعضهم إلى قوص.

ثم فى شعبان باست الأمراء الأرض للسلطان الملك المنصور علىّ و سألوه الإفراج عن المسجونين بالإسكندرية و ذلك بتدبير برقوق فرسم السلطان بالإفراج عنهم و هم: بيدمر الخوارزمىّ و يلبغا الناصرىّ و قرادمرداش الأحمدىّ و لم يبق بسجن الإسكندرية ممّن مسك من الأعيان فى واقعة بركة غير بركة المذكور و مات فى شهر رجب على ما يأتى ذكره، بعد أن نحكى قدوم آنص والد الأتابك برقوق من

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١١، ص: ١٨٢

بلاد الجركس و لمّا حضر الأمراء إلى مصر أخرج يلبغا الناصرىّ إلى دمشق على إمرة مائة و تقدمة ألف بها و قرّادمرداش إلى حلب على تقدمة ألف أيضا بها و توجّه بيدمر الخوارزمىّ إلى ثغر دمياط بطّالا.

ثم رسم برقوق بالإفراج عن الأمير إينال اليوسفىّ صاحب الواقعة مع برقوق المقدّم ذكرها من سجن الإسكندرية و استقرّ فى نيابة طرابلس. ثم استقرّ كمشبغا الحموىّ اليلبغاوى فى نيابة صفد عوضا عن تمربای الأفضلىّ التّمرداشىّ مدّة يسيرة و نقل إلى نيابة طرابلس بحكم انتقال إينال اليوسفىّ إلى نيابة حلب بعد وفاة منكلى بغا الأحمدىّ البلدىّ.

ثم فى ذى الحجّة من السنة وصل الخبر بوصول الأمير آنص الجركسىّ والد الأمير الكبير برقوق العثمانىّ صحبة تاجر برقوق الخواجا عثمان بن مسافر، فخرج برقوق بجميع الأمراء إلى لقائه فى يوم الثلاثاء ثامن ذى الحجة سنة اثنتين و ثمانين و سبعمائة المذكورة، فسافر برقوق إلى العكرشة. قال قاضى القضاة بدر الدين محمود العينىّ الحنفىّ: و هو المكان الذى التقى به يوسف الصّدّيق أباه يعقوب عليهما السلام على ما قيل.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١١، ص: ١٨٣

و كان قد هيّأ له ولده الأتابك برقوق الإقامات و الخيم و الأسمطة و التقى برقوق مع والده فحال وقع بصر آنص على ولده برقوق مدّ له يده فأخذها برقوق و قبلها و وضعها على رأسه ثم سلّم عليه أكابر أمراء مصر على مراتبهم و أقعد آنص والد برقوق فى صدر المخيّم و قعد الأمير آقتمر عبد الغنىّ النائب من جانب و الأمير أيدمر الشمسىّ من جانب آخر و جلس برقوق تحت أيدمر و هو يوم ذاك مرشّح للسلطنة، فانظر إلى تلك الآداب و القواعد السالفة. و لمّا استقرّ بهم الجلوس أخذ آنص يخاطب برقوقا ولده باسمه من غير تحشم، كما يخاطب الوالد ولده على قاعة الجراكسة، و القاعدة عندهم: أنّ الولد و الخديم عندهم سواء، و كان الملتقى بالعكرشة و النزول بالمخيّم بالخانقاه، فإنهم لمّا تلاقوا ساروا على ظهر إلى خانقاه سرياقوس و حضر مع الأمير آنص جماعة كبيرة من أقاربه و أولاده إخوة الأتابك برقوق خوند الكبرى و الصّغرى أمّ بيبرس الأتابك و غيرهما.

ثم مدّت الأسمطة من المآكل و المشارب و الحلاوات و غيرها و دام برقوق و الأمراء بخانقاة سرياقوس إلى ظهر اليوم المذكور ثم

ركبوا الجميع و عادوا إلى جهة الديار المصريّة و الموكب لآنص والد برقوق و أكابر الأمراء عن يمينه و شماله و تحته فرس بسرج ذهب و كنبوش زركش بذهب هائل قد تناهوا فى عملهما و سار الجميع حتّى دخلوا إلى القاهرة و اجتازوا بها و قد أوقدت لهم الشموع و القناديل فتحيّر والد برقوق ممّا رأى و كان جركسيّا جنسه «كسا» لا يعرف باللغة التركيّة شيئا، لأن الكسا بالبعد عن بلاد التّتار و طلع والد برقوق مع ابنه إلى القلعة و صار هو المشار إليه على ما سنذكره.

و أمّا أمر بركة فإنه لمّا كان شهر رجب من هذه السنة ورد الخبر من لأمه صلاح الدين خليل بن عرّام نائب الإسكندرية بموت الأمير زين الدين بركه

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ١٨۴

الجوبانىّ اليلبغاوىّ المقدّم ذكره بسجن الإسكندرية، فلمّا بلغ الأتابك برقوقا ذلك عظم عليه فى الظاهر- و اللّه سبحانه و تعالى متولى السرائر- و بعث بالأمير يونس النّوروزىّ الدّوادار بالإسكندرية لكشف خبر الأمير بركة و كيف كانت وفاته فتوجّه يونس إلى الإسكندرية، ثم عاد إلى مصر و معه ابن عرّام المذكور نائب الإسكندرية و أخبر برقوقا بأنّ الأمر صحيح و أنه كشف عن موته و أخرجه من قبره فوجد به ضربات: إحداها فى رأسه و أنه مدفون بثيابه من غير كفن و أنّ يونس أخرجه و غسّله و كفّنه و دفنه و صلّى عليه خارج باب رشيد و بنى عليه تربة و أن الأمير صلاح الدين خليل بن عرّام هو الذى قتله، فحبس برقوق ابن عرّام بخزانة شمائل. ثم عصره و سأله عن فصوص خلّاها بركة عنده فأنكرها و أنكر أنه ما رآها.

فلمّا كان يوم الخميس خامس عشرين شهر رجب المذكور طلع الأمراء الخدمة على العادة و طلب ابن عرّام من خزانة شمائل فطلعوا به إلى القلعة على حمار فرسم برقوق بتسميره، فخرج الأمير مأمور القلمطاوى حاجب الحجّاب و جلس بباب القلّة هو و أمير جاندار و طلب ابن عرّام بعد خدمة الإيوان فعرّى و ضرب بالمقارع ستة و ثمانين شيبا ثم سمّر على جمل بلعبة تسمير عطب و أنزل من القلعة إلى سوق الخيل بالرّميلة بعد نزول الأمراء و أوقفوه تجاه الإسطبل السلطانىّ ساعة فنزل إليه جماعة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ١٨۵

من مماليك بركة و ضربوه بالسيوف و الدّبابيس حتى هبّروه و قطّعوه قطعا عديدة ثم إنّ بعضهم قطع أذنه و جعل يعضّها صفة الأكل و أخذ آخر رجله و آخر قطع رأسه و علّقها بباب زويلة و بقيت قطع منه مرميّة بسوق الخيل، و ذكر أن بعض مماليك بركة أخذ من لحمه قطعة شواها. و اللّه أعلم بصحة ذلك.

ثم جمع ابن عرّام بعد ذلك و دفن بمدرسته خارج القاهرة عند جامع أمير حسين بن جندر بحكر جوهر النوبىّ و قد صار أمر ابن عرّام المذكور فى أفواه

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ١٨۶

العامّة مثلا يقولون: خمول ابن عرام و كان ابن عرام المذكور أميرا جليلا فاضلا تنقّل فى الولايات و الوظائف و كان له يد طولى فى التاريخ و الأدب و له مصنفات مفيدة و تاريخ كبير فيه فوائد و ملح و فى هذا المعنى يقول الأديب شهاب الدين أحمد ابن العطار: [البسيط]

أ يا بن عرّام قد سمّرت مشتهرا و صار ذلك مكتوبا و محسوبا

ما زلت تجهد فى التاريخ تكتبه حتّى رأيناك فى التاريخ مكتوبا

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة؛ ج ١١؛ ص ١٨۶

فيه يقول أيضا: [الوافر]

بدت أجزا ابن عرّام خليل مقطّعة من الضرب الثقيل

و أبدت أبحر الشعر المراثى محرّرة بتقطيع الخليل

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١١، ص: ١٨٧

حدّثنى الزينى فيروز الطواشىّ الرومىّ العرّامىّ و كان ثقة صاحب فضل و معرفة و دين أن أستاذه صلاح الدين خليل بن عرّام المذكور كان مليح الشكل فصيح العبارة بلغات عديدة مع فضيلة تامّة و معرفة بالأمور و سياسة حسنة و تولّى نيابة ثغر الإسكندرية غير مرة سنين طويلة و تولّى الوزر بالديار المصرية و تنقّل فى عدّة وظائف أخر، قال: و كان من رجال الدهر و كان محبّبا فى الفقهاء و الفقراء و أرباب الصلاح. انتهى.

و قال غيره: كان بشّره الشيخ يحيى الصنافيرىّ و الشيخ المعتقد نهار أنه يموت مقتولا بالسيف مسمّرا، و فى معنى ما قاله الشيخ نهار المذكور يقول الشيخ الشهاب ابن العطار المقدّم ذكره: [السريع]

وعد ابن عرّام قديم بما قد نال من شيخ رفيع المنار

يا ليلة بالسّجن أبدت له ما قاله الشيخ نهار جهار

و قال العينىّ- رحمه اللّه-: و ذكر القاضى تاج الدين بن المليجىّ شاهد الخاصّ الشريف أنّه طلع إلى القلعة و هم يسمّرون ابن عرّام فقعد إلى أن تخفّ الناس، فلمّا فرغوا من تسميره، جازوا به عليه فسمعه و هو يقول فى تلك الحالة و ينشد أبيات أبى بكر الشّبلىّ و هى قوله: [الخفيف]

لك قلبى تعلّه فدمى لم؟؟

قال إن كنت قاهرا فلى؟؟ كلّه

انتهى. و قد خرجنا عن المقصود و أطلنا الكلام فى قصّة بركة و ابن عرّام على سبيل الاستطراد و لنرجع لما كنّا فيه.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١١، ص: ١٨٨

و أما برقوق فإنه استمرّ على حاله كما كان قبل مسك بركة و قتله و إليه حلّ المملكة و عقدها و لم يجسر على السلطنة، و بينما هو فى ذلك مرض السلطان الملك المنصور علىّ و لزم الفراش، حتى مات بين الظهر و العصر من يوم الأحد ثالث عشرين صفر سنة ثلاث و ثمانين و سبعمائة و دفن من ليلته بعد عشاء الآخرة فى تربة جدّته لأبيه خوند بركة بالقبّة التى بمدرستها بالتبانة. و كان الذى تولّى تجهيزه و تغسيله و دفنه الأمير قطلوبغا الكوكائىّ. و كانت مدّة سلطنته على ديار مصر خمس سنين و ثلاثة أشهر و عشرين يوما. و مات و عمره اثنتا عشرة سنة و لم يكن له فى سلطنته سوى مجرّد الاسم فقط. و إنما كان أمر المملكة فى أيام سلطنته إلى قرطاى أوّلا ثم إلى برقوق آخرا، و هو كالآلة معهم لصغر سنه و لغلبتهم على الملك. و تسلطن من بعده أخوه أمير حاج ابن الملك الأشرف شعبان بن حسين و لم يقدر برقوق- مع ما كان عليه من العظمة- أن يتسلطن. و كان الملك المنصور علىّ مليح الشكل حسن الوجه، حشيما كثير الأدب واسع النفس كريما. رحمه اللّه تعالى.

[ما وقع من الحوادث سنة ٧٧٩]

السنة الأولى من سلطنة الملك المنصور على ابن الملك الأشرف شعبان على مصر و هى سنة تسع و سبعين و سبعمائة، على أنه تسلطن فى الثامن من ذى القعدة من السنة الخالية.

فيها. (أعنى سنة تسع و سبعين و سبعمائة) كانت واقعة قرطاى الطازىّ مع صهره أينبك البدرىّ و قتل قرطاى. ثم بعد مدّة قتل أينبك أيضا.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١١، ص: ١٨٩

و فيها كان ظهور برقوق و بركة، و ابتداء أمرهما حسب ما ذكرنا ذلك كلّه فى أصل ترجمة الملك المنصور هذا.

و فيها توفّى الشيخ الإمام العلّامة شهاب الدين أبو جعفر أحمد بن يوسف بن مالك الرّعينىّ الغرناطىّ المالكىّ بحلب عن سبعين سنة و

كان إليه المنتهى فى علم النحو و البديع و التصريف و العروض و له مشاركة فى فنون كثيرة و مصنفات جيدة و كان له نظم و نثر. و من شعره ما كتبه على ألفية الشيخ يحيى: [البسيط]

يا طالب النحو ذا اجتهاد تسمو به فى الورى و تحيا

إن شئت نيل المراد فاقصد أرجوزة للإمام يحيى

و توفّى الشيخ الإمام بدر الدين حسن بن زين الدين عمر بن الحسن بن عمر بن حبيب الحلبىّ الشافعى بحلب عن سبعين سنة و كان باشر كتابة الحكم و كتابة الإنشاء و غير ذلك من الوظائف الدّينية و كان إمام عصره فى صناعتى الإنشاء و الشروط و له تصانيف مفيدة منها: «تاريخ دولة الترك» أنهاه إلى سنة سبع و سبعين و سبعمائة و ذيّل عليه ولده أبو العزّ طاهر و قال: [البسيط]

ما زلت تولع بالتاريخ تكتبه حتّى رأيناك فى التاريخ مكتوبا

قلت: و أكثر الناس من نظم هذا المعنى الركيك البارد فى حقّ عدّة كثيرة من المؤرّخين، و تزاحموا على هذا المعنى المطروق. انتهى.

قلت: و كان له نظم كثير و نثر و تاريخه مرجّز و هو قليل الفائدة و الضبط و لذلك لم أنقل عنه إلّا نادرا، فإنه كان إذا لم تعجبه القافية سكت عن المراد.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۱، ص: ۱۹۰

و ليس هذا مذهبى فى التاريخ. و من شعر الشيخ بدر الدين حسن هذا- رحمه اللّه تعالى-: [السريع]

الورد و النّرجس مذ عاينا نيلوفرا يلزم أنهاره

شمّر ذا للخوض عن ساقه و فكّ ذا للعوم أزراره

و له فى مليح يدعى موسى: [الرجز]

لما بدا كالبدر قال عاذلى من ذا الذى قد فاق عن شمس الضّحا

فقلت موسى و استفق فإنه أهون شىء عنده حلق اللّحى

و له عفا اللّه تعالى عنه: [الرجز]

يا أيها الساهون عن أخراكم إنّ الهدايا فيكم لا تعرف

المال بالميزان يصرف عندكم و العمر بينكم جزابا يصرف

و له قصيدة على رويّ قصيدة كمال الدين علىّ بن النّبيه، قد أثبتناها فى ترجمته فى المنهل الصافى، أوّلها: [البسيط]

جوانجى للقا الأحباب قد جنحت و عاديات غرامى نحوهم جنحت

و توفّى الأمير سيف الدين قطلقتمر بن عبد اللّه العلائىّ صاحب الواقعة مع الأمير أينبك البدرىّ و غيره و هو ممن قام على الملك الأشرف شعبان و أخذ تقدمة ألف بالديار المصرية دفعة فلم يتهنأ بها و عاجلته المنية و مات و لحقه من بقى من أصحابه بالسيف.

و توفّى الأمير طشتمر اللّفاف المحمدىّ مقتولا فى ثالث المحرّم و هو أيضا ممّن قام على الملك الأشرف و صار أميرا كبيرا أتابك العساكر دفعة واحدة من الجندية، و قد تقدّم ذكر هؤلاء الجميع فى أواخر ترجمة الملك الأشرف شعبان و فى أوائل ترجمة ولده الملك المنصور علىّ هذا.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۱، ص: ۱۹۱

و توفّى الأمير الكبير سيف الدين آقتمر الصاحبىّ المعروف بالحنبلىّ نائب السلطنة بديار مصر، ثم بدمشق بها فى ليلة الحادى عشر من شهر رجب و كان من أجلّ الأمراء و أعظمهم، باشر نيابة دمشق مرتين و تولّى قبلها عدّة ولايات. ثم بعد النيابة الأولى لدمشق ولى نيابة السلطنة بالقاهرة و ساس الناس أحسن سياسة و شكرت سيرته و كان وقورا فى الدول مهابا و فيه عقل و حشمة و ديانة و كان سمّى بالحنبلىّ لكثرة مبالغته فى الطهارة و الوضوء.

و توفّى الأمير سيف الدين يلبغا بن عبد اللّه النظامىّ الناصرىّ، و كان أوّلا من خاصكية الملك الناصر حسن ثم ترقى إلى أن صار أمير مائة و مقدّم ألف بمصر، ثم ولى نيابة حلب و بها مات فيما أظنّ و كان شجاعا مقداما.

و توفى الأمير سيف الدين قرطاى أتابك العساكر مخنوقا بطرابلس و قد تقدّم واقعته مع صهره أينبك البدرىّ و هو أحد رءوس الفتن و ممن ولى أتابكيّة العساكر من إمرة عشرة، و كان قتله فى شهر رمضان. و جميع هؤلاء من أصاغر الأمراء لم تسبق لهم رياسة ليعرف حالهم و إنما و ثب كل واحد منهم على ما أراد فأخذه، فلم تطل مدّتهم و قتل بعضهم بعضا إلى أن تفانوا.

و توفّى القاضى صلاح الدين صالح بن أحمد بن عمر بن السّفّاح الحلبى الشافعىّ و هو عائد من الحج بمدينة بصرى و كنيته أبو النّسك؛ و مولده فى سنة اثنتى عشرة و سبعمائة بحلب و بها نشأ و ولى بها وكالة بيت المال و نظر الأوقاف و عدّة وظائف أخر. و هو والد شهاب الدين أحمد كاتب سر حلب ثم مصر و كان كاتبا حسن التصرف، ذكره [زين الدين] أبو العزّ طاهر بن حبيب فى تاريخه و أورد له نظما من ذلك: [الدّوبيت]

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ١٩٢

لا نلت من الوصال ما أمّلت إن كان متى ما حلت عنّى حلت

أحببتكم طفلا وها قد شبت أبغى بدلا ضاق علىّ الوقت

و توفّى الأمير شهاب الدين أحمد ابن الأمير سيف الدين قوصون فى ثانى عشر ذى الحجّة و كان من جملة أمراء الطبلخانات بمصر و له و جاهة فى الدول.

و توفّى الأمير علاء الدين ألطنبغا بن عبد اللّه السلاح دار المعروف بأبى درقة و كان أيضا من جملة أمراء مصر.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم خمسة أذرع و أربعة و عشرون إصبعا. مبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعا و اثنا عشر إصبعا.

[ما وقع من الحوادث سنة ٧٨٠]

السنة الثانية من سلطنة الملك المنصور علىّ بن الأشرف شعبان على مصر و هى سنة ثمانين و سبعمائة فيها كانت وقعة الأمير تمربای الأفضلىّ التّمرداشى نائب حلب مع التركمان.

و توفّى العلّامة شمس الدين أبو عبد اللّه محمد ابن الشيخ شهاب الدين أحمد بن أبى الحسن بن علىّ بن جابر الأندلسىّ المالكىّ الهوّارىّ بحلب عن سبعين سنة.

و كان عالما بارعا فى فنون كثيرة، و له نظم و نثر و له مصنّفات كثيرة. و من شعره:

[الخفيف]

وقفت للوداع زينب لمّا رحل الرّكب و المدامع تسكب

فالتقت بالبنان دمعى و حلو سكب دمعى على أصابع زينب

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ١٩٣

و توفّى الشيخ الإمام العلامة ضياء الدين أبو محمد عبد اللّه ابن الشيخ سعد الدين سعد العفيفىّ القزوينىّ الشافعىّ الشهير بابن قاضى القرم بالقاهرة فى ثالث عشر ذى الحجة عن نيّف و ستين سنة. و كان من العلماء عارفا بعدّة علوم، كان يدرّس فى المذهبين: الحنفية و الشافعية. و كتب إليه زين الدين طاهر بن حبيب يقول:

[الخفيف]

قل لربّ النّدى و من طلب العل م مجدّا إلى سبيل السواء

إن أردت الخلاص من ظلمة الجه ل فما تهتدى بغير الضياء

فأجابه ضياء الدين:

قل لمن يطلب الهداية منّى خلت لمع السّراب بركة ماء

ليس عندى من الضياء شعاع كيف تبغى الهدى من اسم الضياء

و توفّى الشيخ الصالح الزاهد العابد الورع المعتقد شهاب الدين أبو العباس أحمد المعروف ببادار بالقدس الشريف عن نيّف و سبعين سنة، بعد أن كف بصره، و كان يعرف علم التصوّف و علم الحرف جيّدا و للناس فيه اعتقاد كبير. رحمه اللّه تعالى و نفعنا ببركته.

و توفّى الشيخ صالح المعتقد أبو النّسك صالح بن نجم بن صالح المصرىّ المقيم بزاويته بمنية الشّيرج من ضواحى القاهرة و بها مات و دفن فى يوم الأربعاء خامس عشرين شهر رمضان عن نيف و ستين سنة، و كان على قدم هائل من العبادة و الزّهد و الورع. و فيه يقول أبو العزّ طاهر بن حبيب: [الطويل]

إذا رمت وجه الخير فالشيخ صالح عليك به فالقصد إذ ذاك ناجح

و حىّ هلا و انشده فى الحى منشدا ألا كلّ ما قرّت به العين صالح

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١١، ص: ١٩۴

و توفّى الشيخ المعتقد الصالح المجذوب صاحب الكرامات الخارقة و الأحوال العجيبة نهار المغربىّ الإسكندرىّ بها فى يوم الاثنين سادس عشرين جمادى الأولى. و قيل يوم الثلاثاء و دفن بتربة الديماس داخل الإسكندرية- و من كراماته: ما اتّفق له مع الأمير صلاح الدين خليل بن عرّام نائب الإسكندرية.

و كان ابن عرام يخدمه كثيرا، فقال له الشيخ نهار: يا بن عرّام! ما تموت إلّا موسّطا أو مسمّرا، قبل قتل ابن عرّام بسنين، مرارا عديدة و ابن عرام يقول له: فى الغزاة:

إن شاء اللّه تعالى، فكان كما قال. و قد تقدّم ذلك.

و توفّى الشيخ الصالح المعتقد عبد اللّه الجبرتىّ الزّيلعىّ الحنفىّ فى ليلة الجمعة سادس عشر المحرّم و دفن بالقرافة و قبره معروف بها يقصد للزيارة. و كان من عباد اللّه الصالحين: رحمه اللّه تعالى.

و توفّى الأمير شرف الدين موسى ابن الأزكشىّ فى سادس عشر ذى القعدة بالمحلّة من أعمال مصر و حمل إلى داره بالحسينية و هو إذ ذاك من أمراء الطبلخانات و كان دينّا عفيفا، تولّى ولايات جليلة منها: الأستادارية العالية و الحجوبية و استقر فى أيام الملك الأشرف شعبان بن حسين مشير الدولة و كان إذا ركب يحمل مملوكه وراءه دواة و مزمّلة.

و توفّى الأمير سيف الدين أطلمش بن عبد اللّه الدوادار أحد أمراء الألوف بديار مصر فى شهر ربيع الآخر بدمشق و قد أخرج إليها منفيا على إمرة مائة و تقدمة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١١، ص: ١٩۵

ألف لمّا ملك برقوق و بركة ديار مصر و صار لهما أمرها و نهيها و كان من أعيان الأمراء و هو أيضا أحد من قام على الملك الأشرف شعبان.

و توفّى القاضى علاء الدين علىّ بن عبد الوهاب بن عثمان بن محمد بن هبة اللّه ابن عرب محتسب القاهرة فى ثالث عشر ذى الحجة بمكة بعد قضاء الحج.

و توفّى الأمير علاء الدين علىّ بن كلبك شادّ الدواوين فى جمادى الآخرة و كان ولى فى بعض الأحيان ولاية القاهرة.

و توفى الشيخ المعمّر سند الوقت صلاح الدين محمد بن أحمد بن إبراهيم بن عبد اللّه ابن الشيخ أبى عمر المقدسىّ، آخر من بقى من أصحاب ابن البخارىّ فى شوّال بصالحية دمشق.

و توفّى الأمير شرف الدين موسى بن محمد بن شهرى الكردىّ نائب سيس و كان فقيها شافعيا فاضلا كاتبا.

قلت: و بنو شهرى معروفون: منهم جماعة إلى الآن فى قيد الحياة و يلى بعضهم أعمال البلاد الحلبية فى زماننا هذا.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ستة أذرع و اثنان و عشرون إصبعا.

مبلغ الزيادة تسعة عشر ذراعا و خمسة أصابع و قيل أربعة عشر.

[ما وقع من الحوادث سنة ٧٨١]

السنة الثالثة من سلطنة الملك المنصور علىّ على مصر و هى سنة إحدى و ثمانين و سبعمائة فيها كان ركوب إينال اليوسفىّ على الأتابك برقوق و قد تقدّم ذكر الواقعة فى أصل هذه الترجمة.

و فيها كان الكلام من الحائط كما تقدّم أيضا.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ١٩٦

و فيها توفّى الشيخ تقىّ الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أحمد بن علىّ الواسطىّ الأصل المصرىّ المولد و الوفاة الشافعىّ المقرئ المحدّث الشهير بابن البغدادىّ، بعد ما عمى فى يوم الأربعاء سادس عشرين شعبان بالقاهرة و مولده ببغداد سنة سبع و تسعين و ستمائة و كان ولى قضاء المالكية بدمشق مدّة ثم صرف. كان فقيها نصدّر للإقراء بمدرسة الحاج آل ملك و الجامع الطولونىّ و تولى مشيخة الحديث بالخانقاه الشيخونية.

و توفّى الشيخ الإمام العالم أبو عبد اللّه محمد بن أحمد بن محمد بن أبى بكر بن محمد ابن مرزوق العجيسىّ التّلمسانىّ المغربىّ المالكىّ. كان من ظرفاء عصره، ترقى عند الملك الناصر حسن حتى صار صاحب سرّه و إمام جمعته و منبره. ثم توجّه فى سنة اثنتين و خمسين و سبعمائة إلى الأندلس خوفا من النّكبة، ثم عاد إلى مصر و تولّى عدّة تداريس و كان له سماع كثير و فضل غزير.

و توفّى الشيخ الإمام الأديب البارع المفتنّ الفقيه برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم ابن الشيخ الإمام المفتى شرف الدين عبد اللّه بن محمد بن عسكر بن مظفر بن نجم ابن شادى بن هلال الطائىّ الطّريفىّ القيراطىّ الشافعىّ بمكة المشرفة فى ليلة الجمعة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ١٩٧

العشرين من شهر ربيع الأوّل و دفن بالمعلاة بعد صلاة الجمعة و الطّريفىّ فخذ من طيئ و القيراطىّ نسبه إلى قيراط و هى بلدة بالشرقية من أعمال الديار المصرية. و مولده ليلة الأحد حادى عشرين صفر من سنة ست و عشرين و سبعمائة. و نشأ بالقاهرة و طلب العلم و لازم علماء عصره إلى أن برع فى الفقه و الأصول و العربية و درّس بعدّة مدارس و سمع الكثير و برع فى النظم و قال الشعر الفائق الرائق. و عندى أنه أقرب الناس فى شعره لشيخه الشيخ جمال الدين بن نباتة من دون تلامذته و معاصريه على ما سنذكره من شعره هنا و قد استوعبنا نبذة كبيرة فى المنهل الصافى و من شعره: [السريع]

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ١٩٨

تنفّس الصبح فجاءت لنا من نحوه الأنفاس مسكيه

و أطربت لى العود قمريّة و كيف لا تطرب عوديه

و له فى طبّاخ: [السريع]

هويت طبّاخا له نصبة نيرانها للقلب جنّات

يكسر أجفانا إذا ما رنا لها على الأرواح نصبات

و له أيضا: [السريع]

جفنى و جفن الحبّ قد أحرزا و صفين من نيلك يا مصر

جفنى له يوم الوداع الوفا و جفه السّاحى له الكسر

و له أيضا: [مخلّع البسيط]

لو لم يكن كفّه غماما ما أنبتت فى الطروس رهرا

نعم و لولاه بحر جود ما أبرز اللّفظ منه درّا

و من شعره- رحمه اللّه تعالى و عفا عنه- قصيدته التى أوّلها:

[الكامل]

قسما بروضة خدّه و نباتها و بآسها المخضرّ فى جنباتها

و بسورة الحسن التى فى خدّه كتب العذار بخطّه آياتها

و بقامة كالغصن إلا أننى لم أجن غير الصّد من ثمراتها

لأعزّرنّ غصون بان زوّدت أعطافه بالقطع من عذباتها

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١١، ص: ١٩٩

و أباكرنّ رياض و جنّته التى ما زهرة الدنيا سوى زهراتها

و لأصبحنّ للذّتى متيقّظيا ما دامت الأيام فى غفلاتها

كم ليلة نادمت بدر سمائها و الشمس تشرق فى أكفّ سقاتها

و جرت بنادهم الليالى للصّبا و كؤوسنا غرر على جبهاتها

فصرفت دينارى على دينارها و قضيت أعوامى على ساعاتها

خالفت فى الصّهباء كلّ مقلّد و سعيت مجتهدا إلى حاناتها

فتحيّر الخمّار أين دنانها حتى اهتدى بالطّيب من نفحاتها

فشممتها و رأيتها و لمستها و شربتها و سمعت حسن صفاتها

فتبعت كلّ مطاوع لا يخشنى عند ارتكاب ذنوبه تبعاتها

يأتى إلى اللذات من أبوابها و يحجّ للصّهباء من ميقاتها

عرف المدام بحسنها و بنوعها و بفضلها و صفاتها و ذواتها

يا صاح قد نطق الهزار مؤذنا أ يليق بالأوتار طول سكاتها

فخذ ارتفاع الشمس من أقداحنا و أقم صلاة اللّهو فى أوقاتها

إن كان عندك يا شراب بقيّة مما تزيل بها العقول فهاتها

الخمر من أسمائها و الدّرّ من تيجانها و المسك من نسماتها

و إذا العقود من الحباب تنظّمت إيّاك و التفريط فى حيّاتها

أ محرّك الأوتار إن نفوسنا سكناتها وقف على حركاتها

دار العذار بحسن وجهك منشدا لا تخرج الأقمار عن هالاتها

كسرات جفنك كلّمت قلبى فلم يأت الصّحاح لنا بمثل لغاتها

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١١، ص: ٢٠٠

و البدر يستر بالغيوم و ينجلى كتنفّس الحسناء فى مرآتها

و تلا نسيم الروض فيها قارئا فأمال من أغصانها ألفاتها

و مليحة أرغمت فيها عاذلى قامت إلى وصلى برغم و شاتها

لا مال وجهى عن مطالع حسنها و حياة طلعة وجهها و حياتها

يا خجلة الأغصان من خطراتها و فضيحة الغزلان من لفتاتها

ما الغصن ميّاسا سوى أعطافها ما الورد محمرا سوى و جناتها

و عدت بأوقات الوصال كأنّها ظنّت سلامتنا إلى أوقاتها

و توفّى الشيخ المسند المعمّر ناصر الدين محمد الكردىّ الحرازىّ المعروف بالطّبردار فى ثامن عشر شهر ربيع الأوّل و كان سمع الكثير و تفرّد بأشياء كثيرة، منها. «كتاب فضل الحيل» سمعه من مصنّفه الحافظ شرف الدين عبد المؤمن الدّمياطىّ و هو آخر من روى عنه. و وقع لنا سماع فضل الخيل المذكور من طريقه عاليا.

و توفّى الشيخ المعتقد حسن المغربىّ الصبّان الحاجاوىّ فى العشرين من شهر ربيع الأوّل بداره بالحسينية و دفن بباب النصر.

و توفّى الأمير قارا بن مهنّا بن عيسى بن مهنا بن مانع بن حديثة بن غضبة ابن فضل بن ربيعة أمير آل فضل و ملك العرب و كان كريما جليلا شجاعا مشكور السّيرة. و تولّى عوضه إمرة آل فضل زامل بن موسى.

و توفّى الشيخ الصالح المعتقد صالح الجزيرىّ ساكن جزيرة أروى أعنى الجزيرة الوسطى بها فى رابع شهر ربيع الأوّل و دفن بزاويته بالجزيرة الوسطى.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٢٠١

و توفّى الأمير سيف الدين حطط بن عبد اللّه اليلبغاوىّ نائب حماة بها. و تولّى بعده الأمير طشتمر خازندار يلبغا أيضا. و كان حطط المذكور غير مشكور السّيرة و عنده ظلم و عسف و هو من الذين قاموا على أستاذهم يلبغا العمرىّ الخاصّكى حسب ما تقدّم ذكره.

و توفّى الأمير سيف الدين ماماق بن عبد اللّه المنجكىّ أحد أمراء الطبلخانات بالديار المصريّة فى يوم الخميس ثالث شعبان و دفن بتربته عند دار الضّيافة تجاه قلعة الجبل.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٢٠٢

و توفّى الأمير ناصر الدين محمد ابن الأمير ألجيبغا العادلى نائب غزّة بها، بعد ما استعفى فى سلخ جمادى الآخرة و تولى بعده نيابة غزة آقبغا بن عبد اللّه الدّوادار.

و كان ابن ألجيبغا هذا شجاعا مقداما و له حرمة و وقار فى الدولة.

و توفّى الأمير حاجّى بك بن شادى أحد أمراء الطبلخانات بالديار المصرية بها فى هذه السنة.

و توفّى الطواشى زين الدين ياقوت بن عبد اللّه الرّسولىّ شيخ الخدّام بالمدينة النبويّة على ساكنها أفضل الصلاة و السلام- فى ليلة الجمعة سابع عشرين شهر رمضان- و كان من أعيان الخدّام، له وجاهة فى الدول و ثروة كبيرة.

و توفّى الأمير سيف الدين سطلمش بن عبد اللّه الجلالى بدمشق فى ذى القعدة.

و كان أوّلا من جملة أمراء مصر ثم نفى منها على إمرة فى دمشق.

و توفّى القاضى شمس الدين محمد بن أحمد بن مزهر أحد موقّعى دمشق بها فى شوّال عن نحو الأربعين سنة و هو أخو القاضى بدر الدين محمد بن مزهر كاتب سرّ مصر.

و فيها كان الطاعون بالديار المصرية و ضواحيها و مات فيها عالم كثير جدّا.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ستة أذرع و عشرون إصبعا.

مبلغ الزيادة تسعة عشر ذراعا و إصبعان. و اللّه أعلم.

[ما وقع من الحوادث سنة ٧٨٢]

السنة الرابعة من سلطنة الملك المنصور علىّ على مصر

و هى سنة اثنتين و ثمانين و سبعمائة.

فيها كانت الوقعة بين الأتابك برقوق العثمانىّ اليلبغاوىّ و بين خشداشه زين الدين بركة الجوبانىّ اليلبغاوىّ و مسك بركة و حبس ثم قتل حسب ما تقدّم ذكره و حسب ما يأتى أيضا فى الوفيات.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٢٠٣

و فيها حضر من بلاد الجركس الأمير آنص والد الأتابك برقوق و أخواته النسوة كما تقدّم ذكره.

و فيها قتل ابن عرّام و قد تقدّم ذكره و كيفية تسميره فى أواخر ترجمة الملك المنصور هذا، فلا حاجة لذكر ذلك ثانيا.

و فيها توفّى ماماى ملك التتار و حاكم بلاد الدّشت و كان ولى الملك بعد كلدى بك خان فى سنة ثلاث و ستين و سبعمائة، و كان من أجلّ ملوك الترك و أعظمهم، و مات قتيلا.

و توفّى الشيخ الإمام العلّامة جلال الدين محمد المعروف بجار اللّه ابن الشيخ قطب الدين محمد بن الشيخ شرف الدين أبى الثناء محمود النّيسابورىّ الحنفىّ قاضى قضاة الديار المصرية عن نيفّ و ثمانين سنة، بعد أن حكم خمس سنين و كانت ولايته بعد ابن منصور، و تولّى القضاء بعده صدر الدين بن منصور ثانيا. و كان عالما بارعا فى فنون من العلوم و تولى مشيخة الصّرغتمشيّة بعد موت العلامة أرشد الدين السّرائىّ، و فيه يقول الأديب أبو العزّ زين الدين بن حبيب- رحمه اللّه تعالى-: [الكامل]

للّه جار اللّه حاكمنا الذى ما مثله يسعى له و يزار

حبّا له و كرامة من ماجد حسنت خلائقه و نعم الجار

و رثاه شهاب الدين بن العطار. [البسيط]

قاضى القضاة جلال الدين مات و قد أعطاه ما كان يرجو بارئ النّسم

حاشاه أن يحرم الراجى مكارمه أو يرجع الجار منه غير محترم

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٢٠۴

و توفّى الأمير الكبير زين الدين بركة بن عبد اللّه الجوبانىّ اليلبغاوىّ رأس نوبة الأمراء و أطابك الديار المصريّة مقتولا بثغر الإسكندرية بيد صلاح الدين خليل ابن عرّام نائب الثغر المذكور فى شهر رجب. و قد ذكرنا ما وقع لابن عرّام بسببه من الضرب و التّسمير و التّقطيع بالسيوف فى ترجمة الملك المنصور هذا. كان بركة من مماليك يلبغا و صار من بعده فى خدمة أولاد الملك الأشرف شعبان إلى أن كانت قتلة الملك الأشرف شعبان، قام هو و خشداشه برقوق مع أينبك فأنعم أينبك على كلّ منهما بإمرة طبلخاناه دفعة واحدة من الجنديّة و ندبهما بعد شهر للسفر مع الجاليش إلى الشام فاتّفق بركة هذا مع خشداشيته و وثبوا على أخى أينبك حتى كان من أمر أينبك ما ذكرناه، صار بركة هذا أمير مائة و مقدّم ألف هو و برقوق و أقام على ذلك مدّة. ثم اتّفق مع برقوق و خشداشيته على مسك الأمير طشتمر العلائىّ الدّوادار فمسك طشتمر بعد أن قاتلهم، و من يوم ذاك استبدّ برقوق بالأمر و بركة هذا شريكه فيه و صار برقوق أتابك العساكر و بركة أطابك رأس نوبة الأمراء، و حكما مصر إلى أن وقع الخلف بينهما و تقاتلا، فانتصر برقوق على بركة هذا و أمسكه و حبسه بثغر الإسكندرية إلى أن قتله ابن عرّام، حسب ما تقدّم ذكر ذلك كلّه فى ترجمة الملك المنصور. و إنما ذكرناه هنا ثانيا تنبيها لما تقدّم، فكان بركة ملكا جليلا شجاعا مهابا تركىّ الجنس و فيه كرم و حشمة و له المآثر بمكة المشرّفة و بطريق الحجاز الشريف و غيره. رحمه اللّه تعالى.

و توفّى قاضى القضاة جلال الدين أبو المعالى محمد ابن قاضى القضاة نجم الدين محمد ابن قاضى القضاة فخر الدين عثمان بن جلال الدين أبى المعالى علىّ بن

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٢٠۵

شهاب الدين أحمد بن عمر بن محمد الزّرعىّ الشافعىّ سبط الشيخ جمال الدين الشّريشىّ فى هذه السنة و قد قارب الأربعين سنة، و كان قد ولى قضاء حلب و حمدت سيرته.

و توفّى الوزير الصاحب تاج الدّين عبد الوهّاب المكّىّ المعروف بالنّشو فى المصادرة تحت العقوبة عن نيّف و ستين سنة، بعد أن ولى الوزارة أربع مرّات.

و كان مشكورا فى وزارته محسنا لأصحابه. و هذا النّشو غير النشو الذى تقدّم ذكره فى دولة الملك الناصر محمد بن قلاوون.

و توفّى الأمير سيف الدين منكلى بغا بن عبد اللّه الأحمدىّ البلدىّ نائب حلب بها و دفن خلف تربة قطلوبغا الأحمدىّ بين الجوهرىّ و الجمالية. و كان من أجلّ الأمراء و ممّن طالت أيامه فى السعادة، ولى نيابة طرابلس و حماة و حلب مرّتين، مات فى الثانية و عدّة وظائف بالديار المصريّة، و كان حازما هيوبا كريما ذا مروءة كاملة و تحشّم. و كان يقول: كلّ أمير لا يكون مصروف سماطه نصف إقطاعه ما هو أمير.

و توفّى الأمير الطّواشى زين الدين مختار السّحرتىّ الحبشىّ مقدّم المماليك السلطانية و كان صاحب معروف و صدقة و فيه كرم مع تحشّم.

و توفّى قاضى القضاة شرف الدين أبو العباس أحمد بن نور الدين علىّ بن أبى البركات منصور الدّمشقىّ الحنفىّ قاضى قضاة الديار المصريّة، وليها ثم عزل نفسه و كان من أعيان العلماء. رحمه اللّه تعالى.

و توفّى الشيخ الإمام نور الدين أبو الحسن علىّ بن ألجاوىّ (بالجيم) أحد فقهاء المالكيّة فى رابع عشر ذى الحجة، بعد ما أفتى و درّس و أشغل.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٢٠٦

و توفّى الشيخ الإمام المقرئ شمس الدين أبو عبد اللّه المعروف بالحكرىّ الشافعى فى ذى الحجة بالقاهرة، و كان فقيها فاضلا بارعا فى القراءات.

و توفّى الشيخ الصالح المعتقد زين الدين محمد بن الموّاز فى شهر ربيع الأوّل، و كان صاحب عبادة و للناس فيه اعتقاد حسن

و توفّى الشيخ الإمام شمس الدين محمد بن نجم بن عمر بن محمد بن عبد الوهّاب ابن محمد بن ذؤيب الأسدىّ الدّمشقى المعروف بابن قاضى شهبة أحد أعيان الفقهاء الشافعية فى ثامن المحرّم. و مولده ليلة الثلاثاء العشرين من شهر ربيع الأوّل سنة إحدى و تسعين و ستمائة بدمشق. و كان بارعا فقيها مدرّسا مفتنّا.

و توفّى الشيخ زين الدين أبو محمد حجّىّ بن موسى بن أحمد بن سعد السّعدىّ الحسبانىّ الشافعىّ الدّمشقىّ فى ليلة الأربعاء سابع عشر صفر، و كان أحد فقهاء الشافعية بدمشق، و حجّى هذا هو والد بنى حجىّ رؤساء دمشق فى عصرنا.

انتهى.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ستة أذرع و ستة أصابع. مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعا و أربعة أصابع- انتهى.

[ما وقع من الحوادث سنة ٧٨٣]

ذكر سلطنة الملك الصالح حاجىّ الأولى على مصر

السلطان الملك الصالح صلاح الدين أمير حاج ابن السلطان الملك الأشرف شعبان ابن الأمير الملك الأمجد حسين ابن السلطان الملك الناصر محمد ابن السلطان الملك المنصور قلاوون و هو الرابع و العشرون من ملوك الترك بالديار المصرية.

تسلطن بعد وفاة أخيه الملك المنصور علاء الدين علىّ فى يوم الاثنين رابع عشرين صفر سنة ثلاث و ثمانين و سبعمائة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۱، ص: ۲۰۷

و خبر سلطنته أنه لمّا مات أخوه الملك المنصور علىّ تكلّم الناس بسلطنة الأتابك برقوق العثمانىّ و أشيع ذلك فعظمت هذه المقالة على أكابر أمراء الدولة و قالوا: لا نرضى أن يتسلطن علينا مملوك يلبغا و أشياء من هذا النّمط، و بلغ برقوقا ذلك، فخاف ألّا يتمّ له ذلك، فجمع برقوق الأمراء و القضاة و الخليفة فى اليوم المذكور بباب الستارة بقلعة الجبل و تكلم معهم فى سلطنة بعض أولاد الأشرف شعبان، فقالوا له: هذا هو المصلحة و طلبوهم من الدور السلطانية و حضر أمير حاج هذا من جملة الإخوة، فوجدوا بعضهم ضعيفا بالجدرى و البعض صغيرا، فوقع الاختيار على سلطنة أمير حاج هذا، لأنه كان أكبرهم، فبايعه الخليفة و حلف له الأمراء و باسوا يده ثم قبّلوا له الأرض، و لقّب بالملك الصالح و هو الذى غيّر لقبه فى سلطنته الثانية بالملك المنصور، و لا نعرف سلطانا تغيّر لقبه غيره، و ذلك بعد أن خلع برقوق و حبس بالكرك على ما سنذكره إن شاء اللّه تعالى مفصّلا فى وقته- انتهى.

و لمّا تمّ أمر الملك الصالح هذا ألبسوه خلعة السلطنة و ركب من باب الستارة بأبّهة الملك و برقوق و الأمراء مشاة بين يديه إلى أن نزل إلى الإيوان بقلعة الجبل و جلس على كرسىّ الملك و قبّلت الأمراء الأرض بين يديه، ثم مدّ السّماط و أكلت الأمراء. ثم قام السلطان الملك الصالح و دخل القصر و خلع على الخليفة المتوكّل على اللّه خلعة جميلة و نودى بالقاهرة و مصر بالأمان و الدعاء للملك الصالح حاجّى و خلع على الأتابك و استقرّ على عادته أتابك العساكر و مدبّر الممالك لصغر سنّ السلطان، و كان سنّ السلطان يوم تسلطن نحو تسع سنين تخمينا.

ثم فى سابع عشرين صفر المذكور جلس السلطان الملك الصالح بالإيوان للخدمة على العامه. ثم قام و دخل القصر، بعد أن حضر الخليفة و القضاة و الأمراء و العساكر

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۱، ص: ۲۰۸

و قرئ تقليد السلطان الملك الصالح عليهم، و عند فراغ القراءة أخذ بدر الدين محمد ابن فضل اللّه كاتب السر التقليد و قدّمه للخليفة فعلّم عليه بخطّه و خلع السلطان على القضاة و على كاتب السّر المذكور. و انفضّ الموكب و أخذ برقوق فى التكلّم فى الدولة على عادته من غير معاند و فى خدمته بقية الأمراء يركبون فى خدمته و ينزلون عنده و يأكلون السّماط.

و أما القضاة و النوّاب بالبلاد الشاميّة و أرباب الوظائف بالديار المصريّة فى هذه الدولة، فكان أتابك العساكر برقوق العثمانىّ اليلبغاوى و رأس نوبة الأمراء أيتمش البجاسىّ و أمير سلاح علّان الشّعبانىّ و أمير مجلس ألطنبغا الجوبانىّ اليلبغاوىّ و الدوادار الكبير آلابغا العثمانىّ و الأمير آخور جركس الخليلىّ و حاجب الحجّاب مأمور القلمطاوى اليلبغاوى و أستادار العالية بهادر المنجكىّ و رأس نوبة ثانى- أعنى رأس نوبة النّوب فى زماننا- قردم الحسنى و هؤلاء غير نائب السلطنة و هو الأمير آقتمر عبد الغنى و غير أيدمر الشمسى و هما من أجل الأمراء و أقدمهم هجرة، يجلس الواحد عن يمين السلطان و الآخر عن يساره.

و القضاة: الشافعىّ برهان الدين بن جماعة و الحنفىّ صدر الدين بن منصور و المالكىّ علم الدين البساطىّ و الحنبلىّ ناصر الدين العسقلانىّ و كاتب السر بدر الدين ابن فضل اللّه العمرى و الوزير شمس الدين المقسى و ناظر الجيش و المحتسب جمال الدين محمود القيصرى العجمىّ و ناظر الخاصّ هو ابن المقسى أيضا، و نائب دمشق إشقتمر المارديني و نائب حلب إينال اليوسفىّ و نائب طرابلس كمشبغا الحموى و نائب حماة طشتمر القاسمى و نائب صفد الأمير الكبير طشتمر العلائىّ، نقل إليها من القدس و نائب غزّة آقبغا بن عبد اللّه و نائب إسكندريّة بلّوط الصّرغتمشىّ.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۱، ص: ۲۰۹

و الذين هم معاصروه من ملوك الأقطار: صاحب بغداد و تبريز و ما والاهما الشيخ حسين بن أويس و صاحب ماردين الملك الظاهر مجد الدين عيسى و صاحب اليمن الملك الأشرف ابن الملك الأفضل و صاحب مكّة الشريف أحمد بن عجلان و صاحب المدينة الشريفة عطية بن منصور و صاحب سيواس القاضى برهان الدين أحمد و صاحب بلاد قرمان الأمير علاء الدين و صاحب بلاد سمرقند

و ما والاها تيمور لنك كوركان و صاحب بلاد الدّشت طقتمش خان من ذرية جنجز خان انتهى.

و لمّا كان يوم الخميس ثالث شهر ربيع الآخر: أنعم على الأمير تغرى برمش بتقدمة ألف بديار مصر بعد وفاة أمير علىّ بن قشتمر المنصورى. ثم أنعم على سودون الشيخونى بتقدمة ألف أيضا و استقرّ حاجبا ثانيا عوضا عن علىّ بن قشتمر المنصورى. ثم بعد مدّة استقرّ تغرى برمش المقدّم ذكره أمير سلاح بعد وفاة علّان الشعبانىّ. ثم استقرّ مأمور القلمطاوى حاجب الحجّاب فى نيابة حماة بعد وفاة طشتمر خازندار يلبغا العمرى.

ثم طلب يلبغا الناصرى من دمشق و كان منفيّا بها على تقدمة ألف، فحضر فى آخر شعبان، فتلقاه الأتابك برقوق و الأمراء و ترجّل له برقوق و أركبه مركوبا من مراكيبه و أنعم عليه بإمرة مائة و تقدمة ألف بالقاهرة و أجلس راس ميسرة فوق أمير سلاح فلم تطل مدّته بديار مصر و أخلع عليه بنيابة حلب فى يوم الخميس ثانى شوّال بعد عزل إينال اليوسفى و طلبه إلى مصر، فلما وصل إينال إلى غزّة قبض عليه و أرسل الى سجن الكرك. ثم أنعم الأتابك برقوق على دواداره الأمير يونس النوروزى بتقدمة ألف بمصر عوضا عن يلبغا الناصرى و خلع على الأمير جركس الخليلى الأمير آخور الكبير و استقرّ مشير الدولة و رسم للوزير ألا يتكلم فى شىء إلا بعد مراجعته.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١١، ص: ٢١٠

و فى العشر الأخير من شوّال أنعم على قطلوبغا الكوكائىّ بتقدمة ألف بعد وفاة الأمير آنص والد الأتابك برقوق العثمانىّ الذى قدم قبل تاريخه من بلاد الجركس، يأتى ذكر وفاته فى الوفيات.

ثم فى يوم الاثنين تاسع ذى الحجّة من سنة ثلاث و ثمانين و سبعمائة تخلّى الأمير تغرى برمش أمير سلاح عن إمرته و وظيفته و توجّه إلى جامع قوصون ليقيم به بطّالا، فأرسل الأتابك إليه الأمير سودون الشيخونى الحاجب الثانى و قردم الحسنى رأس توبة و توجّها إليه و سألاه أن يرجع إلى وظيفته و إمرته فلم يرجع لها، فعادا بالجواب إلى برقوق بذلك.

ثم إنّ تغرى برمش المذكور ندم من ليلته و أرسل يسأل الشيخ أكمل الدين شيخ الشيخونية أن يسأل برقوقا أن يعيده إلى إمرته و وظيفته فأرسل أكمل الدين إلى برقوق بذلك فلم يقبل برقوق و رسم بخروجه إلى القدس ماشيا، فأخرجه النّقباء إلى قبة النصر ماشيا. ثم شفع فيه فركب و سار إلى القدس.

ثم فى العشر الأخير من شعبان أجرى جركس الخليلى الأمير آخور الماء إلى الميدان من تحت القلعة إلى الحوض الذى على بابه.

قلت: و إلى الآن الحوض باق على حاله بلا ماء.

ثم فى التاريخ المذكور أخرج الأمير جركس الخليلى فلوسا جددا من الفلوس العتق، منها فلس زنته أوقيّة بربع درهم و فلس زنته نصف أوقية و فلس بفلسين.

فلما فعل ذلك وقف حال الناس و حصل الغلاء و قلّ الجالب؛ فلمّا بلغ الأتابك برقوقا أمر بإبطالها، و فى المعنى يقول الشيخ شهاب الدين أحمد بن العطار- رحمه اللّه تعالى: [البسيط]

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١١، ص: ٢١١

تغيير عتق فلوس قد أضرّ فكم حوادث جدد جلّت من العدد

فكيف تمشى علاقات الأنام إذا و الحال واقفة بالعتق و الجدد

و قالت العامّة- لمّا فعل الخليلى ذلك و رسم بنقش اسمه على الفلوس-:

الخليلى من عكسو، نقش اسمو على فلسو. انتهى.

ثم حضر إلى الديار المصرية فى ذى الحجّة الأمير كمشبغا الحموى نائب طرابلس و كان السلطان و الأتابك برقوق فى الصيد بناحية كوم برا؛ فأخلع السلطان عليه باستمراره على نيابة طرابلس.

ثم فى يوم الخميس ثالث المحرّم سنة أربع و ثمانين و سبعمائة استقرّ سودون الفخرى الشيخونى حاجب الحجاب بالديار المصرية، و

كانت شاغرة من العام الماضى منذ توجّه مأمور القلمطاوى إلى نيابة حماة.

ثم أرسل الأتابك برقوق بكلمش الطازى العلائى إلى دمياط لإحضار بيدمر الخوارزمى المعزول عن نيابة دمشق قبل تاريخه فحضر فى العشرين من المحرّم و تلقّاه الأتابك برقوق من البحر و خلع عليه باستقراره فى نيابة دمشق على عادته عوضا عن إشقتمر المارديني.

و فى سلخ صفر تولّى القاضى بدر الدين بن أبى البقاء قضاء الشافعية بديار مصر عوضا عن قاضى القضاة برهان الدين بن جماعة و رسم بانتقال مأمور القلمطاوى من

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٢١٢

نيابة حماة إلى نيابة طرابلس عوضا عن كمشبغا الحموى بحكم انتقال كمشبغا إلى دمشق على خبز جنتمر أخى طاز بحكم توجّه جنتمر إلى القدس بطّالا و نقل إلى نيابة حماة الأمير الكبير طشتمر العلائى الدّوادار الذى كان قبل تاريخه حكم مصر، و تولّى نيابة صفد بعد طشتمر الدوادار تلو حاجب حجّاب دمشق.

و فى العشر الأوسط من شعبان نام الأتابك برقوق بمبيته بسكنه بالإسطبل السلطانىّ و قعد شيخ الصّفوىّ الخاصّكى يكبّسه و بينما هو نائم مسكه شيخ المذكور فى جنبه قويّا خارجا عن الحدّ، فقعد برقوق من اضطجاعه و قال له: ما الخبر؟ فقال:

إنّ مملوكك أيتمش اتّفق مع مماليك الأسياد الذين فى خدمتك و معهم بطا الأشرفىّ على أنهم الساعة يقتلونك، فسكت برقوق و جلس على حاله، فإذا أيتمش المذكور دخل عليه فقام برقوق و أخذ بيده قوسا و ضربه به ضربة واحدة صفحا أرماه و أمر بمسكه و قال له: يا متخنّث! الذى يأخذ الملك و يقتل الملوك يقع من ضربة واحدة. ثم مسك بطا الخاصّكى و خرج برقوق و جلس بالإسطبل و طلب سائر الأمراء الكبار و الصغار، فطلع الجميع إليه فى الحال فكلّمهم بما سمع و جرى ثم أمسك من مماليك الأسياد نحو سبعة عشر نفرا؛ منهم: كزل الحططىّ، و يلبغا الخازندار الصغير و جماعة من رءوس نوب الجمداريّة عنده.

ثم فى صبيحة نهاره أمسك جماعة من رءوس نوب الجمدارية و جماعة أخر تتمة خمسة و ستين نفرا من مماليك الأسياد و هرب من بقى منهم. فالذين كان قبض عليهم اوّل يوم حبسهم بالبرج من قلعة الجبل و الذين مسكهم من الغد حبسهم بخزانة شمائل. ثم أنزل بطا الخاصّكى الأشرفىّ و أيتمش إلى خزانة شمائل. ثم أمسك الأتابك

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٢١٣

برقوق الأمير ألابغا العثمانى الدوادار الكبير و أحد مقدّمى الألوف بالديار المصرية و سجنه. ثم أخرجه على إمرة طبلخاناه بطرابلس. ثم نقله بعد مدّة يسيرة إلى تقدمة ألف بدمشق.

ثم فى يوم السبت مستهل شهر رمضان أخرج برقوق من خزانة شمائل ثلاثة و أربعين مملوكا من الممسوكين قبل تاريخه، و أمر بتخشيبهم و تقييدهم و مشوا و هم مزنجرين بالحديد. و معهم سودون الشّيخونىّ حاجب الحجّاب و نقيب الجيش إلى أن أوصلوهم إلى مصر القديمة و أنزلوهم إلى المراكب، و صحبتهم جماعة من الجبليّة فتوجّهوا بهم إلى قوص.

و كان سبب اتفاق هؤلاء المماليك على برقوق و قتله بسكنه بباب السلسلة لفرصة كانت وقعت لهم باشتغال الأمير جركس الخليلى الأمير آخور بجسر كان عمّره بين الروضة و مصر فى النيل.

و خبره أنه لمّا كان فى أوائل شهر ربيع الأوّل من هذه السنة اهتمّ الأمير جركس الخليلىّ المذكور فى عمل جسر بين الرّوضة و بين جزيرة أروى المعروفة بالجزيرة الوسطى، طوله نحو ثلاثمائة قصبة و عرضه عشر قصبات و أقام هو بنفسه على عمله و مماليكه و جعل فى ظاهر الجسر المذكور خوازيق من سنط و سمّر عليها أفلاق نخل، جعلها على الجسر كالستارة تقيه من الماء عند زيادته، و انتهى العمل منه فى آخر شهر ربيع الآخر. ثم حفر فى وسط البحر خليجا من الجسر المذكور إلى زريبة قوصون ليمرّ الماء فيه عند زيادته. و يصير البحر ممرّه دائما منه صيفا

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٢١٤

و شتاء. و غرّم على هذا العمل أموالا كثيرة فلم يحصل له ما أراد على ما يأتى ذكره.

و فى هذا المعنى يقول الأديب شهاب الدين أحمد بن العطار. [الخفيف]

شكت النّيل أرضه للخليلى فأحضره

و رأى الماء خائفا أن يطأها فجسّره

و قال فى المعنى شرف الدين عيسى بن حجّاج العالية- رحمه اللّه تعالى- [الكامل]

جسر الخليلى المقرّ لقد رسا كالطّود وسط النّيل كيف يريد

فإذا سالتم عنهما قلنا لكم: ذا ثابت دهرا و ذاك يزيد

فهذا هو الذى كان أشغل الخليلى عن الإقامة بالإسطبل السلطانى. و أيضا لما كان خطر فى نفوسهم من الوثوب على الملك فإنه من يوم قتل الملك الأشرف شعبان و صار طشتمر اللّفّاف من الجنديّة أتابك العساكر. ثم من بعده قرطاى الطازى. ثم من بعده أينبك البدرى. ثم من بعده قطلقتمر. ثم الأتابك برقوق و بركة، و كلّ من هؤلاء كان إمّا جنديّا أو أمير عشرة و ترقّوا إلى هذه المنزلة بالوثوب و إقامة الفتنة، طمع كلّ أحد أن يكون مثلهم و يفعل ما فعلوه فذهب لهذا المعنى خلائق و لم يصلوا إلى مقصودهم. انتهى.

و استمرّ الأتابك برقوق بعد مسك هؤلاء فى تخوّف عظيم و احترز على نفسه من مماليكه و غيرهم غاية الاحتراز. فأشار عليه بعد ذلك أعيان خشداشيّته و أصحابه مثل:

أيتمش البجاسى و ألطنبغا الجوبانى أمير مجلس و قردم الحسنىّ و جركس الخليلى و يونس النّوروزىّ الدوادار و غيرهم- أن يتسلطن و يحتجب عن الناس و يستريح و يريح من هذا الذى هو فيه من الاحتراز من قيامه و قعوده. فجبن عن الوثوب على السلطنة و خاف عاقبة ذلك فاستحثّه من ذكرناه من الأمراء، فاعتذر بأنّه يهاب قدماء

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١١، ص: ٢١٥

الأمراء بالديار المصريّة و البلاد الشامية. فركب سودون الفخرى الشيخونى حاجب الحجّاب و دار على الأمراء سرّا حتّى استرضاهم، و لا زال بهم حتّى كلّموا برقوقا فى ذلك و هوّنوا عليه الأمر و ضمنوا له أصحابهم من أعيان النّوّاب و الأمراء بالبلاد الشامية، و ساعدهم فى ذلك موت الأمير آقتمر عبد الغنى، فإنّه كان من أكابر الأمراء، و كان برقوق يجلس فى الموكب تحته لقدم هجرته و كذلك بموت الأمير أيدمر الشّمسى، فإنه كان أيضا من أقران آقتمر عبد الغنى، فماتا فى سنة واحدة على ما يأتى ذكرهما فى الوفيات- إن شاء اللّه تعالى.

فعند ذلك طابت نفسه و أجاب، و صار يقدّم رجلا و يؤخر أخرى، حتّى كان يوم الأربعاء تاسع عشر شهر رمضان سنة أربع و ثمانين و سبعمائة طلع الأمير قطلوبغا الكوكائى أمير سلاح و ألطنبغا المعلّم رأس نوبة إلى السلطان الملك الصالح أمير حاجّ صاحب التّرجمة، فأخذاه من قاعة الدّهيشة و أدخلاه إلى أهله بالدور السلطانية، و أخذا منه النّمجاة و أحضراها إلى الأتابك برقوق العثمانى، و قام بقيّة الأمراء من أصحابه على الفور و أحضروا الخليفة و القضاة و سلطنوه؛ على ما سنذكره فى أوّل ترجمته، بعد ذكر حوادث سنين الملك الصالح هذا على عادة هذا الكتاب. إن شاء اللّه تعالى.

و خلع الملك الصالح من السلطنة، فكانت مدّة سلطنته على الديار المصريّة سنة واحدة و سبعة أشهر تنقص أربعه أيام، على أنه لم يكن له فى السلطنة من الأمر و النهى لا كثير و لا قليل. و استمرّ الملك الصالح عند أهله بقلعة الجبل إلى أن أعيد للسلطنة ثانيا، بعد خلع الملك الظاهر برقوق من السلطنة و حبسه بالكرك فى واقعة يلبغا الناصرىّ و منطاش؛ كما سيأتى ذكر ذلك مفصّلا.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١١، ص: ٢١٦

السنة الأولى من سلطنة الملك الصالح أمير حاج الأولى على مصر

و هى سنة ثلاث و ثمانين و سبعمائة. على أنّ أخاه الملك المنصور عليا حكم فيها من أوّلها إلى ثالث عشرين صفر؛ حسب ما تقدّم ذكره فى وفاته.

فيها (أعنى سنة ثلاث و ثمانين و سبعمائة) توفّى قاضى القضاة عماد الدين أبو الفداء إسماعيل ابن الشيخ شرف الدين أبى البركات محمد بن أبى العزّ بن صالح الدمشقى الحنفى قاضى قضاة دمشق بها عن نيّف و تسعين سنة. و كان فقيها رئيسا من بيت علم و رياسة بدمشق. و هم يعرفون ببنى أبى العز و بنى الكشك.

و توفّى قاضى القضاة كمال الدين أبو القاسم عمر ابن قاضى القضاة فخر الدين أبى عمر عثمان بن الخطيب هبة اللّه المعرّى الشافعىّ بدمشق عن إحدى و سبعين سنة بعد أن حكم بها خمس سنين. و كان تنقّل فى البلاد و ولّى قضاء طرابلس و حلب و دمشق غير مرة؛ و كان فقيها عارفا بالأحكام خبيرا بالأمور.

و توفّى الشيخ الإمام العالم شهاب الدين أبو العباس أحمد بن حمدان بن أحمد ابن عبد الواحد الأذرعىّ الشافعىّ بحلب عن نيف و سبعين سنة. و كان عديم النظير، فقيها عالما، شرح «منهاج النّووى». و استوطن حلب و ولى بها التدريس و نيابة الحكم إلى أن توفّى. رحمه اللّه.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٢١٧

و توفّى الشيخ الإمام العالم الفاضل ركن الدين أحمد القرمىّ الحنفى الشهير بقاضى قرم و مفتى دار العدل بالديار المصرية بها عن ثمانين سنة. و استقر عوضه فى إفتاء دار العدل الشيخ شمس الدين محمد النيسابورىّ ابن أخى جار اللّه الحنفىّ. و كان ركن الدين فاضلا عارفا بمذهبه، ناب فى الحكم عن قاضى القضاة جلال الدين جار اللّه، و كان معدودا من أعيان فقهاء مصر.

و توفّى شيخ الشيوخ نظام الدين إسحاق ابن الشيخ مجد الدين عاصم ابن الشيخ سعد الدين محمد الأصبهانىّ الحنفىّ فى ليلة الأحد ثالث عشر و بيع الآخر؛ قاله المقريزىّ.

و خالفه العينى؛ بأن قال: فى المحرم سنة ثمانين و لم يوافق لا فى الشهر و لا فى السنة.

و الصواب: المقالة الأولى. و كان قدم إلى القاهرة و تولّى مشيخة خانقاه سرياقوس، ثم توجه فى الرّسلية إلى بلاد الهند و عاد و قد كثر ماله، حتى إنه أهدى الذهب فى الأطباق. و مما يدلّ على اتساع ماله عمارته الخانقاه بالقرب من قلعة الجبل تجاه باب الوزير على بعد متر شرقىّ الجبل و هى فى غاية الحسن. و كان له همة و مكارم، حدّثنى حفيده بأشياء كثيرة من مكارمه و فضله و أفضاله.

توفّى الشيخ جمال الدين عبد اللّه بن محمد بن حديدة الأنصارى أحد الصوفية بالخانقاه الصلاحية سعيد السعداء فى سادس عشرين شعبان. و كان يروى الشّفاء و ثلاثيّات «البخارى» و غير ذلك. و صنّف كتاب «المصباح المضئ» فى كتّاب النبى عليه السلام و مكاتباته.

و توفّى الأمير سيف الدين مازى بن عبد اللّه اليلبغاوىّ أحد أمراء الطلبخانات بالديار المصرية بها.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٢١٨

و توفّى السيد الشريف عطية بن منصور بن جمّاز بن شيحة الحسنىّ أمير المدينة النبويّة بها و تولى بعده ابن أخيه جمّاز بن هبة اللّه و كان كريما عادلا. رحمه اللّه.

و توفّى الأمير آنص العثمانىّ الجركسىّ والد الأتابك برقوق العثمانىّ أحد مقدّمى الألوف بالديار المصرية فى العشر الأوسط من شوّال و قد جاوز ثمانين سنة من العمر، أقام عمره فى بلاد الجزكس، حتى هداه اللّه تعالى للإسلام على يد ولده الأتابك برقوق، و قدم القاهرة كما تقدّم ذكره فى ترجمة الملك المنصور علىّ و أسلم و حسن إسلامه و أقام بعد ذلك دون السنتين و مات. و مع هذه المدة القصيرة من إسلامه أظهر فيها عن دين كبير و خير و صدقات كثيرة و محبّة لأهل العلم و شفقة على الفقراء و أهل الصّلاح. و كان لا يدّخر شيئا من المال، بل كان مهما حصل فى يده فرّقه فى الحال على الفقراء و المساكين. أخبرنى جماعة من خدمه أنّه كان

إذا ركب و لقى فى طريقه أحدا من المحابيس المكدّين يأخذه من جنداره و يطلقه فى الحال من زبحيره، و لم يقدر أحد أن يردّه عن ذلك، فمنع برقوق من خروج المحابيس للتّكدّى خوفا من أن يطلقهم، فإنّه كان إذا رأى أحدا منهم يسأل من مماليكه هذا مسلم أم كافر؟ فيقولون له: مسلم؛ فيقول: كيف يفعل بمسلم هكذا فى بلاد الإسلام! أطلقوه فيطلق فى الحال. و مات قبل سلطنة ولده برقوق و دفن بتربة الأمير يونس الدوادار

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۱، ص: ۲۱۹

برأس الروضة خارج باب البرقية من القاهرة، ثم نقل بعد فراغ مدرسة ولده البرقوقية ببين القصرين إلى الدفن بها فى القبّة.

و توفّى الأمير الكبير سيف آقتمر بن عبد اللّه من عبد الغنى نائب السلطنة بالديار المصرية بالقاهرة فى هذه السنة، بعد أن باشر عدّة أعمال و وظائف مثل: نيابة صفد، و طرابلس، و دمشق، و حجوبيّة الحجّاب بديار مصر، و إمرة جاندار، و نيابة السلطنة بها مرتين. و بموته خلا الجوّ للأتابك برقوق و تسلطن، مع أنه كان عديم الشر، غير أنه كان مطاعا فى الدولة يرجع إلى كلامه، فكان برقوق يراعيه و يجلس تحته إلى أن مات فى تاسع عشرين جمادى الآخرة.

و توفّى الأمير الكبير عزّ الدين أيدمر بن عبد اللّه الشمسى أحد أكابر أمراء الألوف بالديار المصريّة بها فى ثالث عشر صفر و قد جاوز الثمانين سنة. و كان أصله من مماليك الملك الناصر محمد بن قلاوون، أقام أميرا نحوا من ستين سنة، و هو أيضا ممّن كان برقوق يخشاه و يعظّمه و يجلس تحته حتّى فى يوم حضور والد برقوق بخانقاة سرياقوس، جلس برقوق تحته فى الملأ من الناس، فبموت هؤلاء صفا الوقت لبرقوق و إن كان بقى من القدماء إشقتمر المارديني بأيدمر الخوارزمىّ، فهما ليس كهؤلاء فإنهما لحبّهما لنيابة دمشق و غيرها يتواضعا لأصحاب الشوكة. انتهى و كان أيدمر الشمسىّ هذا كونه مملوك ابن قلاوون يجلس عن اليمين و آقتمر عبد الغنى عن اليسار.

و توفّى الأمير سيف الدين طشتمر بن عبد اللّه القاسمىّ المعروف بخازندار يلبغا العمرىّ نائب حماة فى هذه السنة فى شهر رجب بعين تاب صحبة العساكر الشاميّة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۱، ص: ۲۲۰

و كان من أجلّ مماليك يلبغا العمرىّ و أكابرهم، و تولّى بعده نيابة حماة مأمور القلمطاوىّ اليلبغاوىّ حاجب الحجّاب.

و توفّى الأمير علّان بن عبد اللّه الشعبانىّ أمير سلاح فى ثمانى عشر شهر ربيع الآخر و هو أحد أعيان مماليك يلبغا، و كان من حزب برقوق و قام معه فى نوبة واقعة بركة أتمّ قيام و كان برقوق لا يخرج عن رأيه.

و توفّى خواجا فخر الدين عثمان بن مسافر جالب الأتابك برقوق من بلاده ثم جالب أبيه و إخوته إلى الديار المصريّة بالقاهرة فى سادس عشر شهر رجب. و كان رجلا مقداما عاقلا وقورا، نالته السعادة لجلبه الأتابك برقوق و مات و هو من أعيان المملكة. و كان برقوق إذا رآه قام له من بعد و أكرمه و قبل شفاعته و أعطاه ما طلب.

و توفّى الشيخ الفقير المعتقد على الشامىّ بالقاهرة فى خامس صفر و كان يعرف بأبى لحاف.

و توفّى الأمير علاء الدين على بن قشتمر الحاجب الشهير بالوزيرىّ فى تاسع عشرين شهر ربيع الآخر، كان أمير مائة و مقدّم ألف بديار مصر و كان من خواصّ برقوق و أحد من قام معه فى وقائعه و ساعده.

و توفّى الأستاذ شمس الدين محمد بن محمد بن محمد المعروف بابن السّورى العمّارى الموصلى العوّاد المغنّى- نسبته بالعمّارى إلى عمّار بن ياسر الصحابىّ رضى اللّه عنه- فى يوم العشرين من صفر بالقاهرة، و قد انتهت إليه الرئاسة فى ضرب العود و الموسيقى و نالته السعادة من أجلها، حتّى إنّه كان إذا مرض عاده جميع أعيان الدولة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۱، ص: ۲۲۱

قلت: و هو صاحب التصانيف الهائلة فى الموسيقى.

و توفّيت المسندة المعمّرة جويرة بنت الشّهاب أبى الحسن [أحمد] بن أحمد الهكّارى فى يوم السبت ثانى عشرين صفر و قد انفردت برواية النّسائى و غيرها.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم خمسة أذرع و ثمانية أصابع. مبلغ الزيادة تسعة عشر ذراعا و اثنا عشر إصبعا.

[ما وقع من الحوادث سنة ۷۸۴]

ذكر سلطنة الملك الظاهر برقوق الأولى على مصر

السلطان الملك الظاهر أبو سعيد سيف الدين برقوق بن آنص العثمانى اليلبغاوى الجاركسىّ القائم بدولة الجراكسة بالديار المصرية. و هو السلطان الخامس و العشرون من ملوك الترك بالديار المصرية و الثانى من الجراكسة، إن كان الملك المظفر بيبرس الجشنكير چاركسيا، و إن كان بيبرس تركى الجنس فبرقوق هذا هو الأوّل من ملوك الچراكسة، و هو الأصحّ و به نقول.

جلس على تخت الملك فى وقت الظّهر من يوم الأربعاء تاسع عشر شهر رمضان سنة أربع و ثمانين و سبعمائة الموافق له آخر يوم هاتور و سادس تشرين الثانى، بعد أن اجتمع الخليفة المتوكّل على اللّه أبو عبد اللّه محمد و القضاة و شيخ الإسلام سراج الدّين عمر البلقينى و خطب الخليفة المتوكّل على اللّه خطبة بليغة. ثم بايعه على السلطنة و قلّده أمور المملكة ثم بايعه من بعده القضاة و الأمراء.

ثم أفيض على برقوق خلعة السلطنة، و هى خلعة سوداء خليفتيّة على العادة، و أشار السّراج البلقينى أن يكون لقبه «الملك الظاهر» فإنه وقت الظّهيرة و الظّهور و قد ظهر هذا الأمر بعد أن كان خافيا، فتلقّب بالملك الظاهر و ركب فرس النّوبة من الحرّافة من المقعد الذى بالإسطبل السلطانىّ من باب السّلسلة. و القبّة و الطّير

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۱، ص: ۲۲۲

على رأسه، و طلع من باب السّر إلى القصر الأبلق، و أمطرت السماء عند ركوبه بأبّهة السلطنة، فتفاءل الناس بيمن سلطنته و مشت الأمراء و الأعيان بين يديه إلى أن نزل و دخل القصر المذكور و جلس على تخت الملك. و كان طالع جلوسه على تخت الملك برج الحوت و الشمس فى القوس متصلة بالقمر تثليثا و القمر بالأسد متّصل بالمشترى تثليثا و زحل بالثّور راجعا و المشترى بالحمل متصل بعطارد من تسديس و المرّيخ بالجوزاء فى شرفه و الزّهراء بالعقرب و عطارد بالقوس. و دقّت البشائر بقلعة الجبل عند ركوبه ثم زيّنت القاهرة و مصر و نودى بالقاهرة بالدعاء للسلطان الملك الظاهر برقوق.

و لمّا جلس على تخت الملك قبّلت الأمراء الأرض بين يديه و خلع على الخليفة على العادة.

ثم كتب بذلك إلى الأعمال و خرجت الأمراء لتحليف النّوّاب بالبلاد الشامية ثم أمر الملك الظاهر فى السلطنة و ثبتت قواعد ملكه.

و مدحه جماعة من شعراء عصره منهم الشيخ شهاب الدين أحمد بن العطار فقال:

[السريع]

ظهور يوم الأربعاء ابتدا بالظاهر المعتز بالقاهر

و البشر قد تمّ و كلّ امرئ منشرح الباطن بالظاهر

و قال الشيخ شهاب الدين الأعرج السّعدى من قصيدة: [الوافر]

تولّى الملك برقوق المفدّى بسعد الجدّ و الاقدار حتم

نهار الأربعاء بعيد ظهر و للتربيع فى الاملاك حكم

بتاسع عشر رمضان بعام لأربع مع ثمانين يتمّ

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۱، ص: ۲۲۳

قلت: و لنذكر أمر الملك الظاهر هذا من أوّل ابتداء أمره فنقول:

أصله من بلاد الچاركس و جنسه «كسا» ثم أخذ من بلاده و أبيع بمدينة قرم فاشتراه خواجا عثمان بن مسافر المقدّم ذكره و جلبه إلى مصر فاشتراه منه الأتابك يلبغا العمرى الخاصّكى الناصرى فى حدود سنة أربع و ستين و سبعمائة أو قبلها بيسير و أعتقه و جعله من جملة مماليكه، و استمرّ بخدمته إلى أن ثارت مماليك يلبغا عليه و قتل فى سنة ثمان و ستين و سبعمائة، فلم أدر هل كان برقوق ممّن هو مع أستاذه يلبغا أم كان عليه. و لما قتل يلبغا و تمزّقت مماليكه و حبس أكثرهم حبس برقوق هذا مع من حبس مدّة طويلة هو و رفيقه بركة الجوبانىّ و معهم أيضا جاركس الخليلى و هو دونهم فى الرتبة. ثم أفرج عنه و خدم عند الأمير منجك اليوسفىّ نائب الشام سنين إلى أن طلب الملك الأشرف مماليك يلبغا إلى الديار المصرية حضر برقوق هذا من جملتهم و صار بخدمة الأسياد أولاد الملك الأشرف جنديّا و لم يزل على ذلك حتى ثار مع من ثار من مماليك يلبغا على الملك الأشرف شعبان فى نوبة قرطاى و أينبك و غيرهما فى سنة ثمان و سبعين و سبعمائة و قتل الأشرف.

ثم لمّا وقع بين أينبك و قرطاى و انتصر أينبك على قرطاى أنعم أينبك عليه بإمرة طبلخاناة دفعة واحدة من الجندية، فدام على ذلك نحو الشهر، و خرج أيضا مع من خرج على أينبك من اليلبغارية فأخذ إمرة مائة و تقدمة ألف و كذلك وقع لرفيقه بركة. ثم صار بعد أيام قليلة أمير آخور كبيرا و دام على ذلك دون السنة و اتّفق مع الأمير بركة على مسك طشتمر الدوادار و مسكاه بعد أمور حكيناها فى ترجمة الملك المنصور علىّ و تقاسما المملكة و صار برقوق أتابك العساكر، و بركة رأس نوبة الأمراء أطابكا، فدام على ذلك من سنة تسع و سبعين إلى سنة اثنتين و ثمانين و وقع

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٢٢٤

بينه و بين خشداشه بركة و قبض عليه بعد أمور و حروب وصفا له الوقت إلى أن تسلطن. و قد تقدّم ذكر ذلك كلّه، غير أننا ذكرناه هنا ثانيا على سبيل الاختصار لينتظم سياق الكلام مع سياقه. انتهى.

قال المقريزى- رحمه اللّه: و كان اسمه ألطنبغا فغيّره أستاذه يلبغا لمّا اشتراه و سمّاه برقوقا. و قال القاضى علاء الدين علىّ ابن خطيب الناصريّة: كان اسمه «سودون» نقلا عن قاضى القضاة ولىّ الدين أبى زرعة العراقىّ عن التاجر برهان الدين المحلّى عن خواجا عثمان بن مسافر. و القولان ليسا بشىء و إن كان النقلة لهذا الخبر ثقات فى أنفسهم فإنهم ضعفاء فى الأتراك و أسمائهم و ما يتعلّق بهم لا يرجع إلى قولهم فيها. و الأصح: أنّه من يوم ولد اسمه برقوق كما سنبيّنه فى هذا المحلّ من وجوه عديدة منها: أن الخواجا عثمان كان لا يعرف بالعربية، و كان البرهان المحلّى لا يعرف باللغة التركية كلمة واحدة، فكيف دار بينهما الكلام، حتى حكى له ما نقل و إن وقع اجتماعهما فى بعض المجالس و تكالما، فالبرهان يفهم عنه بالرمز لا بالتحقيق و ليس بهذا نستدل، بل أشياء أخر منها: أنّ والد الملك الظاهر برقوق لمّا قدم من بلاد الجاركس إلى الديار المصرية و نزل الملك الظاهر برقوق فى وجوه الأمراء إلى ملاقاته بالعكرشة و قد تقدّم ذكر ذلك كلّه، و كان يوم ذلك برقوق مرشّحا للسلطنة،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٢٢٥

فعندما وقع بصر والده عليه و أخذ برقوق فى تقبيل يده ناداه باسمه برقوق من غير تعظيم و لا تحشّم. و كان والد برقوق لا يعرف الكلمة الواحدة من اللغة التركية، فلمّا جلس فى صدر المخيّم و صار يتكلّم مع ولده برقوق بالجاركس تكرّر منه لفظ «برقوق» غير مرة.

ثم لمّا قدم القاهرة و صار أمير مائة و مقدّم ألف استمرّ على ما ذكرناه من أنه ينادى برقوقا باسمه و لا يقوم له إذا دخل عليه، فكلّمه بعض أمراء الجراكسة أن يخاطبه بالأمير، فلم يفعل و غضب و طلب العود إلى بلاد الجاركس، فلو كان لبرقوق اسم غير برقوق ما ناداه إلّا به و لو قيل له فى ذلك ما قبله. فهذا من أكبر الأدلة على أن اسمه القديم «برقوق». و كذلك وقع لبرقوق مع الخوندات، فإن أخته الكبرى كانت أرضعت برقوقا مع ولد لها، و كانت أيضا لا تعرف باللّغة التركية، فكان أعظم يمين عندها: و حقّ رأس برقوق. و قدم

مع الخوندات جماعة كبيرة من أقاربهم و حواشيهم و تداول مجيئهم من بلاد الجاركس إلى القاهرة إلى الدولة الناصرية، و رأيت أنا الخوندات غير مرّة.

و أما جواريّهم و خدمهم فصار غالبهم عندنا بعد موتهم. و استولد الوالد بعض من حضر معهم من بلاد الجاركس من الجوارى و كان غالب من حضر معهم من عجائز الجراكسة يعرف مولد برقوق فلم نسمع من أحد منهم ما نقله من تغيير اسمه و لا من أحد من مماليكه مع كثرة عددهم و اختلاف أجناسهم. و منهم من يدّعى له بقرابة مثل الأمير قجماس والد إينال الأمير الآخور الكبير و غيره، و قد أثبت ذرية قجماس المذكور أنّه ابن عمّ برقوق بسبب ميراث مماليكه بمحضر شهد فيه جماعة من قدماء الجراكسة و سمّى فيه برقوق برقوقا و سمّى قجماس فجماسا.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٢٢۶

ثم لمّا وقفت على هذه النّقول الغريبة سألت عن ذلك من أكابر مماليك برقوق، فكلّ من سألت منه يقول: لم يطرق هذا الكلام سمعى إلّا فى هذا اليوم، هذا مع كثرتهم و تعظيمهم لأستاذهم المذكور و حفظهم لأخياره، و ما وقع له قديما و حديثا حتى إنّ بعضهم قال: هذا اسم جاركسى و يلبغا اسم تترى لا يعرف معناه، ثم ذكر معناه فقال: هذا الاسم أصله «ملى جق» و معناه بالجاركسى غنّام، فإنّ «ملى» بلغتهم اسم للغنم ثم خفّف على «جق» ببرقوق ثم ذكر أسماء كثيرة، كان أصلها غير ما هى عليه الآن مثل «بايزير» فسمى «بايزيد» و منهم من جعله كنية أبى يزيد و مثل «آل باى» فسّمى «على باى» و أشياء من ذلك يطول شرحها. و قد خرجنا عن المقصود لتأييد قولنا، و قد أوضحنا هذا و غيره فى مصنّف على حدته فى تحريف أولاد العرب للاسماء التركية و العجميّة و فى شهرتهم إلى بلادهم فى مثل جانبك و تنبك و شيخون، و مثل من نسب إلى فيروزباد و استرآباد من زيادة ألفاظ و ترقيق ألفاظ يتغيّر منها معناها، حتّى إن بعض الأتراك أو الأعاجم إذا سمعها لا يفهمها إلّا بعد جهد كبير. انتهى.

و أمّا الملك الظاهر برقوق فإنه لمّا تسلطن جلس بالقصر الأبلق ثلاثة أيام، فصارت هذه الإقامة سنّة بعده لمن يتسلطن و لم تكن قبل ذلك. فلمّا كان يوم الاثنين رابع عشرين شهر رمضان قرئ عهد الملك الظاهر برقوق بالسلطنة بحضرة الخليفة و القضاة و الأمراء و أعيان الدولة و خلع السلطان عليهم الخلع السنيّة. ثم أخلع على الأمير أيتمش البجاسىّ باستمراره رأس نوبة الأمراء و أطابكا و على الأمير ألطنبغا الجوبانىّ أمير مجلس على عادته، و على جاركس الخليلى الأمير آخور الكبير على

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٢٢٧

عادته، و على الأمير سودون الفخرىّ الشيخونىّ حاجب الحجّاب باستقراره نائب السّلطنة بالديار المصرية، و كانت شاغرة من يوم مات الأمير آقتمر عبد الغنى. و خلع على الأمير ألطنبغا الكوكائى أمير سلاح، و استقرّ حاجب الحجّاب عوضا عن سودون الشيخونىّ، و على الأمير ألطنبغا المعلّم باستقراره أمير سلاح عوضا عن الكوكانى المنتقل إلى الحجوبيّة.

قلت: و هذا مما يدل على أن وظيفة إمرة سلاح كانت إذ ذاك دون الحجوبيّة انتهى.

ثم أخلع السلطان على الأمير يونس النّوروزى دواداره قديما باستقراره دوادارا كبيرا بإمرة مائة و تقدمة ألف عوضا عن ألابغا العثمانى المقبوض عليه قبل تاريخه، و على الأمير قردم الحسنىّ اليلبغاوىّ باستقراره على عادته رأس نوبة ثانيا بإمرة مائة و تقدمة ألف عوضا عن ألابغا.

و هذه الوظيفة هى الآن وظيفة رأس نوبة النّوب و قد بينا ذلك فى غير موضع.

ثم خلع السلطان على القضاة الأربعة؛ و هم: قاضى القضاة بدر الدين بن أبى البقاء السّبكى الشافعىّ. و قاضى القضاة صدر الدين بن منصور الحنفىّ. و قاضى القضاة جمال الدين بن خير المالكىّ. و قاضى القضاة ناصر الدين العسقلانى الحنبلىّ. و خلع على قضاة العسكر مفتى دار العدل، و وكلاء بيت المال، و على مباشرى الدولة، و على القاضى بدر الدين بن فضل اللّه كاتب السر، و على علم الدّين سنّ إبرة الوزير، و على تقىّ الدين محمد بن محبّ الدّين ناظر الجيش، و على سعد الدين بن البقرى ناظر الخاصّ.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۱، ص: ۲۲۸

ثم خلع الملک الظاهر علی القاضی أوحد الدین عبد الواحد موقّعه فی أیام إمرته، و علی جمال الدین محمود القیصری محتسب القاهرة، و علی سائر أرباب الدولة و أعیان المملکة فکان یوما مشهودا.

ثمّ فی یوم الخمیس سابع عشرینه طلب السلطان سائر الأمراء و الأعیان، و حلّفهم علی طاعته. و فیه أیضا خلع علی الأمیر بهادر المنجکیّ، و استقرّ أستدارا بإمرة طبلخاناه، و أضیف إلیه أستاداریّة المقام الناصریّ محمد ابن السلطان الملک الظاهر برقوق.

ثم فی یوم الاثنین تاسع شوّال أخلع السلطان علی العلّامة أوحد الدین عبد الواحد ابن إسماعیل بن یاسین الحنفیّ باستقراره کاتب السرّ بالدیار المصریّة عوضا عن القاضی بدر الدین بن فضل اللّه بحکم عزله.

ثمّ أخلع السلطان علی الأمیر جلبان العلائی و استقرّ حاجبا خامسا، و لم یعهد قبل ذلک بدیار مصر خمسة حجّاب، و عدّ ذلک من الأشیاء التی استجدّها الملک الظاهر برقوق.

و أخلع علی رجل من صوفیّة خانقاه شیخون یقال له: خیر الدین [العجمیّ] باستقراره قاضی قضاة الحنفیّة بالقدس الشریف.

ثم أخلع أیضا علی رجل آخر من صوفیّة خانقاه شیخون یقال له: موفّق الدّین العجمیّ بقضاء غزة، کلّ ذلک بسفارة الشیخ أکمل الدّین شیخ الخانقاه الشّیخونیة.

و هذا أیضا ممّا استجدّه الملک الظاهر، فإنه لم یکن قبل ذلک بالقدس و لا بغزة قاض حنفیّ.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۱، ص: ۲۲۹

ثم فی یوم الأربعاء تاسع عشرین شوّال رکب السلطان الملک الظاهر من قلعة الجبل و عدّی النیل من بربلاق إلی الجیزة و تصیّد ثم عاد من آخر النهار، و قد رکب الأمیر أیتمش عن یمینه و العلّامة أکمل الدین شیخ الشّیخونیّة عن یساره.

ثم رسم السلطان بعد عوده من الصّید باستقرار بدر الدین محمد بن أحمد [ابن إبراهیم] ابن مرهر فی کتابة سرّ دمشق عوضا عن القاضی فتح الدین [محمد] ابن الشهید.

ثم ورد الخبر علی السلطان من الأمیر یلبغا الناصریّ نائب حلب بأنّ الأمیر ألطنبغا السلطانیّ نائب أبلستین عصی و طلع الی قلعة دارندة المضافة الیه و أنه أمسک بعض أمرائها و أطلع إلی دارندة ذخائره، فرکب العسکر الذین هم بالمدینة علیه و أمسکوا مماالیکه و حاصروه فطلب الأمان منهم، ثم فرّ من القلعة إلی أبلستین ثانیا فکتب إلیه الناصریّ نائب حلب یهدّده فلم یرجع إلیه و مرّ هاربا إلی بلاد التّتار و قال: لا أکون فی دولة حاکمها جارکسیّ!

و فی یوم السبت سابع عشر ذی القعدة رکب السلطان أیضا من القلعة إلی

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۱، ص: ۲۳۰

جهة المطریّة و مضی إلی قناطر أبی منجّا، ثم عاد و شقّ القاهرة من باب الشعریة، و کان لمروره یوم مشهود و هو أوّل رکوبه و مروره من القاهرة فی سلطنته.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۱، ص: ۲۳۱

ثم قدم الخبر علی السلطان بفرار الأمیر آقبغا من عبد اللّه نائب غزّة منها إلی الأمیر نعیر.

و فی هذه الأیام أخلع السلطان علی الأمیر قرقماس الطّشتمریّ باستقراره خازندارا کبیرا.

و فی سابع عشر ذی الحجّة من سنة أربع و ثمانین و سبعمائة رکب السلطان من القلعة و عدّی النیل إلی برّ الجیزة ثم عاد من بلاق فی سابع عشر ذی الحجّة المذکور.

و فی سابع عشرین ذی الحجّة قدم الأمیر ألطنبغا الجوبانیّ امیر مجلس من الحجاز و کان حج مع الرکب الشامیّ و عاد من طریق الحجّ المصریّ.

و فى يوم السبت أوّل محرّم سنة خمس و ثمانين و سبعمائة قدم الأمير يلبغا الناصرىّ نائب حلب إلى الديار المصرية فخرج الأمير سودون الشّيخونىّ النائب إلى لقائه و جماعة من الأمراء، و طلع الجميع فى خدمته إلى القلعة، و قبّل الناصرىّ الأرض بين يدى السلطان الملك الظاهر.

و خلع السلطان عليه بالاستمرار على نيابة حلب، فكان مجيء الناصرى إلى مصر أوّل عظمة نالت الملك الظاهر برقوقا؛ لأن يلبغا الناصرى المذكور كان من كبار مماليك الأتابك يلبغا العمرى و ممن تأمّر فى أيام يلبغا، و برقوق كان من صغار مماليكه، و أيضا فإن الناصرى كان فى دولة الملك الأشرف شعبان بن حسين أمير مائة و مقدّم ألف و برقوق من جملة الأجناد ممن يتردّد إليه و يقوم فى مجلسه على قدميه، فلم يمض غير سنيات حتى صار كلّ منهما فى رتبة معروفة. فسبحان مغيّر حال بعد

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٢٣٢

حال. و يلبغا الناصرى هو صاحب الوقعة مع الملك الظاهر برقوق الآتى ذكرها- إن شاء اللّه تعالى- فى هذا المحل.

ثم نزل الأمير يلبغا الناصرى و عليه خلعة الاستمرار بنيابة حلب و عن يمينه الأمير أيتمش و عن يساره الأمير ألطنبغا الجوبانى و من ورائه سبعة جنائب من خيل السلطان بسروج ذهب و كنابيش زركش أنعم بها عليه. ثم حمل إليه السلطان و الأمراء من التّقادم مما يجلّ وصفه.

ثم ركب السلطان فى يوم السبت ثامن المحرّم و معه الأمير يلبغا الناصرى و عدّى النيل من بلاق إلى برّ الجيزة و تصيّد و عاد فى آخر النهار.

و فى عاشره خلع السلطان على الأمير يلبغا الناصرى نائب حلب خلعة السفر، و خرج من يومه إلى محل كفالته بحلب.

ثم فى يوم الاثنين سابع عشره أخلع السلطان على شمس الدين إبراهيم كاتب أرنان و استقرّ به وزيرا على شروط عديدة، منها: أنه لم يلبس خلعة الوزر، فأجيب و لبس خلعة [من صوف] كخلعة القضاة و غير ذلك.

و فيه وصل الأمير أسد الدين الكردى أحد أمراء حلب فى الحديد لشكوى بعض التّجّار عليه أنه غصبه مملوكا فحبس أياما ثم أفرج عنه و أخرج على تقدمة ألف بطرابلس.

ثم عزل السلطان الأمير إينال اليوسفى عن نيابة صفد بالأمير تمربای التّمرداشى، و أنعم على إينال بتقدمة ألف بدمشق.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٢٣٣

و فيه استعفى الأمير يلّو من نيابة حماة فأعفى.

و فى تاسع عشرة قدم سالم الدوكارى من حلب فأكرمه السلطان و أخلع عليه و أنعم عليه بإمرة طبلخاناه بحلب.

و فى ثامن عشرين جمادى الأولى و هو سادس مسرى أو فى النيل فنزل الملك الظاهر من القلعة فى موكب عظيم حتى عدّى النيل و خلّق المقياس و فتح خليج السّدّ. و هذا أيضا مما استجدّه الملك الظاهر برقوق، فإنه لم يعهد بعد الملك الظاهر بيبرس البندقدارى سلطان نزل من القلعة لتخليق المقياس و فتح الخليج غير الملك الظاهر هذا، فهو أيضا ممن استجدّه لطول ترك الملوك له.

و فى هذا الشهر أخلع السلطان على الأمير صنجق الحسنى اليلبغاوى بنيابة حماة عوضا عن يلّو بحكم استعفائه عن نيابة حماة.

و فيه ورد الخبر بموت الأمير تمربای التّمرداشىّ نائب صفد بعد أن أقام على نيابة صفد خمسة أيام، فأخلع السلطان بعد مدّة على الأمير كمشبغا الحموىّ بنيابة صفد عوضه، و كمشبغا هذا هو أكبر مماليك يلبغا العمرىّ و ممّن صار فى أيام أستاذه أمير طبلخاناه و لم يخرج عن طاعة أستاذه يلبغا، و لهذا مقته خشداشيّته الذين خرجوا على أستاذهم يلبغا، لكونه لم يوافقهم، و قد تقدّم أنّه ولى نيابة دمشق و صفد و طرابلس قبل ذلك.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٢٣٤

و فى أوّل شهر رجب من سنة خمس و ثمانين و سبعمائة طلع الأمير [صلاح الدين] محمد بن محمد بن تنكز إلى السلطان و نقل له

عن الخليفة المتوكّل على اللّه أبى عبد اللّه محمد أنه اتفق مع الأمير قرط بن عمر التّركمانىّ المعزول عن الكشوفية و مع إبراهيم ابن قطلوقتمر العلائىّ أمير جاندار و مع جماعة من الأكراد و التّركمان، و هم نحو من ثمانمائة فارس أنهم يثبون على السلطان إذا نزل من القلعة إلى الميدان فى يوم السبت للعب بالكرة يقتلونه و يمكّنون الخليفة من الأمر و الاستبداد بالملك فحلّف السلطان ابن تنكز على صحّة ما نقل فحلف له و طلب يحاققهم على ذلك، فبعث السلطان إلى الخليفة و إلى قرط و إلى إبراهيم بن قطلقتمر فأحضرهم و طلب سودون النائب و حدّثه بما سمع، فأخذ سودون ينكر ذلك و يستبعد وقوعه منهم، فأمر السلطان بالثلاثة فحضروا بين يديه و ذكر لهم ما نقل عنهم فأنكروا إلا قرط، فإنّه خاف من تهديد السلطان، فقال: الخليفة طلبنى و قال: هؤلاء ظلمة و قد استولوا على هذا الملك بغير رضائى، و إنى لم أقلّد برقوقا السلطنة إلّا غصبا، و قد أخذ أموال الناس بالباطل و طلب منّى أن أقوم معه و أنصر الحقّ فأجبته إلى ذلك و وعدته بالمساعدة، و أن أجمع له ثمانمائة واحد من الأكراد و التّركمان و أقوم بأمره، فقال السلطان للخليفة: ما قولك فى هذا، فقال: ليس لما قاله صحّة، فسأل إبراهيم ابن قطلقتمر عن ذلك، فقال: ما كنت حاضرا هذا الاتفاق، لكنّ الخليفة طلبنى إلى بيته بجزيرة الفيل و أعلمنى بهذا الكلام و قال لى: إنّ هذا مصلحة، و رغّبنى فى موافقته و القيام للّه تعالى و نصرة الحق، فأنكر الخليفة ما قاله إبراهيم أيضا و صار إبراهيم يذكر له أمارات و الخليفة يحلف أن هذا الكلام ليس له صحة، فاشتدّ

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٢٣٥

حنق الملك الظاهر و سلّ السيف ليضرب عنق الخليفة؛ فقام سودون النائب و حال بينه و بين الخليفة، و ما زال به حتى سكّن بعض غضبه. فأمر الملك الظاهر بقرط و إبراهيم يسمّرا و استدعى القضاة ليفتوه بقتل الخليفة، فلم يفتوه بقتله و قاموا عنه، فأخذ الخليفة و سجنه بموضع فى قلعة الجبل و هو مقيّد و سمّرقرط و إبراهيم و شهّرا فى القاهرة و مصر. ثم أوقفا تحت القلعة بعد العصر فنزل الأمير أيدكار الحاجب و سار بهما ليوسّطا خارج باب المحروق من القاهرة، فابتدأ بقرط فوسّط و أبى أن يأخذوا إبراهيم [إذ] جاءت عدّة من المماليك بأن الأمراء شفعوا فى إبراهيم ففكّت مساميره و سجن بخزانة شمائل.

ثم طلب السلطان زكريّاء و عمر ابنى إبراهيم عمّ المتوكّل، فوقع اختياره على عمر فولّاه الخلافة و تلقّب بالواثق بالله، كلّ ذلك فى يوم الاثنين أوّل شهر رجب.

ثم فى يوم الاثنين ثامن شهر رجب أخلع السلطان على الطواشى بهادر الرومىّ و استقرّ مقدّم المماليك السلطانية عوضا عن جوهر الصّلاحى.

ثم فى يوم السبت ثالث عشره ركب السلطان إلى الميدان ثانى مرة للعب الكرة. ثم ركب فى يوم السبت عشرينه ثالث مرّة. ثم ركب فى يوم السبت سابع عشرينه إلى خارج القاهرة و عاد من باب النصر و نزل بالبيمارستان المنصورى.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٢٣٦

ثم ركب منه إلى القلعة، فلم يتحرّك أحد بأمر من الأمور.

ثم خرج السلطان إلى سرحة سرياقوس على العادة فى كلّ سنة و أقام بها أياما و عاد و فى عوده قبض على سعد الدين نصر اللّه بن البقرىّ ناظر الخاصّ بالخدمة.

و خلع السلطان على موفّق الدين أبى الفرج عبد اللّه الأسلمى بنظر الخاصّ عوضا عن ابن البقرى و أجرى على ابن البقرىّ العقوبة ثم ضربه بالمقارع، بعد ما أخذ منه ثلثمائة ألف دينار.

و فيه شفع الأمراء فى الخليفة و تقدّم منهم الأمير أيتمش و الأمير ألطنبغا الجوبانىّ و قبّلا الأرض و سألا السلطان فى العفو عنه و ترفّقا فى سؤاله؛ فعدّد لهما السلطان ما أراد أن يفعله بقتله فما زالا به حتّى أمر بفكّ قيده.

و فى هذه السنة توجه السلطان عدة مرار للصيد ببر الجيزة و غيرها، و فى الأخير اجتاز السلطان بخيمة الأمير قطلقتمر العلائىّ أمير جاندار و وقف عليها فخرج قطلقتمر إليه و قدّم له أربعة أفراس فلم يقبلها فقبّل الأرض ثانيا و سأل السلطان أن يقبلها، فأجاب سؤاله و

قبلها و سار حتى نزل بمخيّمه. و فى الحال استدعى بإبراهيم ابن قطلقتمر المذكور من خزانة شمائل و أطلقه و خلع عليه و أركبه فرسا بسرج ذهب و كنبوش زركش، و أعطاه ثلاثة أرؤس أخر و هى التى قدّمها أبوه للسلطان و أذن له أن يمشى فى الخدمة و وعده بإمرة هائلة و أرسله إلى أبيه قطلقتمر المذكور فسر به سرورا زائدا و كان قطلقتمر فى مدّة حبس ابنه لم يحدّث السلطان و لا الأمراء فى أمر ابنه بكلمة واحدة، فأتاه الفرج من اللّه تعالى بغير مأنّة أحد.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٢٣٧

و فى هذه الأيام جمع السلطان القضاة و اشترى الأمير أيتمش البجاسى و هو يوم ذاك رأس نوبة الأمراء و أطابك و أكبر جميع أمراء ديار مصر من ذرّيّة الأمير جرجى الإدريسىّ نائب حلب بحكم أنّ جرجى لمّا مات لم يكن أيتمش ممّن أعتقه، فأخذه بعد موته الأمير بجاس و أعتقه من غير أن يملكه بطريق شرعى و أثبتوا ذلك على القضاة، فعند ذلك اشتراه الملك الظاهر من ذرّيّة جرجى بمائة ألف درهم و أعتقه و أنعم عليه بأربعة آلاف درهم و بناحية سفط رشيد. ثم خلع السلطان على القضاة و الموقّعين الذين سجّلوا قضيّة البيع و العتق.

و فى يوم الثلاثاء تاسع ذى القعدة أفرج السلطان عن الخليفة المتوكّل على اللّه، و نقل من سجنه بالبرج إلى دار بالقلعة و أحضر إليه عياله.

ثمّ فى يوم السبت ثالث صفر من سنة ست و ثمانين و سبعمائة قبض السلطان على الأمير يلبغا الصغير الخازندار، و على سبعة من المماليك وشى بهم أنهم قصدوا قتل السلطان فضربهم و نفاهم إلى الشام.

و فى يوم الاثنين عاشر شهر ربيع الأوّل قدم الأمير بيدمر الخوارزمىّ نائب الشام؛ فأجلسه السلطان فوق الأمير سودون النائب بدار العدل.

ثم فى ثالث عشره خلع عليه السلطان، و قيّد له ثمانية جنائب من الخيل بقماش ذهب، جرّوها الأوجاقيّة خلفه.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٢٣٨

و فى يوم الثلاثاء ثامن عشره نزل السلطان لعيادة الأمير ألطنبغا الجوبانى أمير مجلس و قد توعّك.

و فيه قدّم الأمير بيدمر نائب الشام تقدّمته للسلطان و كانت تشتمل على عشرين مملوكا و ثلاثة و ثلاثين جملا عليها أنواع الثّياب من الحرير و الصوف و الفرو و ثلاثة و عشرين كلبا سلوقيّا، و ثمانية عشر فرسا عليها أجلال حرير، و خمسين فحلا، و اثنتين و ثلاثين حجرة و مائة إكديش لتتمة مائتى فرس و ثمانية قطر هجن بقماش ذهب و خمسة و عشرين قطارا من الهجن أيضا بكيران ساذجة، و أربعة قطر جمال بخاتىّ لكل جمل منها سنامان و ثمانين جملا عرابا. و باسم ولد السلطان سيّدى محمد عشرين فرسا و خمسة عشرة جملا و ثيابا و غيرها. و فى عشرينه خلع عليه السلطان خلعة السفر و توجّه إلى محلّ ولايته بدمشق.

و فى خامس عشرينه نزل السلطان لعيادة ألطنبغا الجوبانىّ ثانيا ففرش له الجوبانىّ شقاق الحرير السّكندرىّ و شقاق نخّ من باب إسطبله إلى حيث هو مضطجع، فمشى عليها السلطان بفرسة، ثم بقدميه فنثرت عليه الدنانير و الدراهم.

و قدّم له الجوبانىّ جميع ما عنده من المماليك و الخيل، فلم يأخذ السلطان شيئا منها، و جلس ساعة عنده ثم عاد إلى القلعة.

و فى ثالث عشر جمادى الأولى غضب السلطان على القاضى تقىّ الدين عبد الرحمن ابن القاضى محب الدين محمد [بن يوسف بن أحمد] ناظر الجيوش المنصورة بسبب إقطاع الأمير زامل أمير عرب آل فضل و ضربه بالدواة، ثم امر به فضرب بين

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٢٣٩

يديه نحو ثلثمائة عصاة و كان ترفا، فحمل فى محفّة إلى داره بالقاهرة، فلزم الفراش إلى أن مات بعد ثلاثة أيام فى ليلة الخميس سادس عشر جمادى الأولى. و أخلع السلطان على موفّق الدّين أبى الفرج [الأسلمى] ناظر الخاصّ و استقرّ به فى نظر الجيش مضافا لنظر الخاصّ و الذّخيرة و لاستيفاء الصحبة.

و فى أثناء شهر رجب المذكور استبدل السلطان خان الزّكاة من ذرّية الملك الناصر محمد بن قلاوون بقطعة أرض و أمر بهدمه و

عمارة مدرسة مكانه، و أقام السلطان على عمارتها الأمير جاركس الخليليّ أمير آخور، فابتدأ بهدمه و شرع فى عمارة المدرسة المعروفة بالبرقوقيّة بين القصرين، فلمّا كان يوم الاثنين ثانى شعبان مات تحت الهدم جماعة من الفعلة. و فى خامسه ركب السلطان إلى رؤية عمارته المذكورة و عاد إلى القلعة، ثم سار إلى سرحة سرياقوس على العادة بحريمه و خواصّه فى ندمائه و سائر الأمراء و الأعيان ثم عاد بعد أيام.

ثمّ نزل فى يوم الثلاثاء سادس عشر شهر رمضان لعيادة الشيخ أكمل الدّين الشيخ بالشّيخونيّة. ثمّ نزل فى يوم الخميس ثامن عشرة ليصلّى عليه فظهر أنه أعمى عليه و لم يمت، فعاد السلطان و نزل فى يوم تاسع عشره حتى صلّى عليه بمصلّاة المؤمنيّ من تحت القلعة و مشى على قدميه أمام النّعش من المصلّى إلى خانقاه شيخون مع الناس فى الجنازة بعد ما أراد أن يحمل النعش غير مرّة فتحمله الأمراء عنه و ما زال واقفا على قبره حتى دفن و عاد إلى القلعة، كلّ ذلك لاعتقاده فى دينه و غزير علمه و لقدم صحبته معه. و من يوم مات الشيخ أكمل الدين صار الشيخ سراج الدين عمر البلقينى يجلس مكانه عن يمين السلطان.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١١، ص: ٢٤٠

ثم خلع السلطان على الشيخ عزّ الدين يوسف بن محمود الرّازىّ العجمىّ باستقراره فى مشيخة خانقاه شيخون عوضا عن الشيخ أكمل الدين المذكور.

ثم فى حادى عشر شوّال قدم الأمير يلبغا الناصرىّ نائب حلب إلى القاهرة و عدّى إلى السلطان ببرّ الجيزة، و عاد معه من برّ الجيزة، بعد ما غاب [عن] صحبة السلطان أياما فى يوم الخميس أوّل ذى القعدة. و فى خامسه خلع عليه خلعة السّفر و توجّه إلى محلّ كفالته بحلب، و هذا قدوم يلبغا الناصرىّ ثانى مرّة، بعد سلطنة الملك الظاهر برقوق.

و فى يوم الخميس ثانى ذى القعدة أسّست المدرسة الظاهريّة ببين القصرين موضع خان الزكاة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١١، ص: ٢٤١

و فى يوم الاثنين رابع ذى الحجّة خلع السلطان على القاضى بدر الدين محمد بن فضل اللّه باستقراره فى وظيفة كتابة السّرّ على عادته بعد وفاة القاضى أوحد الدين.

و فى ثامن عشرين ذى الحجّة استجدّ السلطان لقرافة مصر واليا أمير عشرة و هو سليمان الكردىّ و أخرجت عن والى مدينة مصر و لم يعهد هذا فيما مضى.

و فيه نقل الأمير كمشبغا الحموىّ اليلبغاوىّ من نيابة صفد إلى نيابة طرابلس عوضا عن مأمور القلمطاوىّ و هذه ولاية كمشبغا لنيابة طرابلس ثانى مرّة.

و فى يوم الاثنين ثانى محرّم سنة سبع و ثمانين و سبعمائة استقرّ الأمير سودون المظفرىّ حاجب حجاب حلب فى نيابة حماة بعد عزل الأمير صنجك و توجّه إلى طرابلس أميرا بها.

و فى يوم الجمعة ثالث شهر رجب توجّه الأمير حسن قجا على البريد لإحضار يلبغا الناصرىّ نائب حلب.

و فى عشرينه خرج من القاهرة الأمير كمشبغا الخاصّكىّ الأشرفىّ على البريد لنقل سودون المظفّرى فى نيابة حماة إلى نيابة حلب؛ عوضا عن الأمير يلبغا الناصرىّ.

و أما الناصرىّ فإنّه لما وصل إلى مدينة بلبيس قبض عليه و قيّد و حمل إلى الإسكندريّة و احتاط محمود شادّ الدواوين على أمواله بحلب و من يومئذ أخذ أمر الملك الظاهر فى إدبار بقبضه على الأمير يلبغا الناصرىّ بغير ذنب.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١١، ص: ٢٤٢

ثمّ فى يوم الاثنين ثانى عشرين ذى الحجّة قبض السلطان على الأمير ألطنبغا الجوبانى أمير مجلس و قيّده و حبسه ثم أفرج عنه بعد أيام و خلع عليه بنيابة الكرك عوضا عن تمرداش القشتمرىّ.

ثم فى محرّم سنة ثمان و ثمانين و سبعمائة قبض الملك الظاهر على جماعة من المماليك السلطانية و ضربهم بالمقارع لكلام بلغه عنهم أنهم اتّفقوا على الفتك به، ثمّ قبض سريعا على الأمير تمربغا الحاجب، و كان اتّفق مع هؤلاء المذكورين و سمّره و معه عشرة من المماليك المذكورين، [أركب] كلّ مملوكين على جمل، ظهر أحدهما إلى ظهر الآخر و أفرد تمربغا المذكور على جمل وحده ثم وسّطوا الجميع، فكان هذا اليوم من أشنع الأيام، و كثر الكلام بسببهم فى حقّ الملك الظاهر إلى الغاية.

و فى خامس عشرينه قبض السلطان على ستة عشر من مماليك الأمير الكبير أيتمش و نفوا إلى الشام. ثمّ تتبّع السلطان من بقى من المماليك الأشرفية فقبض على كثير منهم و أخرجوا من القاهرة إلى عدّة جهات.

و فى يوم الخميس ثانى عشر شهر ربيع الأوّل رسم السلطان بالإفراج عن الأمير يلبغا الناصرىّ نائب حلب كان و نقله من سجن الإسكندريّة إلى ثغر دمياط و أذن له أن يركب و يتنزّه حيث شاء.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١١، ص: ٢٤٣

و فى شهر ربيع الآخر غضب السلطان على موفّق الدين أبى الفرج ناظر الجيش و ضربه نحو مائة و أربعين عصاة و أمر بحبسه.

و فى يوم الخميس رابع عشر جمادى الآخرة نقلت رمم أولاد السلطان الخمسة من مدافنهم إلى القبّة بالمدرسة الظاهريّة التى أنشأها الملك الظاهر بين القصرين و نقلت أيضا رمّة والد الملك الظاهر الأمير آنص عشاء و الأمراء مشاة أمام نعشه، حتى دفن أيضا بالقبّة المذكورة.

ثمّ فى يوم الأربعاء حادى عشرة نزل الأمير جاركس الخليلىّ الأمير آخور إلى المدرسة الظاهريّة المقدّم ذكرها بعد فراغها و هيّا بها الأطعمة و الحلاوات و الفواكه.

ثمّ ركب السلطان من الغد فى يوم الخميس و نزل من القلعة بأمرائه و خاصّكيّته إلى المدرسة المذكورة، و قد اجتمع القضاة و أعيان الدولة، فمدّ بين يديه سماطا جليلا، أوّله عند المحراب و آخره عند البحرة التى بوسط المدرسة، و أكل السلطان و القضاة و الأمراء و المماليك، ثمّ تناهبت الناس بقيّته، ثم مدّ سماط الحلوات و الفواكه و ملئت البحرة التى بصحن المدرسة من مشروب السّكّر، ثم بعد رفع السماط أخلع السلطان على الشيخ علاء الدين [علىّ] السّيرامىّ الحنفىّ و قد استدعاه السلطان من بلاد الشرق و استقرّ مدرّس الحنفيّة و شيخ الصوفيّة و فرش له الأمير جاركس الخليلىّ السّجّادة بيده حتّى جلس عليها. ثم خلع السلطان على الأمير جاركس الخليلىّ شاد عمارة المدرسة المذكورة و على المعلّم شهاب الدين أحمد بن الطّولونىّ المهندس و ركبا فرسين بقماش ذهب. ثم خلع السلطان على خمسة عشر نفرا من مماليك

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١١، ص: ٢٤٤

جاركس الخليلىّ ممن باشروا العمل مع أستاذهم و أنعم على كلّ منهم بخمسمائة درهم.

ثم خلع السلطان على مباشرى العمارة.

و لمّا جلس الشيخ علاء الدين السّيرامىّ على السّجّادة تكلّم على قوله تعالى:

قُلِ اللَّهُمَّ مالِكَ الْمُلْكِ الآية. ثم قرأ القارئ عشرا من القرآن و دعا. و قام السلطان و ركب بأمرائه و خاصّكيّته و عاد إلى القلعة، بعد أن خرج من باب زويلة، فكان هذا اليوم من الأيام المشهودة.

ثمّ بدا للسلطان بعد ذلك أن يقبض على الأمير بيدمر الخوارزمىّ نائب الشام، فأرسل طاووسا البريدىّ للقبض عليه و رسم للأمير تمربغا المنجكى أن يتوجّه على البريد لتقليد الأمير إشقتمر المارديني عوضه بنيابة الشام و كان إشقتمر بالقدس بطّالا، و قد تقدم أنّ إشقتمر هذا ولى نيابة حلب فى أيّام السلطان حسن الأولى و يلبغا أستاذ برقوق يوم ذاك خاصّكىّ، فانظر إلى تقلّبات الدهر.

و فى يوم الجمعة عاشر شهر رمضان من سنة ثمان و ثمانين و سبعمائة أقيمت الجمعة بالمدرسة الظاهريّة المذكورة و خطب بها جمال الدين محمود القيصرى العجمىّ المحتسب.

و حجّ فی هذه السنة الأمیر جارکس الخلیلیّ بتجمّل کبیر و حجّ من الأمراء کمشبغا الخاصّکیّ الأشرفیّ و محمد بن تنکز [بن] بغا و جارکس المحمودیّ.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۱، ص: ۲۴۵

و فی یوم الاثنین [خامس] عشرین شوّال استدعی السلطان زکریّا ابن الخلیفة المعتصم بالله أبی إسحاق إبراهیم- و إبراهیم المذکور لم یل الخلافة- ابن المستمسک بالله أبی عبد اللّه محمد- و کذلک المستمسک لم یل الخلافة- ابن الخلیفة الحاکم بأمر اللّه أحمد العباسیّ و أعلمه السلطان أنّه یرید أن ینصّبه فی الخلافة، بعد وفاة أخیه الواثق بالله عمر.

ثم استدعی السلطان القضاة و الأمراء و الأعیان، فلمّا اجتمعوا أظهر زکریّاء المذکور عهد عمّه المعتضد له بالخلافة، فخلع السلطان علیه خلعة غیر خلعة الخلافة و نزل إلی داره. فلمّا کان یوم الخمیس ثامن عشرینه طلع الخلیفة زکریاء المذکور إلی القلعة و أحضر أعیان الأمراء و القضاة و الشیخ سراج الدین عمر البلقینیّ فبدأ البلقینی بالکلام مع السلطان فی مبایعة زکریّاء علی الخلافة فبایعه السلطان أوّلا، ثم بایعه من حضر علی مراتبهم و نعت بالمستعصم بالله و خلع علیه خلعة الخلافة علی العادة و نزل إلی داره و بین یدیه القضاة و أعیان الدولة.

ثم طلع زکریاء المذکور فی یوم الاثنین ثانی ذی القعدة و خلع علیه السلطان ثانیا بنظر المشهد النفیسیّ علی عادة من کان قبله من الخلفاء، و لم تکن هذه العادة قدیما، بل حدثت فی هذه السنین.

و فی خامس عشرین ذی الحجة قدم مبشّر الحاجّ السّیفیّ بطا الخاصّکیّ و أخبر أنّ الأمیر آقبغا الماردینیّ أمیر الحاجّ لمّا قدم مکّة خرج الشریف محمد بن أحمد ابن عجلان أمیر مکّة لتلقّیه علی العادة و نزل و قبّل الأرض ثم قبّل خفّ جمل المحمل.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۱، ص: ۲۴۶

و عند ما انحنی و ثب علیه فداویّان، ضربه أحدهما بخنجر فی عنقه و هما یقولان:

غریم السلطان فخرّ میتا و تمّ نهاره ملقی حتی حمله أهله و واروه و کان کبیش علی بعد، فقتل الفداویّة رجلا آخر یظنّوه کبیشا و أقام أمیر الحاجّ لابس السلاح سبعة أیام خوفا من الفتنة، فلم یتحرّک أحد، ثم خلع أمیر الحاجّ علی الشریف غنان باستقراره أمیر مکّة عوضا عن محمد المذکور و تسلّمها.

ثمّ فی تاسع عشرین ذی الحجة قدمت رسل الحبشة بکتاب ملکهم الحطّی و اسمه داود بن سیف أرعد و معهم هدیّة علی [أحد و] عشرین جملا، فیها من طرائف بلادهم، من جملتها قدور قد ملئت حمّصا صنع من ذهب إذا رآه الشخص یظنّه حمصا و غیر ذلک.

ثم فی یوم السبت سابع عشر صفر من سنة تسع و ثمانین و سبعمائة قدم الأمیر ألطنبغا الجوبانیّ نائب الکرک باستدعاء، فأخلع علیه السلطان باستقراره فی نیابة دمشق عوضا عن إشقتمر الماردینیّ و عزل إشقتمر و لم تکمل ولایته علی دمشق عشرة أشهر و أقام ألطنبغا الجوبانیّ بالقاهرة ثلاثة أیام و سافر فی یوم تاسع عشره بعد ما أنعم علیه الملک الظاهر بمبلغ ثلاثمائة ألف درهم فضّة و فرس بسرج ذهب و کنبوش زرکش و أرسل إلیه الأمیر أیتمش بمائة ألف درهم و عدّة بقج ثیاب و استقرّ مسفّره الأمیر قرقماس الظاهریّ و خرج الجوبانیّ من مصر بتجمّل عظیم.

ثم رسم باستقرار الأمیر ناصر الدین محمد بن مبارک المهمندار فی نیابة حماة عوضا عن الأمیر سودون العثمانی، و استقرّ سودون العثمانی علی إقطاع محمد بن المهمندار المذکور بحلب.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة؛ ج۱۱؛ ص۲۴۷

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۱، ص: ۲۴۷

و فی آخر جمادی الآخرة من السنة و هی سنة تسع و ثمانین ورد الخبر علی السلطان بأن تیمور لنک صاحب بلاد العجم کبس الأمیر قرا محمد صاحب مدینة تبریز و کسره ففرّ منه قرا محمد فی نحو مائتی فارس و توجّه بهم إلی جهة ملطیة و نزل هناک و نزل تیمور

لنك على آمد فاستدعى السلطان القضاة و الفقهاء و الأمراء و تحدّث معهم فى أخذ الأوقاف من البلاد بسبب ضعف عسكر مصر فكثر الكلام فى ذلك و صمّم الملك الظاهر على إخراج الجميع للجند، ثم رجع عن ذلك و رسم بتجهيز أربعة أمراء من أمراء الألوف بالديار المصريّة و هم: الأمير ألطنبغا المعلّم أمير سلاح و الأمير قردم الحسنى رأس نوبة النّوب و الأمير يونس النّوروزىّ الدوادار الكبير و الأمير سودون باق و سبعة أمراء أخر من أمراء الطبلخانات و عيّن معهم من أجناد الحلقة ثلاثمائة فارس فتجهّز الجميع و خرجوا من القاهرة فى أوّل شهر رجب و ساروا إلى حلب و نائبها يوم ذاك سودون المظفّرى و قد وصل إليه الخبر بأن قرا محمدا واقع ابن تيمور لنك و كسره و رجع إلى بلاده.

و بعد خروج العسكر استدعى السلطان فى سادس عشرين شعبان من سنة تسع و ثمانين المذكورة الشيخ ناصر الدين ابن بنت الميلق و ولّاه قضاء الشافعيّة بالديار المصرية بعد عزل القاضى بدر الدين محمد بن أبى البقاء عنها بعد ما تمنّع

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٢٤٨

ابن الميلق المذكور من قبول القضاء تمنّعا زائدا و صلى ركعتى الاستخارة حتى أذعن، فألبسه السلطان الملك الظاهر تشريف القضاء بيده و أخذ طيلسانه يتبرّك به و نزل و بين يديه عظماء الدولة إلى المدرسة الصالحية، فداخل أرباب الدولة بولايته خوف و وهم و ظنّوا أنه يحمل الناس على محض الحق و أنه يسير على طريق السّلف من القضاة، قال الشيخ تقىّ الدين المقريزىّ- رحمه اللّه- لما ألفوه من تشدّقه فى وعظه و تفخّمه فى منطقه و إعلانه فى التّنكير على الكافة و وقيعته فى القضاة و اشتماله على لبس المتوسّط من الخشن و معيبه على أهل التّرف.

و كان أوّل ما بدأ به أن عزل قضاة مصر كلهم من العريش إلى أسوان و بعد يومين تكلّم معه الحاجّ مفلح مولى القاضى بدر الدين بن فضل اللّه كاتب السرّ فى إعادة بعض من عزله من القضاة، فأعاده، فانحلّ ما كان معقودا بالقلوب من مهابته. ثمّ قلع زيّه الذى كان يلبسه و لبس الشاش الكبير الغالى الثمن و نحوه و ترفّع فى مقاله و فعاله، حتى كاد يصعد الجوّ و شحّ فى العطاء و لاذ به جماعة غير محبّبين إلى الناس فانطلقت ألسنة الكافّة بالوقيعة فى عرضه و اختلقوا عليه ما ليس فيه.

انتهى كلام المقريزىّ باختصار.

قلت: كل ذلك و الملك الظاهر لا يسمع فيه قول قائل، حتى كانت وقعة الناصرىّ و منطاش مع الملك الظاهر برقوق و حبس الملك الظاهر بالكرك و كان هو قاضيا يومئذ فوقع فى حقّ الظاهر و أساء القول فيه، فبلغ الظاهر ذلك قبل

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٢٤٩

ذهابه إلى الكرك و هو بسجن القلعة فأسرّها فى نفسه على ما سنذكره فى محلّه فى سلطنة الملك الظاهر الثانية إن شاء اللّه تعالى.

ثمّ ورد الخبر على السلطان الظاهر بأن العسكر المجرّد من الديار المصرية عاد إلى حلب و كان توجّه نحو ديار بكر صحبة نوّاب البلاد الشامية و عاد و كان الأمير ألطنبغا الجوبانىّ نائب الشام مقدّم العساكر و خرج بثقل عظيم و زدخاناه هائلة، جدّدها بدمشق حتى إنه رسم لفضلاء دمشق أن ينظموا له ما ينقش على أسنّة الرّماح، فنظم له القاضى فتح الدين محمد بن الشهيد كاتب سرّ دمشق:

[البسيط]

إذا الغبار علا فى الجوّ عثيره و أظلم الجوّ ما للشمس أنوار

هذا سنانى نجم يستضاء به كأنّنى علم فى رأسه نار

و السيف إن نام ملء الجفن فى غلف فإننى بارز للحرب خطّار

إنّ الرماح لأغصان و ليس لها سوى النجوم على العيدان أزهار

و نظم القاضى صدر الدين علىّ بن الآدمىّ الدمشقىّ الحنفى فى المعنى فقال:

[الكامل]

النصر مقرون بضرب أسنة لمعانها كو ميض برق يشرق

سبكت لتسبك كلّ خصم مارد و تطرّقت لمعاند يتطرّق

زرق تفوق البيض فى الهيجاء إذ يحمرّ من دمه العدوّ الأزرق

ينسجن يوم الحرب كلّ كتيبة تحت الغبار فنصرهنّ محقّق

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١١، ص: ٢٥٠

و نظم الشيخ شمس الدين محمد المزيّن الدّمشقىّ فى المعنى و أجاد إلى الغاية:

[الكامل]

أنا أسمر و الراية البيضاء لى لا للسيوف و سل من الشّجعان

لم يحل لى عيش العداة لأننى نوديت يوم الجمع بالمرّان

و إذا تغاتمت الكماة بجحفل كلّمتهم فيه بكلّ لسان

فتخالهم غنما تساق إلى الرّدى قهرا لمعظم سطوة الجوبانى

ثمّ فى شوّال خرج السلطان من القاهرة إلى سرياقوس على العادة فى كل سنة، و استدعى به بالأمير يلبغا الناصرىّ من ثغر دمياط، فوصل إلى سرياقوس فى ثالث عشر شوّال و قبّل الأرض بين يدى السلطان، فأكرمه السلطان و أنعم عليه بمائة فرس و مائة جمل و سلاح كثير [و مال] و ثياب و أشياء غير ذلك، قيمة ذلك كله خمسمائة ألف درهم فضة، و أهدى إليه سائر الأمراء على العادة، كل واحد على قدر حاله.

ثم عاد السلطان من سرياقوس فى أوّل ذى القعدة، و خلع على الأمير يلبغا الناصرىّ المذكور فى خامس ذى القعدة من سنة تسع و ثمانين المذكورة باستقراره فى نيابة حلب على عادته، عوضا عن سودون المظفرىّ بحكم استقرار سودون المظفرىّ أتابك حلب و أمره بالتجهيز، و هذه ولاية الناصرىّ الثالثة على حلب،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١١، ص: ٢٥١

فأصلح الأمير يلبغا الناصرىّ أمره و تهيّأ للسفر، و خرج فى ثامن ذى القعدة إلى الرّيدانيّة، بعد أن أخلع السلطان عليه خلعة السفر، و سافر من الريدانية فى تاسعه بتجمّل عظيم و بركب هائل و مسفّره الأمير جمق ابن الأمير أيتمش البجاسىّ، و بعد خروجه بثلاثة أيام قدم البريد من البلاد الشامية بأنّ تمربغا الأفضلى الأشرفىّ المدعوّ منطاش نائب ملطية خرج عن الطاعة و وافقه القاضى برهان الدين أحمد صاحب سيواس و قرا محمد التّركمانى و نائب البيرة و يلبغا المنجكىّ و عدّة كبيرة من خشداشيّة منطاش من المماليك الأشرفية و أنه انضم عليه جماعة كبيرة من التّركمان، فتشوّش السلطان فى الباطن و لم يظهر ذلك، و ندم على توليته يلبغا الناصرىّ على نيابة حلب، غير أنه لم يسعه إلا السّكات.

ثم ركب السلطان الملك الظاهر فى ثانى يوم جاء الخبر بعصيان منطاش و عدّى البحر إلى برّ الجيزة و تصيّد و عاد فى سادس عشرينه، و بعد عوده بأيام وصل قاصد الأمير تمربغا الأفضلى الأشرفىّ المدعوّ منطاش نائب ملطية يخبر أنه ما نافق و أنه باق على طاعة السلطان، فأخذ السلطان فى أخبار القاصد و أعطى، و بينما هو فى ذلك قدم البريد من حلب فى إثره يخبر السلطان بأنّ منطلق المذكور عاص، و أنه ما أرسل يقول: إنه باق على الطاعة إلّا يدفع عن نفسه حتى يخرج فصل الشتاء و يدخل فصل الربيع و تذوب الثلوج، فسيّر السلطان السيفىّ ملكتمر الدوادار بعشرة آلاف دينار إلى الأمراء المجرّدين قبل تاريخه توسعة لهم، و أمره فى الباطن بالفحص عن أخبار منطاش و حقيقة أمره، و بعد خروج ملكتمر فشا الطاعون بالقاهرة و نواحيها فى شهر ربيع الأوّل من سنة تسعين و سبعمائة، و اشتغل الناس بمرضاهم و أمواتهم عن غيره.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١١، ص: ٢٥٢

ثمّ أخلع السلطان على الأمير أيدكار العمرىّ اليلبغاوىّ الحاجب الثانى و أحد مقدّمى الألوف، باستقراره حاجب الحجاب بالديار المصرية، عوضا عن قطلوبغا الكوكائىّ بعد شغورها عنه أربع سنين، و أضيف إليه نظر خانقاة شيخون، و استقرّ الأمير زين الدين أبو بكر بن سنقر عوضه حاجبا ثانيا حاجب ميسرة بتقدمة ألف.

ثم فى حادى عشرين جمادى الأولى من السنة قدم صراى تمر دوادار الأمير يونس النّوروزىّ الدوادار، و مملوك نائب حلب الأمير يلبغا الناصرىّ يخبران بأنّ العسكر توجّه إلى سيواس و قاتلوا عسكرها، و قد استنجد أهل سيواس بالتتر، فأتاهم من التتر نحو الستين ألفا فحاربهم العسكر المصرىّ و الحلبىّ يوما كاملا حتى هزموهم و حصروا سيواس بعد ما قتل كثير من الفريقين و جرح معظمهم، و أنّ الأقوات عندهم عزيزة، فجهّز السلطان للعسكر المذكور خمسين ألف دينار مصرية و شكرهم و سار بالذهب ملكتمر الدوادار ثانيا بعد قدومه مصر بأيام قليلة.

و كان خروج ملكتمر فى هذه المرّة الثانية بالذهب فى سابع عشرين جمادى الآخرة، هذا ما أخبره صراى تمر دوادار ثانى يونس الدّوادار.

و أمّا ما وقع من بعده هناك فإنّ العسكر تحرّك إلى الرحيل عن سيواس لطول مكثهم، و عند ما ساروا هجم عليهم التتر من خلفهم، فاحترز الأمير يلبغا الناصرىّ نائب حلب إلى جهة حتى صار خلفهم، ثم طرقهم بمن معه و وضع السيف فيهم،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۱، ص: ۲۵۳

فقتل منهم خلائق كثيرة و أسر منهم نحو الألف و أخذ منهم نحو عشرة آلاف فرس و عاد العسكر سالما إلى حلب؛ فقدم هذا الخبر الثانى أيضا على يد بعض مماليك الأمير يونس الدوادار، فسرّ السلطان بذلك و دقّت البشائر بالديار المصرية، و رسم السلطان بعود العسكر المصرىّ إلى نحو الديار المصرية، فعادوا إليها فى ثالث شعبان من سنة تسعين و سبعمائة، فكانت غيبتهم عن القاهرة سنة و عدّة أيام. و لمّا وصلوا و طلعوا إلى القلعة أخلع عليهم السلطان الخلع الهائلة و شكرهم و نزلوا إلى دورهم، و كثرت التهانئ لمجيئهم.

ثمّ فى خامس عشر شعبان المذكور طلب السلطان الأمير الطواشى بهادر مقدّم المماليك السلطانية، فلم يجده بالقلعة ثم أحضر سكرانا من بيت على بحر النيل، فغضب السلطان عليه و نفاه إلى صفد على إمرة عشرة بها، و أخلع على الطواشى شمس الدين صواب السّعدىّ المعروف بشنكل الأسود بتقدمة المماليك السلطانية عوضا عن بهادر المذكور، و استقرّ الطواشى سعد الدين بشير الشّرفىّ فى نيابة المقدّم عوضا عن شنكل المذكور.

و حجّ فى هذه السنة أيضا الأمير جاركس الخليلىّ الأمير آخور الكبير أمير حاجّ الأوّل. و كان أمير حاجّ المحمل الأمير آقبغا الماردينىّ و خرج الحجّ من مصر فى عاشر شوّال، و فى أثناء ذلك قدم الخبر بعصيان الأمير ألطنبغا الجوبانىّ نائب الشام و أنه ضرب الأمير طرنطاى حاجب حجّاب دمشق و استكثر من استخدام المماليك و شاع ذلك بالقاهرة و كثرت القالة بين الناس بهذا الخبر، فلمّا بلغ الأمير ألطنبغا الجوبانىّ ذلك أرسل استأذن السلطان فى الحضور إلى الديار المصرية، فأذن له السلطان فى ذلك و فى ظنّ كلّ أحد أنه لم يحضر، فعندما جاءه الإذن ركب البريد من دمشق

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۱، ص: ۲۵۴

فى خواصه و سار حتى نزل سرياقوس خارج القاهرة فى ليلة الخميس سابع عشرين شوّال من سنة تسعين المذكورة، و بلغ السلطان ذلك فأرسل إليه الأمير فارسا الصّرغتمشىّ أمير جاندار، فقبض عليه من سرياقوس و قيّده و سيّره إلى سجن الإسكندرية صحبة الأمير ألجيبغا الجمالىّ الدوادار.

ثمّ رسم السلطان بأنّ طرنطاى حاجب حجاب دمشق يستقرّ فى نيابة دمشق عوضا عن الأمير ألطنبغا الجوبانىّ المذكور، و حمل إليه التشريف و التقليد الأمير سودون الطّرنطائىّ، فعظم مسك الأمير ألطنبغا الجوبانىّ على الناس كونه ظهر للسلطان براءته ممّا نقله عنه أعداؤه و كونه من أكابر اليلبغاويّة، و لم يسعهم إلا السكات لفوات الأمر.

ثم كتب السلطان كتابا لأمراء طرابلس و أرسله على يد بعض خواصّه بالقبض على الأمير كمشبغا الحمويّ اليلبغاويّ نائب طرابلس، فقدم سيفه فى عاشر ذى القعدة فتأكّد تشويش الناس بمسك كمشبغا أيضا، فإنه أكبر مماليك يلبغا العمريّ.

و ممّن صار فى أيام أستاذه يلبغا أمير طلبخاناه، و توجّه الأمير شيخ الصّفويّ بتقليد الأمير أسندمر المحمّديّ حاجب حجّاب طرابلس بنيابة طرابلس عوضا عن كمشبغا الحمويّ المقدّم ذكره.

ثم نفى السلطان الملك الظاهر الأمير كمشبغا الخاصّكيّ الأشرفيّ، أحد أمراء الطبلخانات و رأس نوبة إلى طرابلس، فسار من دمياط، لأنّه كان فى اليزك بالثّغر المذكور.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٢٥٥

ثمّ قدم البريد بعشرين سيفا من سيوف الأمراء الذين قبض عليهم من أمراء البلاد الشاميّة، ثم كتب السلطان بالقبض على الأمراء البطّالين ببلاد الشام جميعا، ثم أعيد سودون العثمانيّ إلى نيابة حماة بحكم خروج كشلى منها إلى نيابة ملطية، عوضا عن منطاش، و كان كشلى ولى نيابة حماة قبل تاريخه بمدّة يسيرة عوضا عن ابن المهمندار.

ثم فى ثانى ذى القعدة قدمت رسل قرا محمد و أخبروا أنه أخذ مدينة تبريز، و ضرب بها السّكّة باسم السلطان الملك الظاهر برقوق، و دعا له على منابرها و سيّر دنانير و دراهم، عليها اسم السلطان، و سأل أن يكون نائبا بها عن السلطان فأجيب بالشكر و الثناء، هذا و الخواطر قد نفرت من الملك الظاهر لكثرة قبضه على الأمراء من غير موجب، و تخوّف كلّ أحد منه، على نفسه حتى خواصّه و كثر تخيّل الأمراء منه، و بينما هم فى ذلك أشيع بالديار المصريّة بعصيان الأمير يلبغا الناصريّ نائب حلب، و كثر هذا الخبر فى محرّم سنة إحدى و تسعين و سبعمائة. و سبب ذلك أنه وقع بين الأمير يلبغا الناصريّ و بين سودون المظفّريّ أتابك حلب المعزول عن نيابة حلب قبل تاريخه، و كاتب كلّ منهما فى الآخر، فاحتار السلطان بينهما و قد قوى تخوّفه من الناصريّ.

قال المقريزيّ- رحمه اللّه-. و كان أجرى اللّه سبحانه و تعالى على ألسنة العامّة: من غلب، صاحب حلب، حتى لا يكاد صغير و لا كبير إلا يقول ذلك، حتى كان من أمر الناصريّ نائب حلب ما كان. انتهى كلام المقريزى.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٢٥٦

و لمّا شاع ذلك جمع السلطان الأمراء و الخاصّكيّة فى يوم الأحد خامس صفر بالميدان من تحت القلعة و شرب معهم القمزّ، و قرّر لشربه معهم يومى الأحد و الأربعاء، يروم بذلك أخذ خواطرهم.

ثمّ فى عاشره بعث السلطان هديّة للأمير يلبغا الناصريّ نائب حلب فيها عدّة خيول بقماش ذهب [وقباء] و استدعاه ليحضر ليعمل معه مشورة فى أمر منطاش، فلمّا أتاه رسول السلطان بالحضور إلى الديار المصرية، خشى أن يفعل به كما فعل بالأمير ألطنبغا الجوبانيّ نائب الشام من مسكه و حبسه بالإسكندرية، فكتب يعتذر عن الحضور إلى حضرة السلطان بحركة التّركمان و عصيان منطاش، و أنه يتحوّف على البلاد الحلبية منهم، و مهما كان للسلطان من حاجة يرسل يعرّفه ليقوم بقضائها، و عاد رسول السلطان إلى مصر بهذا الجواب، فلم يقبل السلطان ذلك منه فى الباطن و قبله فى الظاهر و قد كثر تخيّله منه، و أخذ فى التدبير على الأمير يلبغا الناصريّ مع خواصّه، حتى اقتضى رأى الجميع على إرسال تلكتمر الدوادار إلى حلب بحيلة دبّروها، فخرج تلكتمر المحمّديّ الدوادار المذكور و على يده مثالان ليلبغا الناصريّ نائب حلب و لسودون المظفريّ أتابك حلب المقدّم ذكره أن يصطلحا بحضرة الأمراء و القضاة و الأعيان و سير معه خلعتين يلبسانها بعد صلحهما و حمل السلطان فى الباطن مع ملكتمر عدّة مطالعات إلى سودون المظفريّ و غيره من أمراء حلب و أرباب وظائفها بالقبض على الناصريّ و قتله إن امتنع من الصلح و كان مملوك الناصريّ قد تأخر بالقاهرة عن السفر لحلب ليفرّق كتبا

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٢٥٧

من أستاذه على أمراء مصر، يدعوهم فيها إلى موافقته على الخروج على السلطان و أخّر السلطان أيضا جواب الناصريّ الوارد على يد

مملوكه المذكور، عامدا حتى يسبقه تلكتمر الدوادار إلى حلب. و كان مملوك الناصرىّ المذكور يقظا حاذقا، فبلغه ما على يد تلكتمر الدوادار من المطالعات بالقبض على أستاذه يلبغا الناصرىّ و علم أنه عوّق حتى سافر تلكتمر. ثم أعطى الجواب، فأخذه و خرج من مصر فى يومه و سار مسرعا و جدّ فى السّوق حتى سبق تلكتمر الدوادار إلى حلب و عرّف أستاذه بخبر تلكتمر كلّه سرّا، فأخذ الناصرىّ فى الحذر. و يقال: إنّ تلكتمر الدّوادار كان بينه و بين الشيخ حسن رأس نوبة الناصرىّ مصاهرة، فلما قرب من حلب بعث يخبر الشيخ حسنا المذكور بما أتى فيه، فعلى كل حال احترز الناصرىّ.

و هذا الخبر الثانى يبعد و الأوّل أقرب و أقوى عندى من كلّ وجه.

ثمّ لمّا تحقّق الناصرىّ ما جاء فيه تلكتمر احترز على نفسه و تعبّأ، فلما قرب تلكتمر من حلب، خرج الأمير يلبغا الناصرىّ من حلب و لاقاه على العادة مظهرا لطاعة السلطان و قبّل الأرض و أخذ منه مثاله و عاد به إلى دار السعادة بحلب و قد اجتمع الأمراء و القضاة و غيرهم لسماع مرسوم السلطان و تأخّر الأمير سودون المظفّرى أتابك حلب عن الحضور و لم يعجبه ما فعله الملك الظّاهر برقوق من حضوره عند الناصرىّ لمعرفته بقوّة الناصرىّ و كثرة مماليكه، فأرسل له الناصرىّ- غير قاصد- يستعجله للحضور فلم يجد بدّا من الحضور و حضر و هو لابس آلة الحرب من تحت قماشه خوفا على نفسه من الناصرىّ و حواشيه، فعندما دخل سودون المظفّرىّ إلى دهليز دار السّعادة. جسّ قازان اليرقشىّ أمير آخور الناصرىّ كتفه فوجد السلاح،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٢٥٨

فقال: يا أمير! الذى يجىء للصلح يدخل دار السعادة و عليه السلاح و آلة الحرب، فسبّه سودون المظفّرىّ فسلّ قازان سيفه و ضربه به و أخذت سودون المظفّرى السّيوف من كل جانب من مماليك الناصرىّ الذين كان رتّبهم لهذا الأمر، فقتل سودون المظفرىّ بعد أن جرّدت مماليكه أيضا سيوفهم و قاتلوا مماليك الناصرىّ ساعة هيّنة و قتل من الفريقين أربعة أنفس لا غير و ثارت الفتنة.

ففى الحال قبض الناصرىّ على حاجب حجّاب حلب و على أولاد المهمندار و كانا مقدّمى ألوف بحلب و على عدّة أمراء أخر ممن يخشاهم و يخاف عاقبتهم. ثم ركب الناصرىّ إلى القلعة و تسلّمها و استدعى التركمان و العربان و كتب إلى تمربغا الأفضلىّ الأشرفىّ المعروف بمنطاش يدعوه إلى موافقته، فسرّ منطاش بذلك و قدم عليه بعد أيام و دخل تحت طاعته. و كان الناصرىّ قد أباد منطاش و قاتله، منذ خرج عن طاعته و طاعة السلطان غير مرّة، و صار منطاش من جملة أصحابه و تعاضد الأشرفيّة و اليلبغاويّة، و اليلبغاوية هم الأكثر، فإنّ الناصرىّ من كبار اليلبغاويّة و منطاش من كبار الأشرفيّة، هذا مع ما انضم على الناصرىّ من أكابر الأمراء على ما سيأتى ذكره.

و عاد ملكتمر الدّوادار بهذا الخبر فى خامس عشر صفر، فكان عليه خبر غير صالح، فكتب السّلطان فى الحال إلى الأمير إينال اليوسفىّ أتابك دمشق و المعزول قبل تاريخه عن نيابة حلب بنيابة حلب ثانيا. و جهّز إليه التّشريف و التّقليد فى ثامن عشر صفر المذكور من سنة إحدى و تسعين و سبعمائة، و كان إينال اليوسفىّ ممن انحرف على السلطان فى الباطن من أيام ركوبه عليه، قبل أن يتسلطن و قبض عليه و حبسه سنتين، ثم أطلقه على إمرة بدمشق ثم ولّاه بعض البلاد الشامية و هى نيابة طرابلس، ثم نقله إلى نيابة حلب، فدام بها سنين، ثم عزله عنها بالأمير

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٢٥٩

يلبغا الناصرىّ و جعله أتابك دمشق، فصار فى نفسه حزازة من هذا كله على ما سيأتى ذكره.

ثمّ إن السلطان فى ثامن عشر صفر المذكور طلب الأمراء إلى القلعة و كلّمهم فى أمر الناصرىّ و عصيانه و استشارهم فى أمره، فوقع الاتفاق على خروج تجريدة لقتاله و حلّف الأمراء على طاعته، ثم خرج إلى القصر الأوّل و حلّف أكابر المماليك السلطانيّة.

ثم فى تاسع عشره ضربت خيمة كبيرة بالميدان من تحت القلعة و ضرب بجانبها عدّة صواوين برسم الأمراء و نزل السلطان إلى الخيمة المذكورة و حلّف بها سائر الأمراء و أعيان المماليك السلطانيّة بل غالبهم. ثم مدّ لهم سماطا جليلا فأكلوا و انفضّوا.

ثم فى رابع عشرينه قدم البريد من دمشق بأنّ الأمير قرابغا فرج اللّه و الأمير بزلار العمرىّ الناصرىّ و الأمير دمرداش اليوسفىّ و الأمير كمشبغا الخاصّكى الأشرفىّ و آقبغا قبجق اجتمع معهم عدّة كثيرة من المماليك المنفيّين بطرابلس و وثبوا على نائبها الأمير أسندمر المحمّدىّ و قبضوا عليه و قتلوا من أمراء طرابلس الأمير صلاح الدين خليل بن سنجر و ابنه و قبضوا على جماعة كبيرة من أمراء طرابلس، ثم دخل الجميع فى طاعة الناصرىّ و كاتبوه بذلك و ملكوا مدينة طرابلس.

و فى يوم وصول هذا الخبر على السلطان عرض السلطان المماليك السلطانيّة، و عيّن منهم أربعمائة و ثلاثين مملوكا من المماليك السلطانيّة للسفر، و عيّن خمسة من أمراء الألوف بديار مصر و هم: الأمير الكبير أيتمش البجاسىّ، و الأمير جاركس

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١١، ص: ٢٦٠

الخليلىّ الأمير آخور الكبير و الأمير شهاب الدين أحمد بن يلبغا أمير مجلس و الأمير يونس النّوروزىّ الدّوادار الكبير و الأمير أيدكار حاجب الحجاب و عيّن من أمراء الطبلخاناه سبعة و هم: فارس الصّرغتمشىّ و بكلمش العلائىّ رأس نوبة و جاركس المحمّدىّ و شاهين الصّرغتمشىّ و آقبغا الصغير السلطانىّ و إينال الجاركسىّ أمير آخور و قديد القلمطاوىّ من أمراء العشرات جماعة كبيرة.

ثمّ أرسل السلطان للأمير أيتمش برسم النفقة مائتى ألف درهم فضة و عشرة آلاف دينار ذهبا مصريا. ثم أرسل إلى كل من أمراء الألوف ممن عيّن للسفر مائة ألف درهم و خمسة آلاف دينار ماخلا أيدكار حاجب الحجاب فإنه حمل إليه مبلغ ستين ألف درهم و ألفا و أربعمائة دينار.

ثم فى سادس عشرين صفر المذكور قدم الخبر من الشّام بأنّ مماليك الأمير سودون العثمانىّ نائب حماة اتّفقوا على قتله، ففرّ منهم إلى دمشق و أنّ الأمير بيرم العزّىّ حاجب حجاب حماة سلّم حماة إلى الأمير يلبغا الناصرىّ و دخل تحت طاعته، فعظم هذا الخبر أيضا على السلطان حتى كاد يهلك و عرض المماليك ثانيا و عيّن منهم أربعة و سبعين نفرا لتتمّة خمسمائة مملوك.

قلت: و لهذا تعرف هذه الواقعة بوقعة الخمسمائة و بوقعة شقحب و بوقعة الناصرىّ و منطاش. انتهى.

و فى يوم الجمعة سابع عشرين صفر رسم السلطان للأمير بجاس نائب قلعة الجبل أن يتوجّه إلى الخليفة المتوكل على اللّه أبى عبد اللّه محمد بالقلعة و ينقله من داره إلى

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١١، ص: ٢٦١

البرج من القلعة و يضيّق عليه و يمنع الناس من الدخول إليه، ففعل بجاس ذلك، فبات الخليفة ليلته بالبرج ثم أعيد من الغد إلى مكانه بالقلعة، بعد أن كلّم السلطان الأمراء فى ذلك.

ثمّ رسم السلطان للطّواشى زين الدين مقبل الزّمام بالتّضييق على الأسياد أولاد السّلاطين بالحوش السّلطانىّ من القلعة و منع من يتردّد إليهم من الناس و الفحص عن أحوالهم، ففعل مقبل ذلك.

ثم فى يوم الاثنين ثانى شهر ربيع الأوّل خرج البريد من مصر بتقليد الأمير طغاى تمر القبلائى أحد أمراء دمشق بنيابة طرابلس.

ثم فرّق السلطان فى المماليك نفقة ثانية، فكانت الأولى لكل واحد: خمسة آلاف درهم فضّة و الثانية ألف درهم، سوى الخيل و الجمال و السلاح، فإنه فرّق فى أرباب الجوامك لكل واحد جملين و لكل اثنين من أرباب الأخباز ثلاثة جمال و رتّب لهم [اللحم] و الجرايات و العليق، فرتّب لكل من رءوس النّوب [فى اليوم] ستة عشرة عليقة و لكلّ من أكابر المماليك عشر علائق و لكل من أرباب الجوامك خمس علائق. و رسم أيضا لكل مملوك من المماليك السلطانية بخمسمائة درهم بدمشق.

ثم فى رابع عشر شهر ربيع الأوّل المذكور جلس السلطان بمسجد الرّدينىّ داخل القلعة بالحريم السلطانىّ و استدعى الخليفة المتوكّل على اللّه من مكانه بالقلعة، فلّما

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١١، ص: ٢٦٢

دخل عليه الخليفة قام الملك الظاهر له و تلقّاه و أخذ فى ملاطفته و الاعتذار إليه و اصطلحا و تحالفا و مضى الخليفة إلى موضعه

بالقلعة، فبعث السلطان إليه عشرة آلاف درهم و عدّة بقج، فيها أثواب صوف و قماش سكندريّ.

ثمّ تواترت الأخبار على السلطان بدخول سائر الأمراء بالبلاد الشامية و المماليك الأشرفيّة و اليلبغاويّة فى طاعة الناصريّ و كذلك الأمير سولى بن دلغادر أمير التركمان، و نعير أمير العربان و غيرهما من التركمان و الأعراب، دخل الجميع فى طاعة الناصرى على محاربة السلطان الملك الظاهر و أنّ الناصريّ أقام أعلاما خليفتيّة و أخذ جميع القلاع بالبلاد الشامية، و استولى عليها ما خلا قلعة الشام و بعلبكّ و الكرك، فقلق السلطان لذلك و كثر الاضطراب بالقاهرة و كثر كلام الناس فى هذا الأمر، حتى

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٢٦٣

تجاوز الحدّ و اختلفت الأقاويل، كلّ ذلك و إلى الآن لم تخرج التجريدة من مصر، فلما بلغ السلطان هذه الأخبار رسم بخروج التجريدة، فخرجت الأمراء المذكورون قبل تاريخه فى يوم السبت رابع عشر شهر ربيع الاوّل من سنة إحدى و تسعين و سبعمائة إلى الرّيدانية بتجمل زائد و احتفال عظيم بالأطلاب من الخيول المزيّنة بسروج الذهب و الكنابيش و السلاح الهائل، لا سيما الأمير أيتمش و الأمير أحمد ابن يلبغا فإنهما أمعنا فى ذلك و كان للناس مدّة طويلة لم يتجرّد السلطان إلى البلاد الشامية و لا عسكره، سوى سفر الأمراء فى السنة الماضية إلى سيواس و كانوا بالنسبة إلى هذه التجريدة كلا شىء و تتابعتهم المماليك شيئا بعد شىء، حتى سافر الجميع من الرّيدانية فى يوم الاثنين سادس عشر شهر ربيع الأوّل المذكور.

ثمّ أخذ السلطان بعد خروج العسكر فى استجلاب خواطر الناس و أبطل الرّمايات و السّلف على البرسيم و الشعير و إبطال قياس القصب و القلقاس و الإعفاء على ذلك كله.

ثم فى يوم الثلاثاء [أوّل ربيع الآخر] قدم البريد بأن الأمير كمشبغا المنجكيّ نائب بعلبكّ دخل تحت طاعة يلبغا الناصريّ و كذلك [فى خامسه قدم البريد بأن] ثلاثة عشر أميرا من أمراء دمشق خرجوا بمماليكهم من دمشق و ساروا إلى حلب و دخلوا فى طاعة الناصرى.

و أما العسكر الذى خرج من مصر فإنه لما وصل إلى غزّة أحسّ الأمير جاركس الخليليّ بمخامرة نائبها الأمير آقبغا الصفويّ فقبض عليه و بعثه إلى الكرك و أقرّ فى نيابة غزّة الأمير حسام الدين بن باكيش.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٢٦٤

ثم فى عشرين شهر ربيع الآخر قدم على السلطان رسول قرا محمد التركمانى و رسول الملك الظاهر مجد الدين عيسى صاحب ماردين يخبران بقدومهما إلى خابور و يستأذنان فى محاربة الناصرى فأجيبا بالشكر و الثناء و أذن لهما فى ذلك.

و أمّا العسكر فإنه سار من غزّة حتّى دخل دمشق فى يوم الاثنين سابع شهر ربيع الآخر المذكور، و دخلوا دمشق بعد أن تلقّاهم نائبها الأمير [حسام الدين] طرنطاى، و دخلوا دمشق قبل وصول الناصريّ بعساكره اليها بمدّة، و أقبل المماليك السلطانية على الفساد بدمشق، و اشتغلوا باللهو و أبادوا أهل دمشق شرّا، حتى سئمتهم أهل الشام و انطلقت الألسنة بالوقيعة فيهم و فى مرسلهم.

قلت: هو مثل سائر: «الولد الخبيث يكون سببا لوالده فى اللّعنة» و كذلك وقع، فإنّ أهل دمشق لمّا نفرت قلوبهم من المماليك الظاهرية، لم يدخلوا بعد ذلك فى طاعة الملك الظاهر البتّة على ما سيأتى ذكره.

و بينما هم فى ذلك جاءهم الخبر بنزول يلبغا الناصريّ بعساكره على خان لاجين خارج دمشق فى يوم السبت تاسع عشر شهر ربيع الآخر، فعند ذلك تهيّأ الأمراء المصريّون و الشاميون إلى قتالهم و خرجوا من دمشق فى يوم الاثنين حادى عشرينه إلى برزة و التقوا بالناصريّ على خان لاجين، و تصافوا ثم اقتتلوا قتالا شديدا ثبت فيه كلّ من الفريقين ثباتا لم يسمع بمثله، ثمّ تكاثر العسكر المصريّ و صدقوا الحملة على الناصريّ و من معه فهزموهم و غيّروه عن موقفه.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٢٦٥

ثمّ تراجع عسكر الناصريّ و حمل بهم، و التقى العسكر السّلطانى ثانيا و اصطدما صدمة هائلة ثبت فيها أيضا الطائفتان و تقاتلا قتالا

شديدا، قتل فيها جماعة من الطائفتين، حتى انكسر الناصرىّ ثانيا. ثم تراجع عسكره و عاد إليهم و التقاهم ثالث مرّة، فعندما تنازلوا فى المرّة الثالثة و التحم القتال، أقلب الأمير أحمد بن يلبغا أمير مجلس رمحه و لحق بعساكر الناصرىّ بمن معه من مماليكه و حواشيه، ثم تبعه الأمير أيّدكار العمرىّ حاجب الحجاب أيضا بطلبه و مماليكه، ثم الأمير فارس الصّرغتمشىّ ثم الأمير شاهين [حسين] أمير آخور بمن معهم و عادوا قاتلوا العسكر المصرىّ، فعند ذلك ضعف أمر العساكر المصريّة و تقهقروا و انهزموا أقبح هزيمة، فلما ولّوا الادبار فى أوائل الهزيمة هجم مملوك من عسكر الناصرىّ يقال له يلبغا الزينىّ الأعور و ضرب الأمير جاركس الخليل الأمير آخور بالسيف قتله و أخذ سلبه و ترك رمّته عارية، إلى أن كفّنته امرأة بعد أيام و دفنته.

ثم مدّت التركمان و العرب أيديهم ينهبون من انهزم من العسكر المصرىّ و يقتلون و يأسرون من ظفروا به و ساق الأمير الكبير أيتمش البجاسىّ حتى لحق بدمشق و تحصّن بقلعتها و تمزّق العسكر المصرىّ و ذهب كأنه لم يكن و دخل الناصرىّ من يومه إلى دمشق بعساكره و نزل بالقصر من الميدان و تسلّم بالقلعة بغير قتال و أوقع الحوطة على سائر [ما] للعسكر و أنزل بالأمير الكبير أيتمش و قيّده هو و الأمير طرنطاى نائب الشام و سجنهما بقلعة دمشق و تتبع بقيّة الأمراء و المماليك حتى قبض من يومه أيضا على الأمير بكلمش العلائى فى عدّة من أعيان المماليك

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٢٦٦

الظاهريّة، فاعتقلهم أيضا بقلعة دمشق. ثم مدّت التركمان و الأجناد أيديهم فى النهب، فما عفّوا و لا كفّوا و تمادوا على هذا عدّة أيام.

و قدم هذا الخبر على الملك الظاهر من غزة فى يوم سابع عشرين شهر ربيع الآخر المذكور فاضطربت الناس اضطرابا عظيما لا سيما لمّا بلغهم قتل الأمير جاركس الخليلىّ و القبض على الأمير الكبير أيتمش البجاسىّ و غلّقت الأسواق و انتهبت الأخباز و تشغّبت الزّعر و طغى أهل الفساد، هذا مع ما للناس فيه من الشغل بدفن موتاهم و عظم الطاعون بمصر، كلّ ذلك و إلى الآن لم يعرف السلطان بقتل الأمير يونس النّوروزىّ الدوادار على ما سيأتى ذكره.

و أما السلطان الملك الظاهر برقوق فإنه لمّا بلغه ما وقع لعسكره و جم و تحيّر فى أمره و عظم عليه قتل جاركس الخليلىّ و القبض على أيتمش أكثر من انهزام عسكره، فإنهما و يونس الدوادار كانوا هم القائمين بتدبير ملكه، و أخذ يفحص عن أخبار يونس الدوادار المذكور، فلم يقف له على خبر، لسرعة مجيء خبر الوقعة له من مدينة غزّة و إلى الآن لم يأته أحد ممن باشر الواقعة غير أنه صحّ عنده ما بلغه.

ثمّ خرج إلى الإيوان بالقلعة و استدعى الأمراء و المماليك و تكلّم معهم السلطان فى أمر الناصرىّ و منطاش و استشارهم، فوقع الاتفاق على خروج تجريدة ثانية، فانفضّ الموكب و خرج السلطان فى ثامن عشر شهر ربيع الآخر إلى الإيوان، و عيّن من المماليك السلطانيّة ممن اختار سفره خمسمائة مملوك، و أنفق فيهم ذهبا حسابا عن ألف درهم فضّة لكل واحد، ليتوجّهوا إلى دمشق صحبة الأمير سودون الطّرنطائىّ، و قام السلطان فكلّمه بعض خواصّه فى قلّة من عيّن من المماليك، و أن العسكر الذى كان صحبة أيتمش كان أضعاف ذلك و حصل ما حصل، فعرض العسكر ثانيا و عيّن

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٢٦٧

خمسمائة أخرى ثم عيّن أربعمائة أخرى لتتمّة ألف و أربعمائة مملوك، و أنفق فى الجميع ألف درهم فضة، لكل واحد.

ثمّ أنفق السلطان فى المماليك الكتابيّة لكل مملوك مائتى درهم فضّة، فإنه بلغه أنهم فى قلق لعدم النفقة عليهم.

هذا، و قد طمع كلّ أحد من المماليك و غيرهم فى جانب الملك الظاهر لما وقع لعسكره بدمشق.

ثم عمل السلطان الموكب فى يوم الأربعاء أوّل جمادى الأولى، و أنعم على كلّ من قرابغا البوبكرىّ و بجاس النّوروزىّ نائب قلعة الجبل و شيخ الصّفوىّ و قرقماس الطّشتمرىّ بإمرة مائة و تقدمة ألف بالديار المصرية، عوضا عمّن قتل أو أمسك بالبلاد الشامية.

ثم أنعم السلطان أيضا فى اليوم المذكور على كل من الجيبغا الجمالىّ الخازندار و ألطنبغا العثمانىّ رأس نوبة و يونس الإسعردىّ

الرمّاح و قنق باى الألجاوىّ اللالا و أسنبغا الأرغونىّ شاوىّ و بغداد الأحمدىّ و أرسلان اللّفّاف و أحمد الأرغونىّ و جرباش الشيخىّ و ألطنبغا شادى و أرنبغا المنجكىّ و إبراهيم بن طشتمر العلائىّ الدوادار و قرا كسك السيفىّ بإمرة طبلخاناه.

و أنعم على كل من السيد الشريف بكتمر الحسينىّ و الى القاهرة [كان] و قنق باى الأحمدى بإمرة عشرين. و أنعم على كل من بطا الطّولوتمرىّ الظاهرىّ و يلبغا السودونىّ و سودون اليحياوىّ و تنّبك اليحياوىّ و أرغون شاه البيدمرىّ و آقبغا

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١١، ص: ٢٦٨

الجمالىّ الهذبانىّ و فوزى الشعبانىّ و تغرى بردى البشبغاوىّ والد كاتبه و بكبلاط السعدىّ و أرنبغا العثمانىّ و شكرباى العثمانىّ و أسنبغا السيفىّ بإمرة عشرة، و كلّ هؤلاء مماليك الملك الظاهر برقوق و خاصّكيته أمرّهم فى هذه الحركة و كانوا قبل ذلك من جملة الخاصكيّة، و منهم من هو إلى الآن لم يحضر من التجريدة.

ثمّ قدم البريد على السلطان من قطيا بأنّ الأمير إينال اليوسفىّ أتابك دمشق المنعم عليه بنيابة حلب بعد عصيان الناصرىّ و الأمير إينال أمير آخور و الأمير إياس أمير آخور دخلوا إلى غزّة فى عسكر كثيف من عساكر الناصرىّ و قد صاروا قبل تاريخه من حزب الناصرىّ و استولوا على مدينة غزة و الرّملة و تمزّقت عساكرها، فعظم لهذا الخبر جزع الملك الظاهر و تحيّر فى أمره.

ثم فى يومه استدعى السلطان القضاة و الأمراء و الأعيان و بعث الأمير سودون الطّرنطائى و الأمير قرقماش الطشتمرىّ إلى الخليفة المتوكّل على اللّه بمسكنه فى قلعة الجبل فأحضراه، فلمّا رآه الملك الظاهر قام له و تلقّاه و أجلسه، و أشار إلى القضاة فحلّفوا كلّا منهما للآخر على الموالاة و المناصحة، و خلع السلطان على الخليفة المتوكل على اللّه المذكور خلعة الرضا، و قيّد إليه حجرة شهباء من خواصّ خيل السلطان بسرج ذهب و كنبوش مزركش و سلسلة ذهب و أذن له فى النزول إلى داره، فركب و نزل من القلعة إلى داره فى موكب جليل، و أعيدت إقطاعاته و رواتبه و أخلى له بيت بقلعة الجبل ليسكن فيه.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١١، ص: ٢٦٩

ثمّ طلع الخليفة من يومه و نقل حرمه إلى البيت المذكور بالقلعة، و صار يركب فى بعض الأحيان و ينزل إلى داره بالمدينة ثم يطلع من يومه إلى مسكنه بالقلعة و يبيت فيه مع أهله و حرمه، و استمرّ على ذلك إلى ما سيأتى ذكره.

ثم فى يوم الجمعة ثالث جمادى الأولى المذكورة قدم الأمير شهاب الدين أحمد ابن بقر أمير عرب الشرقيّة، و معه هجّان الأمير جاركس الخليلىّ، فحدّث السلطان بتفصيل واقعة العسكر المصرى مع الناصرى، و أنه فرّمع الأمير يونس الدوادار فى خمسة نفر طالبين الديار المصرية، فعرض لهم الأمير عنقاء بن شطّى أمير آل فضل بالقرب من خربة اللصوص من طريق دمشق، و قبض على الأمير يونس الدّوادار و وبّخه لما كان فى نفسه منه، ثم قتله و حزّ رأسه و بعث به إلى الناصرىّ، فعندما بلغ السلطان قتل يونس الدوادار و تحقّقه كادت نفسه تزهق و كان بلغه هذا الخبر، غير أنه لم يتحقّقه إلا فى هذا اليوم و بقتل يونس الدوادار استشعر كلّ أحد بذهاب ملك الملك الظاهر.

ثم أصبح السلطان أمر بالمناداة بمصر و القاهرة بإبطال سائر المكوس من سائر ديار مصر و أعمالها، فقام جميع كتّاب المكوس من مجالسهم.

ثم فى سادس الشهر ركب الخليفة المتوكّل على اللّه من القلعة بأمر السلطان الملك الظاهر و نزل إلى القاهرة، و معه الأمير سودون الفخرىّ الشيخونىّ نائب السلطنة و قضاة القضاة و شيخ الإسلام سراج الدين عمر البلقينىّ و سائر الحجّاب و داروا فى شوارع القاهرة و رجل أمامهم على فرس يقرأ ورقة فيها: إنّ السلطان قد أزال المكوس و المظالم و هو يأمر الناس بتقوى اللّه و طاعته و إنّا قد سألنا العدق

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١١، ص: ٢٧٠

الباغى فى الصلح فأبى و قد قوى أمره فأغلقوا دوركم و أقيموا الدروب على الحارات و قاتلوا عن أنفسكم و حريمكم، فلمّا سمع

الناس ذلك تزايد خوفهم و قلقهم و يئس كلّ واحد من الملك الظاهر و أخذ الناس فى العمل للتوصّل إلى الناصرىّ، حتى حواشى برقوق لمّا سمعوا هذه المقالة و قد تحقّقوا بسماعها بأنّ الملك الظاهر لم يبق فيه بقيّة يلقى بها الناصرىّ و عساكره و قول الملك الظاهر: و إنا قد سألنا العدوّ فى الصلح فأبى و قوى، فإنه كان لمّا توجه العسكر من مصر لقتال الناصرى أمرهم أن يرسلوا له فى طلب الصلح مع الناصرىّ ففعلوا، فلم ينتظم صلح و وقع ما حكيناه من القتال و غيره.

ثمّ إن الناس لمّا سمعوا هذه المناداة شرعوا فى عمل الدّروب فجدّد بالقاهرة دروب كثيرة و أخذوا فى جمع الأقوات و الاستعداد للقتال و الحصار و كثر كلام العامّة فيما وقع و هان الملك الظاهر و عساكره فى أعين الناس و قلّت الحرمة و تجمّع الزّعر، ينتظرون قيام الفتنة لينهبوا الناس و تخوّف كلّ أحد على ماله و قماشه، كلّ ذلك و الناصرى إلى الآن بدمشق.

ثم انقطع أخبار الناصرىّ عن مصر لدخول الأمير حسام الدين بن باكيش نائب غزة فى طاعة الناصرىّ.

ثم قدم الخبر بدخول الأمير مأمور القلمطاوى نائب الكرك فى طاعة الناصرىّ و أنه سلّم له الكرك بما فيها من الأموال و السلاح، فتيقّن كلّ أحد عند سماع هذا الخبر أيضا بزوال ملك الملك الظاهر. هذا و الأمراء و العساكر المعيّنة للسفر فى اهتمام، غير أنّ عزائم السلطان فاترة و قد علاه و له و داخله الخوف من غير أمر

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١١، ص: ٢٧١

يوجب ذلك. و كان السلطان لمّا عيّن هذه التجريدة الثانية أرسل إلى بلاد الصعيد يطلب نجدة فقدم إلى القاهرة فى هذا اليوم طوائف من عرب هوّارة نجدة للسلطان و نزلوا تحت القلعة.

ثمّ أمر السلطان بحفر خندق القلعة و توعير طريق باب القلعة المعروف بباب القرافة و باب الحرس و باب الدّرفيل.

ثمّ أمر السلطان بسدّ خوخة الأمير أيدغمش خارج بابى زويلة، فسدّت حتى صار لا يدخل منها راكب ثمّ أمر السلطان فنودى بالقاهرة بإبطال مكس النّشا و الجلود.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١١، ص: ٢٧٢

و فى يوم الجمعة عاشر جمادى الأولى من سنة إحدى و تسعين و سبعمائة خطب للخليفة المتوكّل على اللّه أبى عبد اللّه محمد، فإنه أعيد إلى الخلافة من يوم خلع عليه السلطان خلعة الرّضا، ثمّ قرئ تقليده فى ثانى عشره بالمشهد النّفيسىّ و حضره القضاة و نائب السلطنة. و لمّا انقضى مجلس قراءة التقليد توجّهوا الجميع إلى الآثار النّبوية و قرءوا به صحيح البخارىّ و دعوا اللّه تعالى للسلطان الملك الظاهر برقوق بالنصر و إخماد الفتنة بين الفريقين.

ثمّ فى يوم ثالث عشر أخلع السلطان على الأمير قرا دمرداش الأحمدىّ اليلبغاوى باستقراره أتابك العساكر بالديار المصرية عوضا عن الأمير أيتمش البجاسى بحكم حبسه بقلعة دمشق و على الأمير سودون باق باستقراره أمير سلاح، عوضا عن قرا دمرداش المذكور و على الأمير قرقماس الطّشتمرىّ باستقراره دوادارا كبيرا عوضا عن يونس النّوروزىّ المقتول بيد عنقاء أمير آل فضل و على الأمير تمربغا المنجكىّ أمير آخور كبيرا عوضا عن الأمير جاركس الخليلىّ المقتول فى واقعة الناصرىّ

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١١، ص: ٢٧٣

بدمشق و على قرابغا البوبكرىّ باستقراره أمير مجلس عوضا عن أحمد بن يلبغا بحكم عصيانه و دخوله فى طاعة الناصرىّ و على آقبغا الماردينىّ باستقراره حاجب الحجاب عوضا عن أيدكار العمرىّ الداخل أيضا فى طاعة الناصرى و نزل الجميع بالخلع و التشاريف.

ثمّ أنعم السلطان على الأمير صلاح الدين محمد [بن محمد] بن تنكز الناصرىّ نائب الشّام كان بإمرة طبلخاناه و على جلبان الكمشبغاوى الخاصكى الظاهرى بإمرة طبلخاناه.

و كثر فى هذه الأيام تحصين السلطان لقلعة الجبل فعلم بذلك كلّ أحد أنه لم تخرج تجريدة من مصر و لم يثبت الملك الظاهر لقتال الناصرىّ بما أفرزوا من أحوال السلطان، خذلان من اللّه تعالى.

ثمّ أخذ السلطان ينقل إلى قلعة الجبل المناجنيق و المكاحل و العدد و أمر السلطان لسكّان قلعة الجبل من الناس بادّخار القوت بها لشهرين.

ثمّ رسم السلطان للمعلم أحمد بن الطّولونى بجمع الحجّارين لسدّ فم وادى السدرة بجوار الجبل الأحمر و أن يبنى حائط من جوار باب الدرفيل إلى الجبل.

ثمّ نودى بالقاهرة بأنّ من له فرس من أجناد الحلقة يركب للحرب و يخرج مع العسكر، فكثر الهرج و تزايد قلق الناس و خوفهم و صارت الشوارع كلها ملآنة بالخيول الملبّسة، هذا و إلى الآن لم يعرف السلطان ما الناصرىّ فيه و طلبت آلات الحرب من الخوذ و القرقلات و السيوف و الأرماح بكل ثمن غال.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٢٧٤

ثمّ رسم السلطان للأمير حسام الدين حسين [بن على] بن الكورانى والى القاهرة بسدّ باب المحروق أحد أبواب القاهرة فكلّمه الوالى فى عدم سدّه، فنهره و أمره بسدّه و سدّ الباب الجديد أيضا أحد أبواب القاهرة، ففعل. ثمّ سدّ باب الدّرفيل المعروف قديما بباب سارية و يعرف فى يومنا هذا بباب المدرّج.

ثمّ أمر السلطان بسدّ جميع الخوخ، فسدّ عدّة خوخ و ركّب عند قناطر السباع ثلاثة دروب: أحدها من جهة مصر و الآخر من جهة قبو الكرانىّ و الآخر بالقرب من الميدان ثمّ بنى بالقاهرة عدّة دروب أخر و حفر خنادق كثيرة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٢٧٥

هذا و الموت بالطاعون عمّال بالديار المصريّة فى كل يوم يموت عدّة كبيرة.

و أما الأمير يلبغا الناصرىّ نائب حلب و صاحبه منطاش نائب ملطية بمن معهما، فإنّ الناصرىّ لمّا استقرّ بدمشق و ملكها بعد الوقعة، نادى فى جميع بلاد الشام و قلاعها بألا يتأخر أحد عن الحضور إلى دمشق من النوّاب و الأمراء و الأجناد و من تأخّر سوى من غبن لحفظ البلاد قطع خبزه و سلبت نعمته، فاجتمع الناس بأسرهم فى دمشق من سائر البلاد و أنفق الناصرى فيهم و تجهّز و تهيأ للخروج من دمشق و برز منها بعساكره و أمرائه من الأمراء و الأكراد و التركمان و العربان و كان اجتمع إليه خلائق كثيرة جدّا فى يوم السبت حادى عشر جمادى الأولى من سنة إحدى و تسعين و سبعمائة المقدّم ذكرها، بعد أن أقرّ فى نيابة دمشق الأمير جنتمر المعروف بأخى طاز و سار الناصرى بمن معه من العساكر يريد الديار المصرية و هو يظنّ أنّه يلقى العساكر المصريّة بالقرب من الشام و استمرّ فى سيره على هيّنة إلى أن وصل إلى غزّة، فتلقّاه نائبها حسام الدين بن باكيش بالتّقادم و الإقامات، فسأله الناصرى عن أخبار عسكر مصر، فقال: لم يرد خبر بخروج عسكر من مصر و قد أرسلت جماعة كبيرة غير مرة لكشف هذا الخبر و لم يكن منى تهاول فى ذلك، فلم يبلغنى عن الديار المصرية إلا أنّ برقوقا فى تخوّف كبير و قد استعدّ للحصار فلم يلتفت الناصرى إلى كلامه، غير أنه صار متعجبا على عدم خروج العساكر المصرية لقتاله.

ثم قال فى نفسه: لعله يريد قتالنا فى فم الرمل بمدينة قطيا، ليكون عسكره فى راحة من جواز الرّمل و أقام الناصرىّ بغزّة يومه. ثم سار من الغد يريد ديار مصر و أرسل أمامه جماعة كبيرة من أمرائه و مماليكه كشّافة و استمرّ فى السّير إلى أن نزل مدينة قطيا و جاء الخبر بنزول الناصرىّ بعساكره على قطيا فلم يتحرّك بحركة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٢٧٦

و فى ليلة وصول الخبر فرّ من أمراء مصر جماعة كبيرة إلى الناصرىّ و هى ليلة الثلاثاء ثامن عشرين جمادى الأولى المذكورة و هم: الأمير طغيتمر الجركتمرى و أرسلان اللّفاف و أرنبغا العثمانىّ فى عدّة كبيرة من المماليك و لحقوا بالناصرىّ و دخلوا تحت طاعته، بعد ما صرفوا فى طريقهم الأمير عز الدين [أيدمر] أبا درقة كاشف الوجه البحرى و قد سار من عند الملك الظاهر لكشف الأخبار، فضربوه و أخذوا جميع ما كان معه و ساقوه معهم إلى الناصرىّ، فلما وصلوا إلى الناصرى حرّضوه على سرعة الحركة و عرّفوه ما

الظاهر فيه من الخوف و الجبن عن ملاقاته، فقوى بذلك قلب الناصرى و هو إلى الآن يأخذ فى أمر الملك الظاهر و يعطى.

ثم جلس الملك الظاهر صبيحة هرب الأمراء بالإيوان من قلعة الجبل و هو يوم الثلاثاء ثامن عشرينه و أنفق على المماليك جميعها، لكل مملوك من مماليك السلطان و مماليك الأمراء، لكل واحد خمسمائة درهم فضة و استدعاهم طائفة بعد طائفة و أعطى كل واحد بيده و صار يحرّضهم على القتال معه و بكى بكاء شديدا فى الملأ.

ثمّ فرّق جميع الخيول حتى خيل الخاصّ فى الأمراء و الأجناد و أعطى الأمير اقبغا المارديني حاجب الحجّاب جملة كبيرة من المال ليفرّقه على الزّعر و عظم أمر الزعر و بطل الحكم من القاهرة و صار الأمر فيها لمن غلب و تعطّلت الأسواق و أكثر الناس من شراء البقسماط و الدقيق و الدهن و نحو ذلك.

ثم وصل الخبر على السلطان بنزول الناصرىّ على الصالحيّة بمن معه و قد وقف لهم عدّة خيول فى الرمل و أنّه لما وجد الصالحية خالية من العسكر سجد للّه تعالى

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١١، ص: ٢٧٧

شكرا، فإنه كان يخاف أن يتلقّاه عسكر السلطان بها و لو تلقّاه عسكر السلطان لما وجد لعسكره منعة للقتال، لضعف خيولهم و شدّة تعبهم، فلهذا كان حمده للّه تعالى.

و أخبر السلطان أيضا أنّ الناصرىّ لمّا نزل إلى الصالحيّة تلقّاه عرب العائد مع كبيرهم الأمير شمس الدين محمد بن عيسى و خدموه بالإقامات و الشعير و غيرها فردّ بذلك رمقهم.

فلمّا سمع السلطان ذلك رسم للأتابك الأمير قرادمرداش الأحمدىّ أن يتوجّه لكشف الأخبار من جهة بركة الحبش مخافة أن يأتى أحد من قبل إطفيح، فسار لذلك. ثم رتّب السلطان العسكر نوبتين: نوبة لحفظ النهار و نوبة لحفظ الليل و سيّر ابن عمه الأمير قجماس فى عدّة أمراء إلى المرج و الزيات طليعة للكشف.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١١، ص: ٢٧٨

ثمّ فى يوم الأربعاء تاسع عشرين جمادى الأولى المذكور أنفق السلطان فى مماليك أمراء الطبلخانات و العشرات، فأعطى كلّ واحد أربعمائة درهم فضة و أنفق السلطان أيضا فى الطّبردارية [و البزدارية] و الأوجاقية و أعطاهم القسىّ و النّشّاب. ثم رتّب من الأجناد البطّالين جماعة بين شرفات القلعة ليرموا على من لعلّه يحاصر القلعة، و أنفق فيهم أيضا. ثم استدعى السلطان رماة قسىّ الرمل من ثغر الإسكندرية فحضر منهم جماعة كبيرة و أنفق فيهم الأموال.

ثم عاد الأمير قجماس بمن معه من المرج و الزيّات و أخبر السلطان أنه لم يقف للقوم على خبر.

ثم خرج الأمير سودون الطّرنطائىّ فى ليلة الخميس فى عدّة من الأمراء و المماليك إلى قبّة النصر للحرس و سارت طائفة أخرى إلى بركة الحبش و بات السلطان بالإسطبل السلطانى ساهرا لم ينم و معه الأمير سودون الشيخونى النائب و الأتابك قرادمرداش الأحمدىّ، بعد أن عاد من بركة الحبش و عدّة كبيرة من المماليك و الأمراء.

ثم توجّه الأمير قرابغا الأبوبكرىّ أمير مجلس فى يوم الخميس أوّل جمادى الآخرة إلى قبّة النصر، ثم عاد و لم يقف على خبر، كلّ ذلك لضعف خيول عساكر الناصرى و كلّهم من السفر، فلم يجد الناصرىّ لهم منعة، فأقام بهم على الصالحية ليتراجع أمرهم و تعود قواهم، هذا و الأمراء بالديار المصريّة لابسون آلة الحرب و هم على ظهور خيولهم بسوق الخيل تحت القلعة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١١، ص: ٢٧٩

و فى ليلة الخميس المذكورة هرب من المماليك السلطانية اثنان و من مماليك الأمراء جماعة كبيرة بعد أخذهم نفقة السلطان و ساروا الجميع إلى الناصرىّ.

ثمّ طلب السلطان أجناد الحلقة، فدارت النقباء عليهم فأحضروا منهم جماعة كبيرة فرّقوا على أبواب القاهرة و رتّبوا بها لحفظها.

ثمّ نـدب السـلطان الأمير ناصـر الـدين محمـدا ابن الـدوادارى أحـد أمراء الطبلخانات و معه جماعة لحفظ قياسـر القاهرة و أغلق و الى القاهرة باب البرقيّة. ثمّ رتّب السلطان النّفطيّة على برج الطبلخاناه السلطانية و غيره بقلعة الجبل.

ثمّ قدم الخبر على السلطان بنزول طليعة الناصرىّ بمدينة بلبيس و مقدّمها الطواشى طقطاى الرومىّ الطّشتمرىّ.

ثم فى يوم الجمعة نزلت عساكر الناصـرى بالبئر البيضاء، فأخذ عند ذلك عسـكر السـلطان يتسـلّل إلى الناصـرى شيئا بعد شىء، و كان أوّل من خرج إليه من القاهرة الأمير جبريل الخوارزمىّ و محمـد بن بيـدمر نائب الشام و بجمان المحمـدى نائب الإسـكندرية و غريب الخاصّكىّ و الأمير أحمد بن أرغون الأحمدىّ [اللّالا].

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١١، ص: ٢٨٠

ثمّ نصب السـلطان السـناجق السـلطانيّة على أبراج القلعـة و دقّت الكوسـات الحربيّـة فـاجتمعت العساكر جميعها و عليهم آلـة الحرب و السـلاح ثم ركب السـلطان و الخليفـة المتوكل على اللّه معه من قلعـة الجبل بعـد العصـر و سار السـلطان بمن معه حتى وقفا خلف دار الضّـيافة و قد اجتمع حول السلطان من العامة خلائق لا تحصى كثرة، فوقف هناك ساعة ثم عاد و طلع إلى الإسطبل السلطانى و جلس فيه من غير أن يلقى حربا و صـعد الخليفـة إلى منزله بقلعـة الجبل، و قـد نزلت الذّلّـة على الدولة الظاهريّة و ظهر من خوف السـلطان و بكائه ما أبكى الناس شفقة له و رحمة عليه.

فلمّا غربت الشمس صعد السلطان إلى القلعة و بات بالقصر السلطانى و معه عامّة مماليكه و خاصّكيته و هم عدّة كبيرة إلى الغاية.

ثمّ فى يوم السـبت ثالث جمادى الآخرة نزل الناصرى بعساكره بركة الجبّ ظاهر القاهرة، و معه من أكابر الأمراء الأمير تمربغا الأفضلىّ الأشرفىّ المدعو منطاش و الأمير بزلار العمرى الناصرىّ حسن و الأمير كمشبغا الحموى اليلبغاوى نائب طرابلس كان و الأمير أحمد بن يلبغا العمرى أمير مجلس و الأمير أيدكار حاجب الحجاب و جماعة أخر من أمراء الشام و مصر و غيرها.

ثمّ تقـدمت عسـاكر الناصـرىّ إلى المرج و إلى مسـجد التّبن، فعنـد ذلـك غلّقت أبواب القـاهرة كلّهـا إلاـ باب زويلـة و أغلقت جميع الدروب و الخوخ و سدّ باب القرافة و انتشرت الزّعر فى أقطار المدينة تأخذ ما ظفرت به ممّن يستضعفونه.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١١، ص: ٢٨١

ثمّ ركب السـلطان ثانيا من القلعـة و معه الخليفة المتوكل على اللّه و نزل إلى دار الضّـيافة فقدم عليه الخبر بأنّ طليعة الناصـرىّ وصـلت الى الخراب طرف الحسينيّة فلقيتهم كشّافة السلطان فكسرتهم.

ثمّ ندب السلطان الأمراء فتوجهوا بالعساكر إلى جهة قبّة النصر و نزل السلطان ببعض الزوايا عند دار الضيافة إلى آخر النهار.

ثمّ عاد إلى الإسـطبل السـلطانىّ و صـحبته الأمراء الـذين توجّهوا لقبّـة النصـر و الكوسات تـدقّ و هم على أهبـة اللّقاء و ملقاة العـدوّ و خاصّكيّة السلطان حوله و النّفوط لا تفترّ و الرّميلة قد امتلأت بالزّعر و العامة و مماليك الأمراء و لم يزالوا على ذلك حتّى أصبحوا يوم الاـثنين و إذا بالأمير آقبغا الماردينىّ حاجب الحجاب و الأمير جمق ابن أيتمش البجاسـى و الأمير إبراهيم بن طشـتمر العلائى الـدوادار قد خرجوا فى الليل و معهم نحو خمسمائة مملوك من المماليك السلطانية و لحقوا بالناصرىّ.

ثمّ أصـبح السـلطان من الغـد و هو يوم خـامس جمادى الآخرة، فرّ الأمير قرقماس الطّشـتمرى الـدوادار الكبير و قرادمرداش الأحمـدىّ أتابك العساكر بالـديار المصـرية و الأمير سودون باق أمير مجلس و لحقوا بالناصـرىّ و كانوا فى عـدّة وافرة من المماليك و الخدم و الأطلاب الهائلة، و لم يتأخر عند السـلطان من أعيان الأمراء إلا ابن عمه الأمير قجماس و سودون الشّيخونى النائب و سودون طرنطاى و تمزبغا المنجكىّ و أبو بكر ابن سـنقر و بيبرس التّمان تمرىّ و شـيخ الصـفوىّ و مقـدم المماليك شـنكل و طائفة من أمرائه مشترواته و خاصّكيته و العجب أنّ السلطان كان أنعم فى أمسه على الأمراء

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١١، ص: ٢٨٢

الذين توجّهوا للناصـرى لكلّ أمير من أمراء الألوف عشـرة آلاف دينار و لكل أمير طبلخاناه خمسة آلاف دينار و حلّفهم على طاعته و

نصرته و أعطى فى ليلة واحدة للأمير الكبير قرادمرداش الأحمدىّ ثلاثين ألف دينار دفعة واحدة و خاتما مثمّنا، قيمته آلاف عديدة، حتى قال له: قرادمرداش المذكور: يا مولانا السلطان روحى فداؤك لا- تخف ما دمت أنا واقف فى خدمتك أنت آمن، فشكره السلطان، فنزل من عنده فى الحال ركب و خرج من باب القرافة و قطع الماء الذى يجرى إلى القلعة و توجّه مع من ذكرنا من الأمراء إلى الناصرىّ، فلم يلتفت الناصرىّ لهم ذاك الالتفات الكلّىّ، بل فعل معهم كما فعل مع غيرهم ممّن توجّه إليه من أمراء مصر. انتهى.

و لمّا بلغ السلطان نفاق هؤلاء الأمراء عليه بعد أن أنعم عليهم بهذه الأشياء، علم أنّ دولته قد زالت، فأغلق فى الحال باب زويلة و جميع الدروب و تعطّلت الأسواق و امتلأت القاهرة بالزّعر و اشتدّ فسادهم و تلاشت الدولة الظاهريّة و انحلّ أمرها و خاف و الى القاهرة حسام الدين بن الكورانىّ على نفسه، فقام من خلف باب زويلة و توجّه إلى بيته و اختفى و بقى الناس غوغاء و قطع المسجونون قيودهم بخزانة شمائل و كسروا باب الحبس و خرجوا على حميّة جملة واحدة، فلم يردّهم أحد بشغل كلّ واحد بنفسه و كذلك فعل أهل حبس الدّيلم و أهل سجن

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٢٨٣

الرّحبة، هذا و السلطان إلى الآن بقلعة الجبل و النّفوط عمالة و الكوسات تدقّ حربيا، ثمّ أمر السلطان مماليكه فنزلوا و منعوا العامة من التوجّه إلى يلبغا الناصرىّ،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٢٨۴

فرجمهم العامّة بالحجارة، فرماهم المماليك بالنّشاب، قتلوا منهم جماعة تزيد عدّتهم على عشر أنفس.

ثمّ أقبلت طليعة الناصرىّ مع عدّة من أعيان الأمراء من أصحابه، فبرز لهم لأمير قجماس ابن عمّ السلطان فى جماعة كبيرة و قاتلهم و أكثر الرّمى عليهم من فوق القلعة بالسّهام و النفوط و الحجارة بالمقاليع و هم يوالون الكرّ و الفرّ غير مرة و ثبتت السلطانيّة ثباتا جيّدا غير أنهم فى علم بزوال دولتهم.

هذا و أصحاب السلطان تتفرّق عنه شيئا بعد شىء، فمنهم من يتوجّه إلى الناصرىّ و منهم من يختفى خوفا على نفسه، حتى لم يبق عند السلطان إلّا جماعة يسيرة ممن ذكرنا من الأمراء، فلمّا كان آخر النهار المذكور أراد السلطان أن يسلّم نفسه، فمنعه من بقى عنده من الأمراء و خاصكيّته و قالت مماليكه: نحن نقاتل بين يديك حتى نموت، ثم سلّم بعد ذلك نفسك فلم يثق بذلك منهم، لكنه شكرهم على هذا الكلام و السعد مدبر و الدولة زائلة.

ثمّ بعد العصر من اليوم المذكور قدم جماعة من عسكر الناصرىّ عليهم الطواشىّ طقطاى الرّومى الطّشتمرىّ و الأمير بزلار العمرى الناصرىّ و كان من الشجعان و الأمير ألطنبغا الأشرفىّ فى نحو الألف و خمسمائة مقاتل، يريدون القلعة، فبرز لهم الأمير بطا الطّولوتمرى الظاهرىّ الخاصّكى و الأمير شكرباى العثمانىّ الظاهرىّ و سودون شقراق و الوالد، فى نحو عشرين مملوكا من الخاصكيّة الظاهريّة و بلاقوا مع العسكر المذكور صدموهم صدمة واحدة كسروهم فيها و هزموهم إلى قبّة النصر و لم يقتل منهم غير سودون شقراق، فإنه أمسك و أتى به إلى الناصرىّ فوسّطه فلم يقتل

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٢٨۵

الناصرى فى هذه الوقعة أحدا غيره لا قبله و لا بعده، أعنى صبرا، غير أن جماعة كبيرة قتلوا فى المعركة و رد الخبر بنصرتهم على الملك الظاهر، فلم يغترّ بذلك و علم أن أمره قد زال، فأخذ فى تدبير أمره مع خواصّه، فأشار عليه من عنده أن يستأمن من الناصرى، فعند ذلك أرسل الملك الظاهر الأمير أبا بكر بن سنقر الحاجب و الأمير بيدمر المنجكىّ شادّ القصر بالمنجاة إلى الأمير يلبغا الناصرىّ أن يأخذا له أمانا على نفسه و يترقّقا له، فسارا من وقتهما إلى قبّة النصر و دخلا على الناصرى و هو بمخيّمه و اجتمعا به فى خلوة فآمنه على نفسه و أخذ منهما منجاة الملك و قال الملك الظاهر: أخونا و خشداشنا و لكنّه يختفى بمكان إلى أن تخمد الفتنة، فإن الآن كلّ واحد له رأى و كلام، حتى ندبّر له أمرا يكون فيه نجاته، فعادا بهذا الجواب إلى الملك الظاهر برقوق و أقام السلطان بعد ذلك فى

مكـانه مع خواصه إلى أن صـلّى عشاء الآخرة و قام الخليفـة المتوكل على اللّه إلى منزله بالقلعـة على العادة فى كل ليلـة و بقى الملك الظاهر فى قليل من أصـحابه، أذن لسودون النائب فى التوجّه إلى حال سبيله و النظر فى مصـلحة نفسه، فوادعه و قام و نزل من وقته. ثمّ فرّق الملك الظاهر بقية أصحابه، فمضى كلّ واحد إلى حال سبيله.

ثمّ اسـتتر الملك الظاهر و غيّر صـفته، حتى نزل من الإسـطبل إلى حيث شاء ماشـيا على قـدميه، فلم يعرف له أحد خبرا و انفصّ ذلك الجمع كله فى أسـرع مـا يكون و سـكن فى الحال دقّ الكوسات و رمى مـدافع النفط و وقع النهب فى حواصل الإسـطبل حتى أخـذوا سائر ما كان فيه من السّـروج و اللّجم و غيرها و العبىّ و نهبوا أيضا ما كان بالميـدان من الغنم الضأن و كان عـدّتها نحو الألفى رأس و نهبت طباق المماليك بالقلعة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٢٨٦

و طار الخبر فى الوقت إلى الناصرى فلم يتحرك من مكانه و دام بمخيّمه و أرسل جماعة من الأمراء من أصحابه فسار من عسكره عدّة كبيرة و احتاطوا بالقلعة.

و اصـبح الأمير يلبغا الناصرىّ بمكانه و هو يوم الاثنين خامس جمادى الآخرة من سنة إحدى و تسعين و سبعمائة و ندب الأمير منطاش فى جماعة كبيرة إلى القلعة، فسار منطاش إلى قلعة الجبل فى جموعه و طلع إلى الإسطبل السلطانىّ فنزل إليه الخليفة المتوكّل على اللّه أبو عبـد اللّه محمد و سار مع منطاش إلى الناصـرى بقبّة النصـر، حتى نزل بمخيّمه، فقام الناصـرى إليه و تلقّاه و أجلسه بجانبه و وانسـه بالحديث.

هـذا و قـد انضـمّت العامّـة و الزّعر و التّركمان من أصـحاب الناصـرى و تفرّقوا على بيوت الأمراء و حواصـلهم، فنهبوا ما وجـدوا حتى أخربوا الدور و أخذوا أبوابها و خشـبها و هجموا منازل الناس خارج القاهرة و نهبوها و استمرّوا على ذلك و قد صارت مصر غوغاء و أهلها رعيّـة بلا راع، حتى أرسل الناصـرى الأمير ناصـر الـدين محمـد بن الحسام و قـد ولّاه ولايـة القاهرة فسار ابن الحسام إلى القاهرة فوجـد باب النصـر مغلوقا، فـدخل بفرسه راكبا من جامع الحاكم إلى القاهرة و فتـح باب النصـر و باب الفتوح و عند فتح الأبواب طرق جماعـة كبيرة من عسـكر الناصـرىّ القـاهرة و نهبوا منهـا جانبا كبيرا، فقاتلهم الناس و قتلوا منهم أربعـة نفر و مرّ بالناس فى هـذه الأيام شدائد و أهوال، و بلغ الناصرى الخبر فبعث أبا بكر بن سنقر الحاجب و تنكز بغا رأس نوبة إلى حفظ القاهرة فدخلاها.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٢٨٧

ثمّ نودى بها من قبل الناصـرى بالأمان و منع النّهب، فنزل تنكز بغا المذكور عند الجملون وسط القاهرة و نزل سـيدى أبو بكر بن سنقر عند باب زويلة و سكن الحال و هدأ ما بالناس و أمنوا على أموالهم.

و أمّا الناصـرى، فإنّه لمّا نزل إليه الخليفـة و أكرمه، كما تقـدّم و حضـر قضاه القضاة و الأعيان للهناء، أمرهم الناصـرىّ بالإقامـة عنده و أنزل الخليفـة بمخيّم و أنزل القضاة بخيمـة أخرى، ثمّ طلب الناصـرىّ من عنـده من الأمراء و الأعيان و تكلم معهم فيما يكون و سألهم فيمن ينصّب فى السـلطنة بعد الملك الظاهر برقوق، فأشار أكابرهم بسـلطنة الناصرىّ فامتنع الناصرى من ذلك أشدّ امتناع و هم يلحّون عليه و يقولون له: ما المصـلحة إلا ما ذكرنا و هو يأبى و انفضّ المجلس من غير طائل، فعنـد ذلك تقـدّم الناصـرى بكتابـة مرسوم عن الخليفـة، و عن الأمير الكبير يلبغا الناصـرىّ بالإفراج عن الأمراء المعتقلين بثغر الإسـكندرية و هم: ألطنبغا الجوبانىّ نائب الشام و قردم الحسـنى و ألطنبغا المعلّم أمير سـلاح و إحضارهم إلى قلعـة الجبل و الجميع يلبغاويّه، فسار البريد بذلك ثم أمر الناصـرى بالرحيل من قبّة النصر إلى نحو الديار المصرية و ركب فى عالم كبير من العساكر نحو الستين ألفا، حتى إنه

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٢٨٨

كـان عليق جمـالهم فى كـل ليلـة ألفـا [و ثلثمائـة] إردب فول و سار الناصـرى بخيوله و بجيوشه حتى طلع إلى القلعـة و نزل بالإسـطبل السـلطانى و طلع الخليفة إلى منزله بقلعة الجبل و نزل كلّ أمير فى بيت من بيوت الأمراء بديار مصر و جلس الناصرىّ فى مجلس عظيم

و حضر إلى خدمته الوزير كريم الدين عبد الكريم بن الغنّام و موفّق الدين أبو الفرج ناظر الخاص و القاضى جمال الدين محمود ناظر الجيش و القاضى بدر الدين محمد بن فضل اللّه كاتب السر الشريف و غيرهم من أرباب الوظائف، فأمرهم الأمير الكبير بتحصيل الأغنام إلى مطابخ الأمراء و نودى فى القاهرة ثانيا بالأمان.

ثمّ رسم للأمير تنكزبغا رأس نوبة بتحصيل [مماليك] الملك الظاهر برقوق، فأخذ تنكزبغا يتتبّع أثره و أصبح الناس فى يوم الثلاثاء سادس جمادى الآخرة فى هرج كبير و مقالات كثيرة مختلفة فى أمر الملك الظاهر برقوق.

ثمّ استدعى الأمير الكبير يلبغا الناصرىّ الأمراء و استشارهم فيمن ينصّبه فى سلطنة مصر، فكثر الكلام بينهم و كان غرض غالب الأمراء سلطنة الناصرىّ ماخلا منطاش و جماعة من الأشرفيّة، حتى استقرّ الرأى على إقامة الملك الصالح أمير حاج ابن الملك الأشرف شعبان فى السلطنة ثانيا، بعد أن أعيا الأمراء أمر الناصرىّ فى عدم قبوله السّلطنة و هو يقول: المصلحة سلطنة الملك الصالح أمير حاج، فإن الملك الظاهر برقوقا خلعه من غير موجب، فطلعوا فى الحال من الإسطبل إلى القلعة و استدعوا الملك الصالح و سلطنوه و غيّروا لقبه بالملك المنصور

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٢٨٩

على ما سنذكره فى أوّل ترجمته الثانية- إن شاء اللّه تعالى- بعد أن نذكر حوادث سنين الملك الظاهر برقوق كما هى عادة كتابنا هذا من أوّله إلى آخره.

و أمّا الملك الظاهر برقوق فإنّه دام فى اختفائه إلى أن قبض عليه بعد أيام على ما سنحكيه فى سلطنة الملك الصالح مفضّلا إلى أن يسجن بالكرك و يعود إلى ملكه ثانيا.

قلت: و زالت دولة الملك الظّاهر برقوق كأن لم تكن- فسبحان من لا يزول ملكه- بعد أن حكم مصر أميرا كبيرا و سلطانا إحدى عشرة سنة و خمسة أشهر و سبعة و عشرين يوما، تفصيله مدّة تحكّمه أميرا منذ قبض على الأمير طشتمر العلائىّ الدوادار فى تاسع ذى الحجّة سنة تسع و سبعين و سبعمائة إلى أن جلس على تخت الملك و تلقّب بالملك الظاهر فى يوم الأربعاء تاسع عشر شهر رمضان سنة أربع و ثمانين و سبعمائة أربع سنين و تسعة أشهر و عشرة أيّام. و كان يقال له فى هذه المدة:

الأمير الكبير أتابك العساكر و من حين تسلطن فى سنة أربع و ثمانين المذكورة إلى يوم ترك الملك و اختفى فى ليلة الاثنين خامس جمادى الآخرة من سنة إحدى و تسعين و سبعمائة ست سنين و ثمانية أشهر و سبعة عشر يوما، فهذا تفصيل تحكّمه على مصر أميرا أو سلطانا إحدى عشرة سنة و خمسة أشهر و سبعة و عشرين يوما.

و ذهب ملكه من الديار المصريّة على أسرع وجه مع عظمة فى النفوس و كثرة مماليكه و حواشيه، فإنه خلع من السلطنة و له نحو الألفى مملوك مشترى، غير من أنشأه من أكابر الأمراء و الخاصكيّة من خشداشيّته و غيرهم، هذا مع ما كان فيه من القوّة و الشّجاعة و الإقدام، فإنّه قام فى هذا الأمر بالقوّة فى ابتداء أمره و توثّب على الرئاسة و الإمرة بيده دفعة واحدة حسب ما تقدّم ذكره، و لم يكن له يوم ذاك عشرة مماليك مشتراة، و أعجب من هذا ما سيكون من أمره فى سلطنته الثانية عند

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٢٩٠

خروجه من حبس الكرك و هو فى غاية ما يكون من الفقر و قلّة الحاشية و مع هذا يملك مصر ثانيا، كما سيأتى ذكر ذلك مفصلا. و ما أرى هذا الذى وقع للملك الظاهر فى خلعه من الملك مع ما ذكرنا إلّا خذلانا من اللّه تعالى و للّه الأمر.

و قال المقريزى- رحمه اللّه-: و كان فى سلطنته مخلّطا يخلّط الصالح بالطالح.

و مما حكاه المقريزىّ قال: و كان له فى مدته أشياء مليحة، منها: إبطاله ما كان يؤخذ من أهل البرلّس و شورى و بلطيم من أعمال مصر شبه الجالية فى كلّ سنة.

قلت: و قد تجدّد ذلك فى دولة الملك الظاهر جقمق ثانيا فى سنة سبع و أربعين و ثمانمائة: قال و هو مبلغ ستّين ألف درهم فضّة

يعنى عن الذى كان يؤخذ من هذه الجهات المذكورة، قال: و أبطل ما كان يؤخذ على القمح بثغر دمياط من المكوس و ما كان يؤخذ من معمل الفراريح بالجيزيّة و أعمالها و الغربية و غيرها، و ما كان يؤخذ على الملح من المكس بعينتاب و ما كان يؤخذ على الدقيق بالبيرة من المكس. و أبطل

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۱، ص: ۲۹۱

أيضا ما كان يؤخذ فى طرابلس عند قدوم النائب إليها- من قضاة البرّ و ولاة الأعمال عن كل واحد خمسمائة درهم و أبطل أيضا ما كان يؤخذ فى كلّ سنة من الخيل و الجمال و البقر و الغنم من أهل الشرقيّة من أعمال مصر. و أبطل ما كان يؤخذ من المكس بديار مصر على الدريس و الحلفاء خارج باب النصر. و أبطل ضمان المغانى بالكرك و الشوبك و من منية ابن خصيب و زفتة من أعمال مصر و أبطل رمى الأبقار بعد فراغ عمل الجسور على أهل النّواحى و أنشأ من العمائر فى هذه السلطنة الأولى المدرسة بخطّ بين القصرين من القاهرة و لم يعمّر داخل القاهرة مثلها و لا أكثر معلوما منها و له أيضا الصهريج و السبيل بقلعة الجبل تجاه الإيوان و عمّر الطاحون أيضا بالقلعة و أنشأ جسر الشريعة على نهر الأردن بطريق الشام و طوله مائة و عشرون ذراعا فى عرض عشرين ذراعا و جدّد خزائن السلاح بثغر الاسكندريّة و عمّر سور دمنهور بالبحيرة و عمّر الجبال الشرقيّة بالفيوم و زاوية البرزخ بدمياط و بنى قناطر بالقدس و بنى بحيرة برأس وادى بنى سالم قريبا من المدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة و السلام قال: و كان حازما مهابا محبّا لأهل الخير و العلم إذا أتاه أحد منهم قام إليه و لم يعرف أحد قبله من الملوك [الترك] يقوم لفقيه و قلّما كان يمكّن أحدا منهم من تقبيل يده، إلا أنه كان محبّا لجمع المال و حدث فى أيامه تجاهر الناس بالبراطيل، فكان لا يكاد يولّى أحدا وظيفة و لا عملا إلا بمال و فسد بذلك كثير من الأحوال و كان مولعا بتقديم الأسافل و حطّ ذوى البيوتات.

قلت: و هذا البلاء قد تضاعف الآن حتّى خرج عن الحدّ و صار ذوو البيوت معيرة فى زماننا هذا. انتهى.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۱، ص: ۲۹۲

قال: و غيّر ما كان للناس من الترتيب. و اشتهر فى أيامه ثلاثة أشياء قبيحة:

إتيان الذكران من اشتهاره بتقريب المماليك الحسان و تظاهر البراطيل و كان لا يكاد يولّى أحدا وظيفة إلا بمال و اقتدى بهذا الملوك من بعده و كساد الأسواق لشحه و قلة عطائه، فمساوئه أضعاف حسناته. انتهى كلام المقريزىّ من هذا المعنى.

قلت: و نحن نشاحح الشيخ تقىّ الدين المقريزىّ فى كلامه حيث يقول:

و حدث فى أيامه ثلاثة أشياء قبيحة، فأمّا إتيان الذكران، فأقول: البلاء قديم و قد نسب اشتهار ذلك من يوم دخول الخراسانيّة إلى العراق فى نوبة أبى مسلم الخراسانىّ فى سنة اثنتين و ثلاثين و مائة من الهجرة.

و أما اقتناؤه المماليك الحسان، فأين الشيخ تقىّ الدين من مشترى الملك الناصر محمد بن قلاوون إلى حسان المماليك بأغلى الأثمان الذى لم يقع للملك الظاهر فى مثلها، حتى إن الملك الناصر محمد قدّم جماعة من مماليكه ممن شغف بمحبّتهم و أنعم عليهم بتقادم ألوف بمصر و لم يطرّ شارب واحد منهم، مثل بكتمر الساقى و يلبغا اليحياوى و ألطنبغا المارديني و قوصون و ملكتمر الحجازى و طقزدمر الحموى و بشتك و طغاى الكبير و زوّجهم بأولاده، فحينئذ الفرق بينهما فى هذا الشأن ظاهر. و أما قوله: أخذ البراطيل، فهذا أيضا قديم جدّا من القرن الثالث و إلى الآن، حتى إنه كان فى دولة الملك الصالح إسماعيل ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون ديوان يعرف بديوان البذل (أعنى بديوان البرطيل) و شاع ذلك فى الأقطار و صار من له حاجة يأتى إلى صاحب الديوان المذكور و يبذل فيما يرومه من الوظائف و هذا شىء لم يصل الملك الظاهر برقوق اليه.

و أما شحّه فهو بالنسبة لمن تقدّمه من الملوك شحيح و إلى من جاء بعده كريم و الشيخ تقى الدين- رحمه اللّه- كان له انحرافات معروفة تارة و تارة و لو لا ذاك

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۱، ص: ۲۹۳

ما كان يحكى عنه فى تاريخه السلوك قوله: و لقد سمعت العبد الصالح جمال الدين عبد اللّه السكسرىّ المغربى يخبرنى - رحمه اللّه- أنه رأى قردا فى منامه صعد المنبر بجامع الحاكم فخطب ثم نزل و دخل المحراب ليصلّى بالناس الجمعة، فثار الناس عليه فى أثناء صلاته بهم، فأخرجوه من المحراب و كانت هذه الرؤيا فى أواخر سلطنة الملك الأشرف شعبان بن حسين فى سنة ثمان و سبعين و سبعمائة، فكان ذلك تقدّم الملك الظاهر برقوق على الناس و سلطنته تأويل هذه الرؤيا، فإنه كان متخلّقا بكثير من أخلاق القردة شحا [و طمعا] و فسادا و لكن اللّه يفعل ما يريد و للّه الأمر من قبل و من بعد. انتهى كلام المقريزى.

قلت: و تعبير الشيخ تقى الدين لهذه الرؤيا أن القرد هو الملك الظاهر فليس بشىء من وجوه عديدة، منها: أن برقوقا لم يتسلطن بعد قتل الملك الأشرف إلا بعد أن تسلطن ولد الملك الأشرف الملك المنصور علىّ و ولده الملك الصالح أمير حاجّ.

ثم تسلطن برقوق بعد ستّ سنين من وفاة الأشرف و منها: أن الناس لمّا أخرجوا القرد فى أثناء الصلاة كان ينبغى أن يعود و يصلّى بالناس بعد إخراجه ثانيا صلاة أطول من الصّلاة الأولى، فإن برقوقا لما خلع عاد إلى السلطنة ثانيا و مكث فيها أكثر من سلطنته الأولى حتى كانت تطابق ما وقع لبرقوق و قولنا: إن الشيخ تقى الدين كان له تارات يشكر فيها و تارات يذم فيها، فإنه لما صحب الملك الظاهر المذكور فى سلطنته الثانية و أحسن إليه الظاهر أمعن فى الثناء عليه فى عدّة أماكن من مصنفاته و نسى مقالته هذه و غيرها وفاته أن يغيّر مقالته هذه، فإنه أمعن، و يقال

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٢٩٤

فى المثل من شكر و ذمّ، فكأنما كذّب نفسه مرّتين. و بإجماع الناس أن الملك الظاهر برقوقا كان فى سلطنته الأولى أحسن حالا من سلطنته الثانية، فإنه ارتكب فى الثانية أمورا شنيعة مثل قتل العلماء و إبعادهم و الغضّ منهم، لمّا أفتوا بقتاله عند خروجه من الكرك و نحن أعرف بأحوال الملك الظاهر و ابنه الناصر من الشيخ تقى الدين و غيره و إن كان هو الأسنّ، و لم أرد بذلك الحطّ على الشيخ تقىّ الدين و لا التعصّب للملك الظاهر، غير أن الحق يقال و الحق المحض فيه أنّه كان له محاسن و مساوئ و ليس للإمعان محلّ، كما هى عادة الملوك و الحكّام. و بالجملة فهو أحسن حالا ممن جاء بعده من الملوك بلا مدافعة. و اللّه تعالى أعلم.

السنة الأولى من سلطنة الملك الظاهر برقوق الأولى على مصر

و هى سنة أربع و ثمانين و سبعمائة، على أن الملك الصالح حاجيّا حكم منها إلى تاسع عشر شهر رمضان ثم حكم الملك الظاهر فى باقيها.

و فيها توفّى قاضى قضاة الحنفيّة بدمشق همام الدين أمير غالب ابن العلّامة قاضى القضاة قوام الدين أمير كاتب الإتقانى الفارابى الانزارى الحنفى، ولى أوّلا حسبة دمشق ثم القضاء بها، و كان قليل العلم بالنسبة إلى أبيه، إلّا أنه كان رئيسا حسن الأخلاق كريم النفس، عادلا فى أحكامه و كان فى ولايته يعتمد على العلماء من نوّابه، فمشى حاله و شكرت سيرته إلى أن مات فى جمادى الأولى.

و توفّى قاضى القضاة بدر الدين عبد الوهاب ابن الشيخ كمال الدين أحمد ابن قاضى القضاة علم الدين محمود بن أبى بكر بن عيسى [ابن بدران] السعدىّ

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٢٩٥

الإخنائى المالكىّ. ولد فى حدود العشرين و سبعمائة و تولّى القضاء بعد موت القاضى برهان الدين إبراهيم الإخنائى و كان ضعيفا، فجاءه التشريف من الملك الأشرف شعبان و ألقى عليه على لحافه، فلما عوفى لبسه و باشر القضاء و حسنت سيرته إلى أن صرف بعلم الدين سليمان بن خالد بن نعيم البساطى فى ذى القعدة سنة ثمان و سبعين و سبعمائة، ثم أعيد فى صفر سنة تسع و سبعين و عزل فى السنة بالبساطىّ ثانيا و لزم داره إلى أن مات. و كان خيّرا ديّنا مشكور السيرة.

و توفّى الوزير الصاحب كريم الدين عبد الكريم ابن الرّويهب فى سابع عشر شهر رمضان، و قد اتّضع حاله و افتقر و كان من أعيان

الأقباط و باشر عدّة مباشرات، منها الوزر و نظر الدولة و الاستيفاء و غير ذلك.

و توفّى الشيخ علاء الدين أبو الحسن علىّ بن عمر بن محمد ابن قاضى القضاة تقى الدين محمد ابن دقيق العيد موقّع الحكم فى خامس عشر صفر.

و توفّى الشيخ جمال الدين محمد بن علىّ [ابن يوسف] الأسوانىّ فى يوم الأحد عاشر شهر ربيع الأوّل و كان معدودا من الفضلاء.

و توفّى الأمير فخر الدين إياس بن عبد اللّه الصّرغتمشىّ الحاجب أحد أمراء الطبلخانات فى ثالث شهر ربيع الآخر و كان فيه شجاعة و عنده كرم و تعصّب لمن يلوذ به.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٢٩٦

و توفّى الشيخ الإمام عزّ الدين عبد العزيز بن عبد الحق الأسيوطى الشافعى فى يوم الأحد عاشر ذى القعدة بعد ما تصدّر للاشتغال و الإفتاء عدّة ستين و درّس بعدّة مدارس و كان من أعيان الشافعية.

و توفى الأمير زين الدين زبالة الفارقانىّ نائب قلعة دمشق بها فى شعبان.

و توفى السلطان الملك المعزّ حسين بن أويس ابن الشيخ حسن بن حسين ابن آقبغا بن أيلكان المنعوت بالشيخ حسين سلطان بغداد و تبريز و ما والاهما و كان سبط ألقان أرغون بن بو سعيد ملك التتار. ولى سلطنة بغداد فى حياة أبيه، لأن والده أويسا، كان رأى مناما يدلّ على موته فى يوم معين، فاعتزل الملك و سلطن ولده هذا و قد تقدّم ذكره فى ترجمة والده المذكور فى سنة ست و سبعين و سبعمائة. و دام الشيخ حسين هذا فى الملك إلى أن قتله أخوه السلطان أحمد ابن أويس و ملك بغداد بعده بإشارة خجاشيخ الكججانىّ فى هذه السنة. و كان الشيخ حسين هذا ملكا شابا جميلا جليلا شجاعا مقداما كريما محبّبا للرعية كثير البر قليل الطمع؛ و لقد كانت العراق فى أيامه مطمئنة معمورة إلى أن ملكها أخوه أحمد بعده فاضطربت أحوالها إلى أن قتل، ثم ملكها قرا يوسف و أولاده، فكان خراب العراق على أيديهم. و بالجملة فكان الشيخ حسين هذا هو آخر ملوك بغداد و العراق.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ستة أذرع و نصف. مبلغ الزيادة عشرون ذراعا و ثلاثة أصابع. و هى سنة الغرقى لعظم زيادة النيل.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٢٩٧

[ما وقع من الحوادث سنة ٧٨٥]

السنة الثانية من سلطنة الملك الظاهر برقوق الأولى على مصر و هى سنة خمس و ثمانين و سبعمائة.

و فيها توفّى الأديب المقرئ الفاضل شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يحيى ابن مخلوف بن مرّ بن فضل اللّه بن سعد بن ساعد السعدىّ الأعرج الشاعر المشهور. كان لديه فضيلة و علا قدره على نظم الشّعر، و كان عارفا بالقراءات، و قال الشعر و سنّه دون العشرين سنة. و من شعره رحمه اللّه: [الكامل]

إنّ الكريم إذا تنجّس عرضه لو طهّروه بزمزم لم يطهر

ممّا اعتراه من القذاوة و القذى لم ينق من نجس بسبعة أبحر

و توفى الأمير عز الدين أيدمر بن عبد اللّه من صديق المعروف بالخطائى و هو مجرّد بالإسكندرية، كان أحد أمراء الطبلخانات بالديار المصرية و رأس نوبة، و كان ممن انضمّ على الأمير بركة الجوبانىّ، فقبض عليه برقوق و حبسه مدّة ثم أفرج عنه و أعاده على إمرته إلى أن مات. و خلّف موجودا كبيرا استولى عليه ناظر الخاص.

و توفّى الأمير سيف الدين بلاط بن عبد اللّه السّيفى المعروف بالصغير أمير سلاح و هو بطرابلس فى جمادى الأولى، و كان حيثما و قورا مشكور السيرة.

و توفى الأمير سيف الدين تمربای بن عبد اللّه الأفضلیّ الأشرفیّ نائب صفد بها فى جمادى الأولى، و كان من أعيان المماليك الأشرفية و قد تقدّم أنّه ولى نيابة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٢٩٨

حلب و غيرها، ثم عزله الملك الظاهر فنقله فى عدة بلاد إلى أن ولّاه نيابة صفد، فمات بها.

و توفّى الشيخ الإمام علم الدين سليمان بن شهاب الدين أحمد بن سليمان بن عبد الرحمن [بن أبى الفتح بن هاشم] العسقلانىّ الحنبلیّ، أحد فقهاء الحنابلة فى ثالث [عشرين] جمادى الآخرة.

و توفى قاضى قضاه الشافعية بدمشق ولیّ الدين عبد اللّه ابن قاضى القضاة بهاء الدين أبى البقاء محمد بن عبد البر بن يحيى بن على بن تمّام السبكى الشافعى بها فى هذه السنة.

و توفى الأمير سيف الدين قطلوبغا بن عبد اللّه الكوكانیّ حاجب حجّاب دمشق فى سادس المحرّم. و كان أصله من مماليك الأمير كوكاى، و ترقى إلى أن صار من جملة أمراء الألوف بالديار المصرية، ثم ولى إمرة سلاح، ثم نقل إلى حجوبية الحجّاب فى أوّل سلطنة الملك الظاهر برقوق عوضا عن سودون الفخریّ الشيخونیّ بحكم انتقال سودون إلى نيابة السلطنة بالديار المصرية، فدام قطلوبغا هذا فى وظيفة الحجوبيّة إلى أن مات و شغرت الوظيفة و هى الحجوبية من بعده أربع سنين إلى أن وليها أيدكار العمریّ.

و توفّى الأمير سيف الدين أرغون بن عبد اللّه دوادار الأمير الكبير طشتمر العلائیّ فى هذه السنة. و كان من جملة أمراء الطبلخانات بديار مصر، و كان عارفا عاقلا مدبّرا و له وجاهة فى الدول.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٢٩٩

و توفّى الأمير شرف الدين موسى بن دندار بن قرمان أحد أمراء الطبلخانات فى ليلة الأربعاء العشرين من جمادى الأولى.

و توفى مستوفى ديوان المرتجع أمين الدين عبد اللّه المعروف بجعيص الأسلمیّ فى [ثالث عشر] المحرّم. كان من أعيان الكتّاب القبطيّة.

و توفى القاضى شرف الدين موسى ابن القاضى بدر الدين محمد بن محمد ابن العلّامة شهاب الدين محمود الحلبى الحنبلى، أحد موقّعى الدّست بمدينة الرّملة عائدا من القاهرة إلى دمشق فى رابع عشرين صفر، و كان من بيت كتابة و فضل.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ثمانية أذرع سواء. مبلغ الزيادة تسعة عشر ذراعا و أربعة عشر إصبعا. و اللّه تعالى أعلم.

[ما وقع من الحوادث سنة ٧٨٦]

السنة الثالثة من سلطنة الملك الظاهر برقوق الأولى على مصر و هى سنة ست و ثمانين و سبعمائة.

فيها توفّى الأمير سيف الدين بهادر بن عبد اللّه الجمالیّ المعروف بالمشرف، أحد أمراء الألوف بالديار المصرية و أمير حاج المحمل فى ذى القعدة بعيون القصب من طريق الحجاز و بها دفن و قبره معروف هناك. و كان مشكور السيرة، ولى إمرة الحاج غير مرّة. رحمه اللّه تعالى.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٣٠٠

و توفّى قاضى القضاة علم الدين أبو الربيع سليمان بن خالد بن نعيم بن مقدم ابن محمد بن حسن بن غانم بن محمد الطائى البساطیّ المالكى قاضى قضاة المالكية بالديار المصرية و هو معزول فى يوم الجمعة سادس عشر صفر و قد أناف على الستين سنة، و أصل آبائه من قرية شبرا بسيون بالغربية من أعمال القاهرة و ولد هو ببساط و كان فقيها فاضلا بارعا ولى قضاء مصر فى الدولة الأشرفيّة شعبان عوضا عن بدر الدين الإخنائیّ، بعد عزله و باشر بعفّة و تقشّف و اطّراح التكلّف، حتى عزل فى سنة ثلاث و ثمانين و لزم داره حتى مات.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۱، ص: ۳۰۱

و توفى الأمير سيف الدين طنج المحمّدى أحد أمراء الألوف بالديار المصرية، بعد أن أخرج منفيّا إلى دمشق، فمات بها و كان من أعيان الأمراء.

و توفى العلّامة أوحد الدين عبد الواحد بن إسماعيل بن ياسين الحنفى المصرى المولد و الدار و الوفاة، كاتب السر الشريف بالديار المصرية فى يوم السبت ثانى ذى الحجّة. و كان فقيها فاضلا عالما مفتنّا مشاركا فى عدّة علوم مع رياسة و حشمة، خدم عند الملك الظاهر برقوق موقّعا، فلمّا تسلطن ولّاه كتابة السر بالديار المصرية، فى شوّال سنة أربع و ثمانين و سبعمائة، بعد عزل القاضى بدر الدين محمد بن فضل اللّه فباشر الوظيفة بحرمة وافرة و حسنت سيرته و عظم فى الدولة، فعاجلته المنيّة و عمره سبع و ثلاثون سنة فى عنفوان شبيبته و أعيد بدر الدين بن فضل اللّه من بعده إلى كتابة السر.

و توفّى القاضى تقىّ الدين عبد الرحمن ابن القاضى محب الدين محمد بن يوسف ابن أحمد بن عبد الدائم [التّيمىّ] الحلبى الأصل المصرى الشافعى ناظر الجيوش المنصورة فى ليلة الخميس سادس عشر جمادى الأولى. و سبب موته أن الملك الظاهر برقوقا غضب عليه بسبب إقطاع زامل أمير العرب و ضربه بالدواة ثم مدّه و ضربه نحو ثلاثمائة عصاة، فحمل إلى داره فى محفّة و مات بعد ثلاثة أيام أو أكثر.

و توفّى الأمير جمال الدين عبد اللّه ابن الأمير بكتمر الحسامىّ الحاجب أحد أمراء الطبلخاناه فى يوم الأربعاء خامس عشر جمادى الأولى بداره خارج باب النصر.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۱، ص: ۳۰۲

و توفى الأمير علاء الدين على بن أحمد بن السائس الطّيبرسىّ أستادار خوند بركة أمّ الملك الأشرف شعبان فى سادس شوّال و كان من أعيان رؤساء الديار المصرية و له ثروة.

و توفى العلّامة قاضى القضاة صدر الدين محمد ابن قاضى القضاة علاء الدين على ابن منصور الحنفى قاضى قضاة الديار المصرية، و هو قاض فى يوم الاثنين عاشر شهر ربيع الأوّل و قد أناف على ثمانين سنة فى ولايته الثانية و تولّى القضاء عوضه قاضى القضاة شمس الدين الطرابلسىّ و تولى مشيخة الصرغتمشيّة من بعده العلّامة جلال الدين التبانىّ. قال العينى- رحمه اللّه- كان إماما عالما فاضلا كاملا بحرا فى فروع أبى حنيفة مستحضرا قويّا، و كان ريّض الخلق كثير التواضع و الحلم ليّن الجانب جميل المعاشرة حسن المحاضرة و المذاكرة معتمدا على جانب الصدق فى أقواله و أفعاله سعيدا فى حركاته و سكناته. رحمه اللّه تعالى.

و توفّى العلّامة إمام عصره و وحيد دهره و أعجوبة زمانه أكمل الدين محمد بن محمد بن محمود الرومى البابرتىّ الحنفىّ شيخ خانقاة شيخون فى يوم الجمعة تاسع عشر شهر رمضان و حضر السلطان الملك الظاهر الصلاة عليه و مشى أمام نعشه من مصلّاة المؤمنىّ إلى أن وقف على دفنه بقبّة الشيخونيّة، بعد أن همّ على أن يحمل نعشه غير مرة فتحمّله أكابر الأمراء عنه. كان واحد زمانه فى المنقول و المعقول و نالته السعادة و الحاه العريض حتى إن الملك الظاهر برقوقا مع عظمته كان ينزل فى موكبه و يقف على باب خانقاه شيخون، حتى يتهيّأ الشيخ أكمل الدين للركوب

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۱، ص: ۳۰۳

و يركب و يسير مع الملك الظاهر، وقع له ذلك معه غير مرّة و هو الذى كان سببا لقيام الملك الظاهر برقوق للقضاة، فإنه كان يقوم له إذا دخل عليه و لا يقوم للقضاة، لما كانت عادة الملوك من قبله فكلّمه الشيخ أكمل الدين هذا فى القيام للقضاة، حتى قام لهم و صارت عادة إلى يومنا هذا. و بعد موته جلس الشيخ سراج الدين البلقينىّ عن يمين السلطان، و قد استوعبنا أحواله فى المنهل الصافى بأطول من هذا.

و توفّى قاضى مكّة و خطيبها كمال الدين أبو الفضل محمد بن أحمد بن على العقيلىّ النّويرى الشافعى بمكة فى يوم الأربعاء ثالث

عشر شهر رجب.

و توفّى عالم بغداد شمس الدين محمد بن يوسف بن على [بن] الكرمانىّ البغدادى الشافعىّ شارح البخارى فى المحرّم بطريق الحجاز و حمل إلى بغداد و دفن بها. و مولده فى جمادى الآخرة سنة سبع عشرة و سبعمائة و كان قدم مصر و الشام. رحمه اللّه.

و توفّى صائم الدهر الشيخ محمد بن صديق التّبريزىّ الصوفىّ فى ليلة الاثنين خامس عشر شهر رمضان بالقاهرة، أقام [نيّفا و] أربعين سنة يصوم (الدهر ۵) و يفطر على حمّص بفلس لا يخلطه إلا بالملح فقط. و كان على قدم هائل من العبادة.

و توفّى الأمير الطواشى شبل الدولة كافور بن عبد اللّه الهندى الزّمرّدى الناصرى حسن فى ثامن شهر ربيع الأول و قد عمّر طويلا و هو صاحب التربة بالقرافة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٣٠۴

و توفّى الأمير الكبير سيف الدين طشتمر بن عبد اللّه العلائىّ الدوادار. كان من أجلّ الأمراء و هو أوّل دوادار وليها بتقدمة ألف، ثم ولى نيابة الشام ثم أتابك العساكر بالديار المصرية إلى أن ركب عليه الملك الظاهر برقوق قبل سلطنته و قبض عليه و حبسه مدّة و ولى الأتابكيّة من بعده ثم أخرجه إلى القدس بطّالا، ثم ولاه نيابة صفد ثم حماة إلى أن مات. و كان ديّنا خيّرا و له مشاركة فى فنون و فيه محبة لأهل العلم و الفضل و كان يكتب الخطّ المنسوب و يحب الأدب و الشعر.

و توفّى تاج الدين موسى بن سعد اللّه بن أبى الفرج ناظر الخاصّ و هو معزول و كان يعرف بابن كاتب السعدىّ و كان من أعيان الأقباط.

و توفّى تاج الدين بن وزير بيته الأسلمىّ ناظر الإسكندرية بها فى شهر ربيع الآخر.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ثمانية أذرع و ثمانية أصابع.

مبلغ الزيادة تسعة عشر ذراعا و ثمانية أصابع.

[ما وقع من الحوادث سنة ٧٨٧]

السنة الرابعة من سلطنة الملك الظاهر برقوق الأولى على مصر و هى سنة سبع و ثمانين و سبعمائة.

و فيها توفّى قاضى قضاة الحنفية بحلب تاج الدين أحمد بن شمس الدين محمد ابن محمد بدمشق فى هذه السنة، و كان فقيها فاضلا محدثا أديبا شاعرا و مات عن سنّ عالية.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٣٠۵

و توفّى القاضى جمال الدين إبراهيم ابن قاضى قضاة حلب ناصر الدين محمد ابن قاضى قضاة حلب كمال الدين عمر ابن قاضى قضاة حلب عز الدين [أبى البركات] عبد العزيز ابن الصاحب فخر الدين محمد ابن قاضى القضاة نجم الدين [أبى الحسن] أحمد ابن قاضى القضاة جمال الدين [أبى الفضل] هبة اللّه ابن قاضى قضاة حلب محب الدين محمد ابن قاضى قضاة حلب جمال الدين هبة اللّه ابن قاضى قضاة حلب محب الدين أبى غانم محمد ابن قاضى قضاة حلب جمال الدين هبة اللّه ابن القاضى نجم الدين أحمد بن يحيى بن زهير بن هارون بن موسى بن عيسى بن عبد اللّه بن محمد ابن عامر بن أبى جرادة بن ربيعة الحنفى المعروف بآبن العديم. مات عن نيّف و سبعين سنة.

قلت: هو من بيت علم و رياسة و قد تقدّم ذكر جماعة من أقار به و يأتى أيضا ذكر جماعة منهم، كلّ واحد فى محلّه، إن شاء اللّه تعالى.

و توفّى رئيس التّجّار زكىّ الدين أبو بكر بن علىّ الخرّوبىّ المصرىّ بمصر القديمة فى يوم الخميس تاسع عشر المحرّم و خلّف مالا كبيرا.

و توفّى الأمير فخر الدين عثمان بن قارا بن [حيّار] بن مهنّا بن عيسى بن مهنّا أمير آل فضل بالبلاد الشامية فى شهر ربيع الأوّل و كان من أجلّ ملوك العرب.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٣٠۶

و توفّى الأمير سيف الدين قرا بلاط بن عبد اللّه الأحمدى اليلبغاوىّ نائب الإسكندرية بها فى [نصف] شهر ربيع الآخر. و كان من أكابر مماليك الأتابك يلبغا العمرى الخاصّكى.

و توفّى الشيخ الإمام العالم نجم الدين أحمد بن عثمان بن عيسى بن حسن بن حسين ابن عبد المحسن الراسوفىّ الدمشقى الشافعىّ المعروف بابن الحبّال فى جمادى الآخرة،- بعد عوده من مصر- بدمشق. و كان فقيها عالما متبحّرا فى مذهبه، انتهت إليه رياسة مذهب الشافعىّ بدمشق فى زمانه و تصدّى للإفتاء و التدريس و الإشغال سنين عديدة.

و توفّى السيد الشريف شمس الدين أبو المجد محمد بن النقيب جمال الدين أحمد ابن النقيب شمس الدين محمد بن أحمد الحرّانى الحلبى الحنفى عن سبع و أربعين سنة و لم يل نقابة الأشراف.

و توفّى الشيخ الأديب شهاب الدين أحمد بن عبد الهادى بن أحمد المعروف بالشاطر الدمنهورىّ الشاعر المشهور بعقبة أيلا متوجّها إلى الحجاز الشريف، فى العشر الأول من ذى القعدة. و مولده فى سنة ثلاث و أربعين و سبعمائة. و كان أديبا بارعا فاضلا، بارعا فى فنون لا سيّما: فى المترجم و نظم القريض. و من شعره فى مروحة: [الطويل]

و مخطوبة فى الحرّ من كل هاجر و مهجورة فى البرد من كلّ خاطب

إذا ما الهوى المقصور هيّج عاشقا أتت بالهوى الممدود من كل جانب

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٣٠٧

و توفّى الأمير سيف الدين [أحمد] آقبغا بن عبد اللّه الدّوادار فى شهر ربيع الآخر، و كان من المماليك اليلبغاويّة من حزب خشداشية الملك الظاهر برقوق.

و توفى الرئيس شمس الدين محمد بن شهاب الدين أحمد بن سبع العبسىّ مستوفى ديوان الأحباس فى ثامن [عشر] شعبان و كان معدودا من أعيان الديار المصرية.

و توفّى قاضى القضاة زين الدين عبد الرحمن بن رشد المالكىّ، قاضى قضاة حلب بها. و كان معدودا من فقهاء المالكية.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ستة أذرع و أربعة أصابع. مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعا و خمسة عشر إصبعا.

[ما وقع من الحوادث سنة ٧٨٨]

السنة الخامسة من سلطنة الملك الظاهر برقوق الأولى على مصر و هى سنة ثمان و ثمانين و سبعمائة.

فيها توفّى القاضى بدر الدين أحمد بن شرف الدين محمد ابن الوزير الصاحب فخر الدين محمد ابن الوزير الصاحب بهاء الدين على بن محمد بن سليم المعروف بابن حنّاء فى يوم الجمعة تاسع عشرين جمادى الآخرة بمدينة مصر عن نيّف و سبعين سنة.

و كان فقيها عالما مفتنّا أديبا معدودا من فقهاء الشافعية. و من شعره: [الكامل]

هنئت يا عود الأراك بثغره إذ أنت للأوطان غير مفارق

إن كنت فارقت العقيق و بارقاها أنت ما بين العذيب و بارق

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٣٠٨

قلت: و أحسن من هذا قول ابن دمرداش الدّمشقىّ فى المعنى: [الطويل]

أقول لمسواك الحبيب لكى الهنا بلثم فم ما ناله ثغر عاشق

فقال و فى أحشائه حرق الجوى مقالة صبّ للديار مفارق

تذكّرت أوطانى فقلبى كما ترى أعلّله بين العذيب و بارق

و لابن قرناص فى هذا المعنى و هو أيضا فى غاية الحسن: [الطويل]

سألتك يا عود الأراك بأن تعد إلى ثغر من أهوى فقبّله مشفقا

ورد من ثنيّات العذيب منيهلا تسلسل ما بين الأبيرق و النّقا

و توفّى السيد الشريف شهاب الدين أحمد بن عجلان بن رميثة، و اسم رميثة منجد [ابن أبى نمىّ سعد] الحسنىّ المكىّ أمير مكّة فى حادى عشرين شعبان عن نيف و ستين سنة بمكة و دفن بالمعلاة. و كان حسن السّيرة مشكور الطريقة.

و ولى إمرة مكة بعده ابنه محمد بن أحمد بأمر عمّه كبيش بن عجلان.

و توفّى الشيخ عماد الدين إسماعيل أحد الأفراد فى الخطّ المنسوب المعروف بابن الزّمكحل، كان رئيسا فى كتابة المنسوب، كان يكتب سورة الإخلاص على حبة أرز كتابة بيّنة تقرأ بتمامها و كمالها لا ينطمس منها حرف واحد- و كان له بدائع فى فنّ الكتابة و كتب عدّة مصاحف إلى أن مات (و الزّمكحل بزاى مضمومة و ميم مضمومة أيضا و كاف ساكنة و حاء مضمومة مهملة و بعدها لام ساكنة).

و توفّى الأمير سيف الدين جلبان بن عبد اللّه الحاجب أحد أمراء الطبلخانات فى شهر رمضان. و كان عاقلا ساكنا مشكور السيرة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١١، ص: ٣٠٩

و توفى الأمير غرس الدين خليل بن قراجا بن دلغادر أمير التّركمان اليروقية و صاحب أبلستين قتيلا فى الحرب مع الأمير صارم الدين إبراهيم بن همر التّركمانىّ، قريبا من مدينة مرعش عن نيّف و ستين سنة.

و توفّى الأمير سودن العلائىّ نائب حماة قتيلا- فى محاربة التّركمان أيضا. و كان ممن أنشأه الملك الظاهر برقوق و أظنّه من خشداشيّته.

و توفّى الشريف بدر الدين محمد بن عطيفة بن منصور بن جمّاز بن شيحة أمير المدينة النبويّة- على ساكنها أفضل الصلاة و السلام-

و توفى الشيخ الزاهد العابد الصالح شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان القرمىّ الحنفىّ بالقدس الشريف فى صفر. و مولده فى ذى الحجّة سنة ستة و عشرين و سبعمائة. و كان كثير العبادة و التّلاوة للقرآن حتى قيل: إنه قرأ فى اليوم و الليلة ثمانى ختمات.

قلت: هذا شىء من وراء العقل فسبحان المانح.

و توفّى الشيخ الإمام العابد الصالح الورع شمس الدين أبو عبد اللّه محمد بن يوسف بن إلياس القونوىّ الحنفىّ بدمشق عن نيّف و سبعين سنة. و كان إماما عالما زاهدا شديدا فى اللّه. و قدم القاهرة غير مرّة و تصدّى للإقراء و التصنيف سنين عديدة و انتفع الناس به.

و من مصنّفاته المفيدة «شرح تلخيص المفتاح» و «كتاب درر البحار» و نظم فيه فقه الأربعة و «شرح مجمع البحرين» فى الفقه

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١١، ص: ٣١٠

فى عشر مجلّدات، و شرح آخر فى ستة أجزاء، و له: «رسالة فى الحديث» و غير ذلك. رحمه اللّه تعالى.

و توفّى شيخ أهل الميقات ناصر الدين محمد بن الخطائى فى يوم الأربعاء ثالث عشرين شعبان و كان إماما فى وقته.

و توفّى أيضا قرينه فى علم الميقات شمس الدين محمد بن الغزولىّ فى رابع شهر رجب. و كان أيضا من علماء هذا الشأن.

و توفّى ملك الغرب صاحب مدينة فاس و ما والاها السلطان موسى ابن السلطان أبى عنان فارس بن أبى الحسن المرينىّ فى جمادى الآخرة. و أقيم بعده المستنصر محمد بن أبى العباس أحمد المخلوع بن أبى سالم فلم يتم أمره و خلع بعد قليل. و أفيم الواثق محمد بن أبى الفضل ابن السلطان أبى الحسن، كلّ ذلك بتدبير الوزير ابن مسعود و هو يوم ذاك صاحب أمر فاس.

و توفّى القاضى شهاب الدين أحمد بن محمد بن الزّركشى أمين الحكم فجاة بالقاهرة فى ليلة الجمعة تاسع عشر شهر ربيع الأوّل و

اتّهم أنّه سمّ نفسه، حتى مات لمال بقى عليه، فنسأل اللّه تعالى حسن الخاتمة.

و توفّى الأمير أحمد ابن السلطان الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون فى جمادى الآخرة بمجلسه فى قلعة الجبل بالحوش السلطانىّ.

و توفّى قاضى القضاة شمس الدين أبو عبد اللّه محمد بن التّقىّ الحنبلىّ قاضى قضاة الحنابلة بدمشق بها فى هذه السنة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٣١١

و توفّى الأمير شرف الدين موسى المعروف بابن الفافا أستدار الأمير أيتمش البجاسىّ فى تاسع شوال. و كانت لديه فضيلة و له ثروة عظيمة و حشم. و كان من رءوس الظاهرية مذهبا و أثنى عليه الشيخ تقىّ الدين المقريزى. رحمه اللّه.

و توفّى السيد الشريف هيازع بن هبة اللّه الحسنىّ المدنىّ أمير المدينة النبويّة مات و هو فى السجن بثغر الإسكندرية فى شهر ربيع الأوّل.

و توفّى الشيخ شرف الدين صدقة و يدعى محمد بن عمر بن محمد بن محمد العادلىّ شيخ الفقراء القادريّة بالفيوم فى جمادى الآخرة. و كان ديّنا صالحا أحرم مرّة من القاهرة.

و توفّى علم الدين يحيى القبطى الأسلمى ناظر الدولة المعروف بكاتب ابن الدينارى فى شهر ربيع الآخر.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ستة أذرع سواء. مبلغ الزيادة عشرون ذراعا، و قيل: تسعة عشرة ذراعا و سبعة عشرة إصبعا.

[ما وقع من الحوادث سنة ٧٨٩]

السنة السادسة من سلطنة الملك الظاهر برقوق الأولى على مصر و هى سنة تسع و ثمانين و سبعمائة.

و فيها توفّى الأمير سيف الدين طينال بن عبد اللّه المارديني الناصرىّ. كان أصله من مماليك الملك الناصر محمد بن قلاوون و صار فى أيام الملك الناصر حسن أمير مائة و مقدّم ألف بالديار المصرية. ثم نفاه الناصر حسن إلى الشام، فأقام بها إلى أن طلبه الملك الأشرف شعبان و أعاده إلى تقدمة ألف بديار مصر مدّة. ثمّ انتزعه منه و أنعم عليه بإمرة طبلخاناه و جعله نائب قلعة الجبل فدام على ذلك مدّة سنين.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٣١٢

ثم عزله و أخذ الطبلخاناه منه و أنعم عليه بإمرة عشرة و ترك طرخانا إلى أن مات فى شهر رمضان و قد عمّر.

و توفّى الأمير تاج الدين إسماعيل بن مازن الهوّارىّ أمير عرب هوارة ببلاد الصعيد فى هذه السنة و ترك أموالا جمّة.

و توفى الوزير الصاحب شمس الدين إبراهيم المعروف بكاتب أرنان. كان أصله من نصارى مصر و أسلم و خدم فى ديوان الملك الظاهر برقوق فى أيام إمرته، بعد أن باشر عند جماعة كبيرة من الأمراء. و لمّا تسلطن ولّاه الوزارة على كره منه و أحوال الدولة غير مستقيمة، فلما وزّر نفّذ الأمور و مشّى الأحوال مع وفور الحريّة و نفوذ الكلمة و التقلّل فى الملبس بحيث إنه كان مثل أوساط الكتاب و دخل الوزارة و ليس للدولة حاصل من عين و لا غلّة و قد استأجر الأمراء النواحى بأجرة قليلة، و كفّ أيدى الأمراء عن النواحى و ضبط المتحصّل و جدّد مطابخ السكّر و مات و الحاصل فيه ألف ألف درهم فضة و ثلاثمائة و ستون ألف اردبّ غلّة و ستة و ثلاثون ألف رأس من الغنم و مائة ألف طائر من الإوز و الدّجاج و ألف قنطار من الزيت و أربعمائة قنطار ماء ورد، قيمة ذلك كلّه يوم ذاك خمسمائة ألف دينار، هذا بعد قيامه بكلف الديوان تلك الأيام أحسن قيام.

و توفّى الحافظ صدر الدين سليمان بن يوسف بن مفلح الياسوفىّ الطوسىّ الحنفىّ الشافعىّ بقلعة دمشق قتيلا بها، بعد أن اعتقل بها مدّة فى محنة رمى بها. و كان من الفضلاء العلماء عارفا بالفقه إماما فى الحديث و التفسير عفيفا عن أمور الدنيا.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٣١٣

و توفى الأمير سيف الدين طقتمش بن عبد اللّه الحسنىّ اليلبغاوىّ أحد أمراء الطبلخاناه فى سابع شهر رجب. كان من أعيان مماليك الأتابك يلبغا العمرىّ و ممن قام مع الملك الظاهر برقوق.

و توفّى الشيخ الزاهد الورع أمين الدين محمد بن محمد بن محمد الخوارزمىّ النسفى اليلبغاوى الحنفىّ المعروف بالخلواتىّ فى سابع عشرين شعبان، خارج القاهرة.

و كان ممن جمع بين العلم و العمل.

و توفّى الشيخ الإمام العلامة شمس الدين محمد القرمىّ الحنفىّ قاضى العسكر بالديار المصريّة فى سابع عشرين شهر ربيع الآخر. و كان فاضلا بارعا فى فنون من العلوم و كان خصيصا عند السلطان الملك الأشرف شعبان بن حسين.

و توفى قاضى قضاة المالكيّة بحلب زين الدين أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن الجعيد الشهير بابن رشد المالكىّ المغربىّ السّجلماسىّ، كان من فضلاء السادة المالكية و له مشاركة فى سائر العلوم و أفتى و درّس و تولّى قضاء حلب و حسنت سيرته.

و توفى التاجر نور الدين على بن عنان فى شوّال و كان من أعيان تجّار الكارم بمصر و خلّف مالا كبيرا.

و توفىّ القاضى شمس الدين محمد بن على بن الخشاب الشافعىّ فى شعبان و كان فاضلا عالما محدّثا، حدّث عن وزيرة و الحجّار.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٣١٤

و توفى الخطيب البليغ ناصر الدين محمد بن على بن محمد [بن محمد] بن هاشم ابن عبد الواحد بن عشائر الحلبى الشافعىّ بالقاهرة فى ليلة الأربعاء سادس عشرين شهر ربيع الآخر. و كان فقيها عالما عارفا بالفقه و الحديث و النحو و الشعر و غيره.

و ولى هو و أبوه خطابة جامع حلب و قدم إلى القاهرة فلم تطل مدّته حتى مات.

و توفى القاضى فتح الدين محمد ابن قاضى القضاة بهاء الدين [عبد اللّه بن] عبد الرحمن بن عقيل الشافعىّ موقّع الدّرج بالديار المصرية فى حادى عشرين صفر و كان معدودا من فضلاء الشافعية.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ستة أذرع و أربعة أصابع. مبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعا و خمسة عشرا إصبعا.

[ما وقع من الحوادث سنة ٧٩٠]

السنة السابعة من سلطنة الملك الظاهر برقوق الأولى على مصر و هى سنة تسعين و سبعمائة.

و فيها توفى قاضى القضاة برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الرحمن بن محمد ابن إبراهيم بن سعد اللّه بن جماعة الكنانى الشافعى قاضى قضاة مصر ثم دمشق بها و هو على قضائها فى ليلة الجمعة ثامن عشر شعبان. و مولده فى سنة خمس و عشرين و سبعمائة. و سمع الكثير بمصر و الشام و برع فى الفقه و العربية و ولى خطابة المسجد الأقصى. ثم ولى القضاء بديار مصر ثم بالشام.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٣١٥

قلت: و هو خلاف قاضى القضاة برهان الدين إبراهيم بن سعد اللّه بن جماعة و هو جدّ عبد الرحمن والد صاحب الترجمة.

و توفّى الشيخ جمال الدين إبراهيم بن محمد بن عبد الرحمن الأميوطى الشافعى بمكة المشرفة فى ثانى شهر رجب بعد أن عمّر و أسمع صحيح مسلم و غيره. و كان فقيها بارعا أفتى و درّس و أشغل سنين.

و توفّى الشيخ المعتقد إسماعيل بن يوسف الإنبابى بزاويته بناحية منبابة فى سلخ شعبان. و كان شيخا معتقدا و له كرامات. و للناس فيه اعتقاد و ظنون حسنة.

ترجمه الشيخ تقىّ الدين المقريزى و قد رآه و حضر عنده و ذكر عن الوقت الذى كان يعمله بزاويته (- أعنى المولد- قبائح كان الإضراب عن ذكرها أليق) و إن كان هو كما قال: مما يقع به من الفساد من المتفرّجين و المترددين، غير أن السكات فى مثل هذا أحسن، كونه رجلا منسوبا إلى الصلاح و من ذريّة الصالحين، على أننى أيضا أنكر هذا الوقت الذى يعمل بالزاوية المذكورة إلى الآن

و إبطاله من أعظم معروف يعمل، لما ترتكب العامّة فيه من الفسق و صار عندهم هذا الوقت من جملة النّزه و يتواعدون عليه من قبل عمله بأيام و يتوجّهون إليه أفواجا. و منهم من له سنين على ذلك و هو لا يعرف باب الزاوية، غير أنه صار ذلك عنده عادة، يتّزه بها هو و من يريد هو و أمثاله ممّن لا خلاق لهم، فلا قوّة إلا بالله ما شاء اللّه كان.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۱، ص: ۳۱۶

و توفّى الأمير سيف الدين بهادر بن عبد اللّه المنجكىّ الأستادار و أحد أمراء الألوف بالديار المصرية فى أوّل جمادى الآخرة. و أصله من مماليك الأمير منجك اليوسفىّ الناصرىّ. و كان الملك الظاهر برقوق لمّا صار بخدمة منجك المذكور بقى بينهما أنسة و صحبة، فلمّا تسلطن برقوق عرف له ذلك و رقّاه حتى ولاه الأستادارية العالية إلى أن مات و تولّى محمود بن على الاستادارية بعده. و كان بهادر عنده معرفة و عقل و سياسة و تدبير، و مات و لم ينتكب كونه كان فيه إحسان للفقراء و الصلحاء و الغرباء و كان له صدقات كثيرة و برّ وافر. و كان أصله روميّا و قيل إفرنجيا و أخذه الأمير منجك.

قلت: و هو أعظم أستدار ولى الأستادارية فى دولة الملك الظاهر برقوق إلى يومنا هذا و أوفرهم حرمة و أوقرهم فى الدول.- رحمه اللّه-.

و توفّى الوزير الصاحب علم الدين بن القسّيس الأسلمى القبطىّ المعروف بكاتب سيدى فى آخر ذى الحجة، بعد أن باشر عدّة وظائف أعظمهم الوزر.

و توفّى الرئيس أمين الدين عبد اللّه بن المجد فضل اللّه بن أمين الدين عبد اللّه أبن ريشة القبطى الأسلمىّ ناظر الدولة فى ليلة الأربعاء سادس جمادى الأولى. و كان معدودا من أعيان الأقباط بالديار المصرية.

و توفّى الأمير سيف الدين سيرج بن عبد اللّه الكمشبغاوىّ نائب قلعة الجبل، فى تاسع عشرين شهر ربيع الآخر و كان من جملة أمراء الطبلخانات و كان وقورا و له وجاهة.

و توفّى الشيخ الإمام العالم العلّامة علاء الدين أحمد بن محمد المعروف بالعلاء السّيرامىّ العجمىّ الحنفىّ شيخ الشيوخ بالمدرسة الظاهرية البرقوقية فى ثالث جمادى

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۱، ص: ۳۱۷

الأولى و كان إماما عالما مقدّما مفتّنا أعجوبة زمانه فى الفقه و فروعه و علمى المعانى و البيان و الأصول. و كان أدرك المشايخ و أخذ عنهم العلوم العقلية و النقلية و برع و درّس و أفتى فى بلاد العجم بمدينة هراة و خوارزم و سراى و قرم و تبريز، حتى شاع ذكره و بعد صيته و لمّا بنى الملك الظاهر مدرسته بين القصرين أرسل يطلبه على البريد حتى قدم فولّاه شيخ شيوخ مدرسته فدام بها إلى أن أدركته المنية و دفن بتربة الملك الظاهر برقوق بالصحراء. و هو أحد من أوصى الملك الظاهر أن يدفن تحت رجليه و يبنى عليه مدرسة ففعل ذلك و كان ديّنا خيّرا عابدا صالحا.

و لمّا مات طلب السلطان الشيخ سيف الدين السّيرامى من حلب و ولّاه عوضه شيخ الظاهرية و هو والد الشيخ نظام الدين يحيى و جدّ الشيخ عضد الدين عبد الرحمن شيخ الظاهرية المذكورة الآن.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة؛ ج ۱۱؛ ص ۳۱۷

توفّى القاضى تقىّ الدين محمد بن محمد بن أحمد بن شاس الماكى أحد أعيان موقّعى الدست بالديار المصرية فى سابع عشر شعبان. و كان كاتبا فاضلا عيّن لكتابة السرّ بديار مصر غير مرّة.

و توفّى الأمير شهاب الدين أحمد بن عمر بن قليج و الى الفيّوم فى هذه السنة.

كان أبوه من أمراء الألوف بالديار المصرية و كذلك جدّه و كان هو من جملة أمراء الطبلخانات. رحمه اللّه تعالى.

و توفّى الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير قطلوبغا المحمدى المعروف بقشقلندق أحد أمراء العشرات فى ثانى جمادى الآخرة و كان

له وجاهة و عنده فروسية.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١١، ص: ٣١٨

و توفّى القاضى عز الدين أبو اليمن محمد بن عبد اللطيف بن الكويك الرّبعى الشافعى فى ثالث عشر جمادى الأولى عن خمس و ستين سنة و كان له سماع و رواية ولديه فضيلة.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم سنة أذرع و ثمانية أصابع. مبلغ الزيادة تسعة عشر ذرعا و أربعة أصابع. و كان الوفاء سابع عشر مسرى أحد شهور القبط.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١١، ص: ٣١٩

[ما وقع من الحوادث سنة ٧٩١]

ذكر سلطنة الملك المنصور حاجى الثانية على مصر

السلطان الملك الصالح ثم المنصور حاجّى ابن السلطان الملك الأشرف شعبان ابن الأمير الملك الأمجد حسين ابن السلطان الملك الناصر محمد ابن السلطان الملك المنصور قلاوون.

و قد تقدّم ذكر نسبه أيضا فى سلطنة الأولى.

و كان سبب عوده للملك أنه لمّا وقع ما حكيناه من خروج الأمير يلبغا الناصرى و تمربغا الأفضلى المدعو منطاش بمن معهما على الملك الظاهر برقوق و وقع ما حكيناه من الحروب بينهم إلى أن ضعف أمر الملك الظاهر و اختفى و ترك ملك مصر و استولى الأمير الكبير يلبغا الناصرى على قلعة الجبل و كلّمه أصحابه على أنه يتسلطن فلم يفعل و أشار بعود الملك الصالح هذا و قال: إن الملك الظاهر برقوقا خلعه بغير سبب و طلب أكابر الأمراء من أصحابه مثل الأمير منطاش المقدم ذكره و الأمير بزلا العمرى الناصرى و الأمير قرادمرداش الأحمدى و غيرهم، و كلّمهم فى عود الملك الصالح الى السلطنة ثانيا فأجاب الجميع و طلعوا من الإسطبل السلطانى إلى الحوش من قلعة الجبل و جلس الأتابك يلبغا الناصرى به و طلب الملك الصالح هذا من عند أهله و قد حضر الخليفة و القضاة و بايعوه بالسلطنة و ألبسوه خلعتها و ركب من الحوش بأبّهة الملك و شعار السلطنة إلى الإيوان بقلعة الجبل و الأمراء المذكورون مشاة بين يديه و أجلسوه على تخت الملك و غيّروا لقبه بالملك المنصور و لم نعلم بسلطان تغيّر لقبه قبله و لا بعده، فإنّه كان لقبه أولا الصالح و صار الآن فى سلطنته

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١١، ص: ٣٢٠

الثانية المنصور و قلده الخليفة أمور الرعية على العادة و قبّل الأمراء الأرض بين يديه و دقّت النواقيس و الكوسات و نودى باسمه بالقاهرة و مصر و بالأمان و الدعاء للملك المنصور ثم للأتابك يلبغا و تهديد من نهب فاطمأنت الناس.

ثم قام الملك المنصور إلى القصر و سائر أرباب الدولة بين يديه و استقرّ الأمير الكبير يلبغا الناصرى أتابك العساكر بالديار المصرية و مدبّر المملكة و صاحب حلّها و عقدها، ففى الحال أمر الناصرى للامير ألطنبغا الأشرفى و الأمير أرسلان اللفاف و قراكسك و الأمير أردبغا العثمانى أن يكونوا عند السلطان الملك المنصور بالقصر، و أن يمنعوا من يدخل عليه من التّركمان و غيرهم. و نزل الأتابك يلبغا الناصرىّ إلى الإسطبل السلطانى حيث هو سكنه و خلع على الأمير حسام الدين حسين بن على ابن الكورانى بولاية القاهرة على عادته أولا فسّر الناس بولايته. و تعيّن الصاحب كريم الدين بن عبد الكريم بن عبد الرزّاق بن إبراهيم بن مكانس مشير الدولة و أخوه فخر الدين عبد الرحمن لنظر الدولة على عادته و أخوهما زين الدين لنظر الجهات، و أعاد جميع المكوس التى أبطلها الملك الظاهر برقوق.

ثم نودى بالأمان للماليك الجراكسة و أن جميع المماليك و الأجناد على حالهم و أنّ الأمير الكبير لا يغيّر على أحد منهم شيئا مما كان فيه و لا يخرج عنه إقطاعه.

ثم فى يوم الأربعاء سادس الشهر قدم الأمير ألطنبغا الجوبانى نائب الشام كان و الأمير الطنبغا المعلم أمير سلاح كان و الأمير قردم الحسنى رأس نوبة النّوب كان من سجن الإسكندرية و طلعوا إلى السلطان و ترحّب بهم الأمير الكبير يلبغا الناصرى.

ثم نودى ثانيا بالقاهرة بأن من ظهر من المماليك الظاهرية فهو على حاله باق على إقطاعه و من اختفى منهم بعد النداء حل ماله و دمه للسلطان.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١١، ص: ٣٢١

ثم رسم الأمير الكبير للامير سودون الفخرى الشيخونى نائب السلطان للديار المصرية بلزوم بيته، و أما محمود الأستادار فإنه توجه إلى كريم الدين بن مكانس و ترامى عليه فتكلم ابن مكانس فى أمره مع الأمير الكبير و أصلح شأنه معه على مال يحمله للامير الكبير يلبغا الناصرى و جمع بينهما فآمنه الناصرى و نزل الى داره.

ثم فى ثامن جمادى الآخرة المذكورة اجتمع الأمراء فى الخدمة السلطانية على العادة، فأغلق باب القلعة و قبض على تسعة من الأمراء المقدّمين و هم: الأمير سودون الفخرى الشيخونى النائب المقدم ذكره و سودون باق و سودون طرنطاى و شيخ الصفوى و قجماس الصالحى ابن عم الملك الظاهر برقوق و أبو بكر بن سنقر و آقبغا الماردينى حاجب الحجاب و بجاس النّوروزى و محمود بن على الأستدار المقدم ذكره أيضا و قبض أيضا على جماعة من أمراء الطبلخانات و هم: عبد الرحمن بن منكلى بغا الشمسى و بورى الأحمدى و تمربغا المنجكى و منكلى الشمسى الطرخانى و محمد بن جمق بن أيتمش البجاسى و جرجى و قرمان المنجكى و حسن خجا و بيبرس التمان تمرى و أحمد الأرغونى و أسنبغا الأرغونى و شادى و قنق باى اللّالا السيفى ألجاى و جرباش الشيخى الظاهرى و بغداد الأحمدى و يونس الرمّاح و برسبغا الخليلى و بطا الطّولوتمرى الظاهرى و نوص المحمدى و تنكز العثمانى و أرسلان اللّفّاف و تنكزبغا السيفى و ألطنبغا شادى و آقبغا اللاجينى و بلاط المنجكى و بجمان المحمدى و ألطنبغا العثمانى و علىّ بن آقتمر من عبد الغنى و إبراهيم بن طشتمر الدوادار و خليل بن تنكزبغا و محمد بن الدوادارى و حسام الدين حسين بن على الكورانى و الى القاهرة و بلبل الرومى الطويل و الطواشى صواب السعدى المعروف بشنكل مقدّم المماليك و الطواشى مقبل الزمام الرومى الدوادارى.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١١، ص: ٣٢٢

ثم قبض على نيّف و ثلاثين أمير عشرة و هم: أزدمر الجركانى و قمارى الجمالى و جلبان أخو مامق و قرطاى السيفى ألجاى اليوسفى و آقبغا بورى الشيخونى و صلاح الدين محمد بن تنكزبغا و عبدوق العلائى و طولوبغا الأحمدى و محمد بن أرغون شاه الأحمدى و إبراهيم ابن الشيخ على بن قرا و غريب بن حاجى و أسنبغا السيفى و أحمد بن حاجّبك بن شادى و آقبغا الجمالى الهيدبانى الظاهرى و أميرزه بن ملك الكرج و جلبان الكمشبغاوى الظاهرى قراسقل و موسى بن أبى بكر بن رسلان أمير طبر و قنق باى الأحمدى و أمير حاج بن أيتمش و كمشبغا اليوسفى و محمد بن آقتمر الصاحبى الحنبلى النائب و آقبغا الناصرى حطب و محمد بن سنقر المحمدى و بهادر الفخرى و محمد بن طغاى تمر النظامى و يونس العثمانى و عمر بن يعقوب شاه و على بن بلاط الكبير و محمد بن أحمد بن أرغون النائب و محمد بن بكتمر الشمسى و ألجيبغا الدوادر و محمد بن يونس الدوادار و خليل بن قرطاى شاد العمائر و محمد بن قرطاى نقيب الجيش و قطلوبك أمير جاندار و على جماعة كبيرة من المماليك الظاهرية.

ثم شفع فيه جماعة من الأمراء فأفرج عنهم: منهم صواب مقدّم المماليك المعروف بشنكل، و الطواشى مقبل الدوادارى الزّمام، و حسين بن الكورانى الوالى و جماعة أخر، و أخرج قجماس ابن عم الملك الظاهر برقوق على البريد إلى طرابلس.

و فيه نودى بالقاهرة و مصر: من أحضر السلطان الملك الظاهر برقوق إلى الأمير الكبير يلبغا الناصرى، إن كان عامّيا خلع عليه و أعطى ألف دينار، و إن كان جنديّا أعطى إمرة عشرة بالديار المصرية، و إن كان أمير عشرة أعطى طبلخاناه، و إن كان طبلخاناه أعطى تقدمة

ألف. و من أخفاه بعد ذلك شنق و حلّ ماله و دمه للسلطان.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۱، ص: ۳۲۳

ثم فى ليلة الجمعة حملوا الأمراء المسجونون بقلعة الجبل إلى ثغر الإسكندريه ما خلا الأمير محمود الأستدار و بقيت المماليك الظاهرية فى الأبراج متفرقة بقلعة الجبل، ثم أطلق الأمير آقبغا الماردينى حاجب الحجّاب، و أخرج من الحرّاقة لشفاعة صهره الأمير أحمد بن يلبغا العمرى أمير مجلس فيه فردّ معه أرسلان اللّفّاف و محمد بن تنكر شفع فيهما أيضا بعض الأمراء.

و فيه أيضا نودى على الملك الظاهر برقوق و هدّد من أخفاه فكثر الدعاء من العامة للملك الظاهر برقوق و كثر الأسف على فقده، و ثقلت أصحاب الناصرى على الناس و نفروا منهم، فصارت العامّة تقول:

راح برقوق و غزلانه، و جاء الناصرى و تيرانه.

ثم قبض الناصرى على الطواشى بهادر الشهابى مقدّم المماليك، كان الذى كان الملك الظاهر عزله من التقدمة و نفاه إلى طرابلس، فحضر مع الناصرى من جملة أصحابه، فاتّهم أنه أخفى الملك الظاهر برقوقا، فنفى إلى المرقب و ختم على حواصله و نفى معه أسنبغا المجنون.

و فى ثانى عشره سجن محمود الأستدار و هو مقيّد بالزردخاناه.

و فيه ألزم الأمير الكبير يلبغا الناصرى حسين بن الكورانى الوالى بطلب الملك الظاهر برقوق و خشّن عليه فى الكلام بسببه، فنزل ابن الكورانى من وقته و كرر النداء عليه بالقاهرة و مصر و هدّد من أخفاه بأنواع العذاب و النّكال.

هذا و قد كثر فساد التركمان أصحاب الناصرى بالقاهرة، و أخذوا النساء من الطرقات و من الحمامات، و لم يتجاسر أحد على منعهم.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۱، ص: ۳۲۴

و فيه قلع العسكر السلاح من عليهم و من على خيولهم، و كانوا منذ دخولهم و هم بالسلاح إلى هذا اليوم.

و فى يوم الثلاثاء ثالث عشر جمادى الآخرة غمر على الملك الظاهر برقوق من بيت أبى يزيد، و أمره: أنه لمّا نزل بالإسطبل بالليل سار على قدميه حتى وصل إلى بيت أبى يزيد أحد أمراء العشرات و اختفى بداره و لم يعرف له خبر، و كثر الفحص عليه من قبل الناصرى و غيره و هجم فى مدّة اختفائه على بيوت كثيرة فلم يقف له أحد على خبر و تكرّر النداء عليه و التهديد على من أخفاه، فخاف الملك الظاهر من أن يدلّ عليه فيؤخذ غصبا باليد فلا يبقى عليه، فأرسل أعلم الأمير ألطنبغا الجوبانى بمكانه فتوجّه إليه الجوبانى و اجتمع به و أخذه و طلع به إلى الناصرى على ما سنذكره.

و قيل غير ذلك؛ و هو أنه لما نزل الملك من الإسطبل السلطانى و معه أبو يزيد المذكور لا غير، تبعه نعمان مهتار الطشتخاناه إلى الرّميلة، فردّه الملك الظاهر، و مضى هو و أبو يزيد حتى قربا من دار أبى يزيد، فتوجّه أبو يزيد قبله، و أخلى له دارا، ثم عاد إليه و أخفاه فيها.

ثم أخذ الناصرىّ يتتبع أثر الملك الظاهر برقوق حتى سأل المهتار نعمان عنه، فأخبره أنه نزل و معه أبو يزيد، و أنه لمّا تبعه ردّه الملك الظاهر، فعند ذلك أمر الناصرى حسين بن الكورانىّ بإحضار أبى يزيد المذكور، فشدّد فى طلبه، و هجم بيوتا كثيرة، فلم يقف له على خبر، فقبض على جماعة من أصحاب أبى يزيد و غلمانه و قرّرهم فلم يجد عندهم علما به، و ما زال يفحص على ذلك حتى دلّه بعض الناس على مملوك أبى يزيد، فقبض عليه، و قبض ابن الكورانى على امرأة المملوك و عاقبها

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۱، ص: ۳۲۵

فدلّته على موضع أبى يزيد و على الملك الظاهر، و أنهما فى بيت رجل خيّاط بجوار بيت أبى يزيد، فمضى ابن الكورانىّ إلى البيت، و بعث إلى الناصرىّ يعلمه، فأرسل إليه الأمراء.

و قيل غير ذلك وجه آخر، و هو أن السلطان الملك الظاهر لمّا نزل من الإسطبل كان ذلك وقت نصف الليل من ليلة الاثنين المقدّم

ذكرها، فسار إلى بحر النيل، و عدّى إلى بحر النيل، و عدّى إلى برّ الجيزة و نزل عند الأهرام، و أقام هناك ثلاثة أيام، ثمّ عاد إلى بيت أبى يزيد المذكور، فأقام عنده إلى يوم الثلاثاء ثالث عشر جمادى الآخرة، فحضر مملوك أبى يزيد إلى الناصرى و أعلمه أن الملك الظاهر فى بيت أستاذه، فأحضر الناصرىّ فى الحال أبا يزيد، و سأله عن الملك الظاهر فاعترف أنه عنده، فأخذه ألطنبغا الجوبانى و سار به إلى البيت الذى فيه الملك الظاهر برقوق، فأوقف أبو يزيد الجوبانى بمن معه، و طلع هو وحده إلى الملك الظاهر و حدّثه الخبر، ثم أذن أبو يزيد للجوبانى، فطلع فلما رآه الملك الظاهر برقوق قام له و همّ بتقبيل يديه فاستعاذ بالله الجوبانى من ذلك، و قال له: ياخوند، أنت أستاذنا و نحن مماليك، و أخذ يسكّن روعه، حتى سكن ما به.

ثم ألبسه عمامة و طيلسانا و أنزله من الدار المذكورة، و أركبه، و أخذه و سار من صليبة ابن طولون نهارا، و شقّ به بين الملأ من الناس إلى أن طلع به إلى الإسطبل السلطانى بباب السلسلة حيث هو سكن الأمير [الكبير] يلبغا الناصرى، فأجلس بقاعة الفضة من القلعة و ألزم أبو يزيد بمال الملك الظاهر الذى كان معه، فأحضر كيسا و فيه ألف دينار، فأنعم به الناصرى عليه، و أخلع عليه، و رتّب الناصرى

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۱، ص: ۳۲۶

فى خدمة الملك الظاهر مملوكين و غلامه المهتار نعمان، و قيّد بفيد ثقيل، و أجرى عليه من سماطه طعاما بكرة و عشيا، ثم خلع الناصرىّ على الأمير حسام الدين حسن الكجكنىّ باستقراره فى نيابة الكرك عوضا عن مأمور القلمطاوىّ.

و رسم بعزل مأمور، و قدومه إلى مصر أمير مائة و مقدّم ألف بها.

هذا بعد أن جمع الناصرى الأمراء من أصحابه و شاورهم فى أمر الملك الظاهر برقوق بعد القبض عليه، فاختلفت آراء الأمراء فيه، فمنهم من صوّب قتله، و هم الأكثر، و كبيرهم منطاش، و منهم من أشار بحبسه و هم الأقل، و أكبرهم الجوبانىّ فيما قيل، فمال الناصرىّ إلى حبسه لأمر يريده اللّه تعالى، و أوصى حسام الدّين الكجكنى به وصايا كثيرة حسب ما يأتى ذكره فى محلّه، فأقام الكجكنى بالقاهرة فى عمل مصالحه إلى يوم تاسع عشر جمادى الآخرة، و سافر إلى محل كفالته بمدينة الكرك.

و عند خروجه قدم الخبر على الناصرى بأن الأمير آقبغا الصغير و آقبغا أستدار آقتمر، اجتمع عليهما نحو أربعمائة مملوك من المماليك الظاهرية ليركبوا على جنتمر نائب الشام و يملكوا منه البلد، فلمّا بلغ جنتمر ذلك ركب بمماليكه و كبسهم على حين غفلة، فلم يفلت منهم إلا اليسير و فيهم آقبغا الصغير المذكور، فسرّ الناصرى بذلك، و خلع على القاصد.

و لمّا وصل هذا الخبر إلى مصر ركب منطاش و جماعة من أصحابه إلى الناصرى و كلّموه بسبب إبقاء الملك الظاهر، و خوّفوه عاقبة ذلك، و لا زالوا به حتى وافقهم على قتله، بعد أن يصل إلى الكرك و يحبس بها، و اعتذر إليهم بأنه إلى الآن لم يفرّق الاقطاعات و الوظائف لاضطراب المملكة، و أنّه ثمّ من له ميل للظاهر فى الباطن

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۱، ص: ۳۲۷

و ربّما يثور بعضهم عند قتله، و هذا شىء يدرك فى أىّ وقت كان، حتى قاموا عنه و نزلوا إلى دورهم.

ثم أخذ الناصرى فى اليوم المذكور يخلع على الأمراء باستقرارهم فى الإمريات و الإقطاعيات، فاستقرّ بالأمير بزلار العمرى الناصرى حسن فى نيابة دمشق، و الأمير كمشبغا الحموى اليلبغاوى فى نيابة حلب، و بالأمير صنجق الحسنىّ فى نيابة طرابلس، و بالأمير شهاب الدين أحمد بن محمد الهيدبانىّ فى حجوبية طرابلس الكبرى.

ثم فى حادى عشرينه عرض الأمير الكبير يلبغا الناصرى المماليك الظاهريّة و أفرد من المستجدّين مائتين و ثلاثين مملوكا لخدمة السلطان الملك المنصور حاجىّ صاحب الترجمة و سبعين من المشتروات أنزلهم بالأطباق و فرّق من بقى على الأمراء، و كان العرض بالإسطبل، و أنعم على كلّ من آقبغا الجمالى الهيدبانىّ أمير آخور و يلبغا السّودونىّ و تنبك اليحياوى و سودون اليحياوى بإمرة عشرة فى حلب، و هؤلاء الأربعة ظاهريّة من خواصّ مماليك الملك الظاهر برقوق، و رسم بسفرهم مع الأمير كمشبغا الحموىّ نائب حلب.

ثم فى ليلة الخميس ثانى عشرين جمادى الاخرة رسم الناصرى بسفر الملك الظاهر برقوق إلى الكرك، فأخرج من قاعة الفضّة فى

ثلث الليل من باب القرافة أحد أبواب القلعة و معه الأمير ألطنبغا الجوبانى، فأركبوه هجينا و معه من مماليكه أربعة مماليك صغار على هجن، و هم قطلوبغا الكركى و بيغان الكركى و آقباى الكركى و سودون الكركى، و الجميع صاروا فى سلطنة الملك الظاهر الثانية بعد خروجه من الكرك أمراء، و سافر معه أيضا مهتاره نعمان، و سار به الجوبانى إلى قبة النصر خارج

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٣٢٨

القاهرة، و أسلمه إلى الأمير سيف الدين محمد بن عيسى العائدى؛ فتوجه به إلى الكرك من على عجرود حتى وصل به إلى الكرك، و سلّمه إلى نائبها الأمير حسام الدين الكجكنى و عاد بالجواب، فأنزل الكجكنى الملك الظاهر بقاعة النحاس من قلعة الكرك، و كانت ابنة الأتابك يلبغا العمرى الخاصّكى أستاذ الملك الظاهر برقوق زوجة مأمور المعزول عن نيابة الكرك هناك، فقامت للملك الظاهر برقوق بكلّ ما يحتاج، كونه مملوك أبيها يلبغا، مع أن الناصرى أيضا مملوك أبيها، غير أنها حبّب إليها خدمة الملك الظاهر، و مدّت له سماطا يليق به، و استمرّت على ذلك أياما كثيرة، و فعلت معه أفعالا، كان اعتادها أيام سلطنته.

ثم إن الكجكنىّ أيضا اعتنى بخدمته لمّا كان أوصاه الناصرىّ به قبل خروجه من مصر، و من جملة ما كان أوصاه الناصرىّ و قرّره معه أنّه متى حصل له أمر من منطاش أو غيره فليفرج عن الملك الظاهر برقوق من حبس الكرك، فاعتمد الكجكنى على ذلك، و صار يدخل إليه فى كل يوم و يتلطّف به و يعده أنه يتوجّه معه إلى التّركمان، فإنّه له فيهم معارف، و حصّن قلعة الكرك و صار لا يبرح من عنده نهاره كلّه، و يأكل معه طرفى النهار سماطه، و لا زال على ذلك حتى أنس به الملك الظاهر و ركن له حسب ما يأتى ذكره.

و أما الناصرىّ فإنه بعد ذلك خلع على جماعة من الأمراء، فاستقرّ بالأمير قطلوبغا الصّفوىّ فى نيابة صفد، و بالأمير بغاجق فى نيابة ملطية، ثم رسم فنودى بالقاهرة بأن المماليك الظاهريّة يخدمون مع نوّاب البلاد الشامية، و لا يقيم أحد منهم بالقاهرة، و من تأخّر بعد النداء حلّ ماله و دمه للسلطان، ثم نودى بذلك من الغد ثانيا.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٣٢٩

و فى رابع عشرينه برز النوّاب إلى الرّيدانيّة للسفر بعد أن أخلع الناصرى على الجميع خلع السفر.

ثم فى سادس عشرينه خلع السلطان الملك المنصور على الأمير يلبغا الناصرى باستقراره أتابك العساكر بالديار المصرية و أن يكون مدبّر المملكة، و على الأمير ألطنبغا الجوبانى باستقراره رأس نوبة الأمراء وظيفة بركة الجوبانى و على الأمير قرادمرداش الأحمدى و استقرّ أمير سلاح، و على الأمير أحمد بن يلبغا و استقرّ أمير مجلس على عادته أوّلا، و على الأمير تمربغا الحسنى، و استقرّ حاجب الحجاب، و خلع على القضاة الثلاثة باستمرارهم، و هم: القاضى شمس الدين محمد الطّرابلسىّ و القاضى جمال الدين عبد الرحمن بن خير المالكى و القاضى ناصر الدين نصر اللّه الحنبلى، و لم يخلع على قاضى القضاة ناصر الدين ابن بنت ميلق الشافعى، لتوعّكه، ثم خلع على القاضى صدر الدين المناوى مفتى دار العدل، و على القاضى بدر الدين محمد بن فضل اللّه كاتب السر الجميع باستمرارهم.

و فى هذا اليوم سافر نوّاب البلاد الشامية، و سافر معهم كثير من التّركمان و اجناد الشام و أمرائها، و فيه نودى أيضا بألّا يتأخر أحد من مماليك الملك الظاهر برقوق إلّا من يكون بخدمة السلطان ممّن عيّن، و من تأخر بعد ذلك شنق، ثم نودى على التركمان و الشاميين و الغرباء بخروجهم من الديار المصرية إلى بلادهم.

و فى يوم الخميس خلع الناصرى على الأمير آقبغا الجوهرى باستقراره أستادارا، و على الأمير آلابغا العثمانى دوادارا كبيرا، و على الأمير ألطنبغا الأشرفىّ رأس نوبة ثانيا، و هى الآن وظيفة رأس نوبة النّوب، و على الأمير جلبان العلائى حاجبا، و على الأمير بلاط العلائى أمير جاندار، و على شهرى نائب دوركى باستمراره.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٣٣٠

ثمّ فى سلخ جمادى الآخرة فرّق الناصرى المثالات على الأمراء، و جعلهم أربعة و عشرين تقدمة على العادة القديمة، أراد بذلك أن يظهر للناس ما أفسده الملك الظاهر برقوق فى أيام سلطنته من قوانين مصر، فشكره الناس على ذلك.

ثم نودى بالقاهرة بالأمان: و من ظلم من مدّة عشرين سنة فعليه بباب الأمير الكبير يلبغا الناصرىّ، ليأخذ حقّه.

ثم فى يوم السبت أوّل شهر رجب وقف أوّل النهار زامر على باب السلسلة تحت الإسطبل السلطانى، حيث هو سكن الناصرىّ، و زعق فى زمره؛ فلما سمعه الناس اجتمع الأمراء و المماليك فى الحال، و طلعوا إلى خدمة الناصرىّ، و لم يعهد هذا الزّمر بمصر قبل ذلك على هذه الصورة، و ذكروا أنها عادة ملوك التتار إذا ركبوا يزعق هذا الزامر بين يديه، و هو عادة أيضا فى بلاد حلب، فاستغرب أهل مصر ذلك و استمرّ فى كلّ يوم موكب.

و فيه أيضا رسم الناصرىّ أن يكون رءوس نوب السّلاحداريّة و السّقاة و الجمداريّة ستّة لكل طائفة على ما كانوا أوّلا قبل سلطنة الملك الأشرف شعبان بن حسين، فإن الأشرف هو الذى استقرّ بهم ثمانية، و خلع الناصرى على قطلوبغا الفخرى باستقراره نائب قلعة الجبل عوضا عن الأمير بجاس.

و فى خامسه قدم الأمير نعير بن حيّار بن مهنّأ ملك العرب إلى الديار المصرية، و لم يحضر قطّ فى أيام الملك الظاهر برقوق، و قصد بحضوره رؤية الملك المنصور

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١١، ص: ٣٣١

و تقبيل الأرض بين يديه، فخلع السلطان عليه، و نزل بالميدان الكبير من تحت القلعة، و أجرى عليه الرّواتب.

و فيه خلع على الأمير آلابغا العثمانى الدوادار الكبير باستقراره فى نظر الأحباس مضافا لوظيفته، و قرقماس الطّشتمرى و استمرّ خازندارا.

و فى ثامنه خلع على الأمير نعير خلعة السفر و أنعم على الطواشى صواب السعدى شنكل بإمرة عشرة، و استرجعت منه إمرة طبلخاناه، و لم يقع مثل ذلك أن يكون مقدّم المماليك أمير عشرة.

و فيه خلع السلطان الملك المنصور على شخص و عمله خيّاط السلطان، فطلبه الناصرى و أخذ منه الخلعة، و ضربه ضربا مبرّحا، و أسلمه لشادّ الدواوين، ثم أفرج عنه بشفاعة الأمير أحمد بن يلبغا أمير مجلس، فشقّ ذلك على الملك المنصور، فقال:

إذا لم ينفّذ مرسومى فى خيّاط فما هذه السلطنة؟ ثمّ سكت على مضض.

و فى أوّل شعبان أمر المؤذّنون بالقاهرة و مصر أن يزيدوا فى الآذان، إلّا آذان المغرب: الصلاة و السلام عليك يا رسول اللّه عدّة مرّات، و سبب ذلك أن رجلا من الفقراء المعتقدين سمع فى ليلة الجمعة بعد أذان العشاء: الصلاة على النّبىّ صلى اللّه عليه و سلم، و كان العادة فى ليلة الجمعة بعد أذان العشاء يصلّى المؤذنون على النّبىّ صلى اللّه عليه و سلم مرارا على المئذنة، فلمّا سمع الفقير ذلك قال لأصحابه الفقراء:

أ تحبون أن تسمعوا هذا فى كل أذان؟ قالوا: نعم، فبات تلك الليلة، و أصبح و قد زعم أنّه رأى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلّم فى منامه يأمره أن يقول لمحتسب القاهرة نجم الدين الطّنبدى أن يأمر المؤذنين أن يصلّوا على النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم عقيب كلّ أذان، فمشى الشيخ إلى المحتسب المذكور و قصّ عليه ما رآه، فسّره ذلك، و أمر به فبقى إلى يومنا هذا.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١١، ص: ٣٣٢

ثم إن الناصرىّ أنزل السبعين الذين قرّرهم بالأطباق من مماليك برقوق و فرّقهم على الأمراء، و رسم أيضا بإبطال المقدّمين و السوّاقين من الطّواشيّة، و نحوهم، و أنزلهم من عند الملك المنصور، فاتّضح أمر السلطان الملك المنصور، و عرف كلّ أحد أنه ليس له أمر و لا نهى فى المملكة.

ذكر ابتداء الفتنة بين الأمير الكبير يلبغا الناصرى و بين الأمير تمربغا الأفضلىّ المدعو منطاش:

و لمّا كان سادس عشر شعبان أشيع فى القاهرة بتنكّر منطاش على الناصرىّ، و انقطع منطاش عن الخدمة، و أظهر أنه مريض، ففطن الناصرىّ بأنه يريد يعمل مكيدة، فلم ينزل لعيادته، و بعث إليه الأمير ألطنبغا الجوبانى رأس نوبة كبيرا فى يوم الاثنين سادس عشر

شعبان المذكور ليعوده فى مرضه، فدخل عليه، و سلّم عليه، و قضى حقّ العيادة، و همّ بالقيام، فقبض عليه منطاش و على عشرين من مماليكه، و ضرب قرقماس دوادار الجوبانى ضربا مبرّحا، مات منه بعد أيام.

ثم ركب منطاش حال مسكه للجوبانىّ فى أصحابه إلى باب السلسلة و أخذ جميع الخيول التى كانت واقفة على باب السلسلة و أراد اقتحام الباب ليأخذ الناصرىّ على حين غفلة، فلم يتمكّن من ذلك، و أغلق الباب، و رمى عليه مماليك الناصرىّ من أعلى السور بالنّشّاب و الحجارة، فعاد إلى بيته و معه الخيول، و كانت داره دار منجك اليوسفىّ التى اشتراها تمربغا الظاهرىّ الدوادار و جدّدها بالقرب من مدرسة السلطان حسن، و نهب منطاش فى عوده بيت الأمير آقبغا الجوهرىّ الأستدار و أخذ خيوله و قماشه.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٣٣٣

ثمّ رسم منطاش فى الوقت لمماليكه و أصحابه بالطلوع إلى مدرسة السلطان حسن، فطلعوا إليها و ملكوها، و كان الذى طلع إليها الأمير تنكزبغا رأس نوبة و الأمير أزدمر الجوكندار دوادار الملك الظاهر برقوق فى عدّة من المماليك، و حمل إليها منطاش النّشّاب و الحجارة، و رموا على من كان بالرّميلة من أصحاب الناصرىّ من أعلى المئذنتين و من حول القبّة، فعند ذلك أمر الناصرىّ مماليكه و أصحابه بلبس السلاح و هو يتعجّب من أمر منطاش كيف يقع منه ذلك و هو فى غاية من قلّة المماليك و أصحابه، و بلغ الأمراء ذلك، فطلع كلّ واحد بمماليكه و طلبه إلى الناصرىّ.

و أمّا منطاش فإنّه أيضا تلاحقت به المماليك الأشرفيّة خشداشيته و المماليك الظاهرية، فعظم بهم أمره، و قوى جأشه، فأمّا مجىء الظاهريّة إليه فرجاء لخلاص أستاذهم الملك الظاهر برقوق و الأشرفية، فهم خشداشيّته، لأن منطاش كان أشرفيّا و يلبغا الناصرىّ يلبغاويّا خشداشا لبرقوق، و انضمت اليلبغاويّة على الناصرى و هم يوم ذاك أكابر الأمراء و غالب العسكر المصرى، و تجمّعت المماليك على منطاش حتى صار فى نحو خمسمائة فارس معه، بعد ما كان سبعون فارسا فى أوّل ركوبه، ثم أتاه من العامّة عالم كبير، فترامى الفريقان و اقتتلا.

و نزل الأمير حسام الدّين حسين بن الكورانى والى القاهرة و الأمير مأمور حاجب الحجاب من عند الناصرىّ، و نودى فى الناس بنهب مماليك منطاش، و القبض على من قدروا عليه منهم، و إحضاره إلى الناصرىّ فخرج عليهما طائفة من المنطاشيّة فضربوهما و هزموهما، فعادوا إلى الناصرى، و سار الوالى إلى القاهرة، و أغلق أبوابها: و اشتدّ الحرب، و خرج منطاش فى أصحابه، و تقرّب من العامّة، و لا طفهم

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٣٣٤

و أعطاهم الذهب، فتعصّبوا له و تزاحموا على التفاط النّشّاب الذى يرمى به من أصحاب الناصرىّ على منطاش و أتوه به، و بالغوا فى الخدمة لمنطاش، حتى خرجوا عن الحدّ، فكان الواحد منهم يشب فى الهواء حتى يخطف السهم قبل أن يأخذه غيره، و يأتى به منطاش و طائفة منهم تنقل الحجارة إلى أعلى المدرسة الحسنيّة، و استمرّوا على ذلك إلى الليل، فبات منطاش ليلة الثلاثاء سابع عشر شعبان على باب مدرسة السلطان حسن المذكورة و الرمى يأتيه من القلعة من أعوان الناصرى.

هذا و المماليك الظاهريّة تأتيه من كلّ فجّ، و هو يعدهم و يمنّيهم حتى أصبح يوم الثلاثاء و قد زادت أصحابه على ألف فارس، كلّ ذلك و الناصرى لا يكترث بأمر منطاش، و يصلح أمره على التراخى استخفافا بمنطاش و حواشيه، يحرّضه على سرعة قتال منطاش و يحذّرونه التهاون فى أمره.

ثمّ أتى منطاش طوائف من مماليك الأمراء و البطّالة و غيرهم شيئا بعد شىء، فحسن حاله بهم، و اشتدّ بأسه، و عظمت شوكته بالنسبة لما كان فيه أوّلا، لا بالنسبة لحواشى الناصرىّ و مماليكه، فعند ذلك ندب الناصرىّ الأمير بجمان و الأمير قرابغا الأبوبكرى فى طائفة كبيرة و معهم المعلّم شهاب الدين أحمد بن الطّولونى المهندس و جماعة كبيرة من الحجّارين و النقّابين لينقبوا بيت منطاش من ظهره حتى يدخلوا منه إلى منطاش و يقاتلوه من خلفه و الناصرى من أمامه، ففطن منطاش بهم، فأرسل إليهم فى الحال عدّة من جماعته

قاتلوهم حتى هزموهم، و أخذوا قرابغا و أتوا به إلى منطاش، فرتّب عدّة رماة على الطبلخاناه السلطانية، و على المدرسة الأشرفيّة التى هدمها الملك الناصر فرج، و جعل الملك المؤيّد مكانها

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٣٣٥

بيمارستانا فى الصوّة، فرموا على منطاش بالمدافع و النّشّاب، فقتل عدّة من العوامّ، و جرح كثير من المنطاشية، هذا و قد انزعج الناصرى و قام بنفسه و هيّأ أصحابه لقتال منطاش، و ندب من أصحابه من أكابر الأمراء جماعة لقتاله، و هم الأمير أحمد بن يلبغا أمير مجلس، و الأمير جمق ابن الأتابك أيتمش البجاسىّ فى جمع كبير من المماليك، فنزلوا و طردوا العامّة من الرّميلة، فحملت العامّة من أصحاب منطاش عليهم حملة واحدة هزموهم فيها أقبح هزيمة.

ثم عاد أحمد بن يلبغا المذكور غير مرّة، و استمرّ القتال بينهما إلى آخر النهار و الرّمى و القتال عمّال من القلعة على المدرسة الحسنيّة و من المدرسة على القلعة و بينماهم فى ذلك خرج من عسكر الناصرىّ الأمير آقبغا الماردينىّ بطلبة و صار إلى منطاش فتسلّل الأمراء عنه ذلك واحدا بعد واحد، و كلّ من يأتى منطاش من الأمراء يوكّل به واحد يحفظه و يبعث به إلى داره، و يأخذ مماليكه فيقاتل الناصرى بهم.

فلمّا رأى حسين بن الكورانى الوالى جانب الناصرىّ قد اتضع خاف على نفسه من منطاش و اختفى، فطلب منطاش ناصر الدين محمد بن ليلى نائب حسين ابن الكورانى و ولّاه ولاية القاهرة، و ألزمه بتحصيل النّشّاب، فنزل فى الحال إلى القاهرة، و حمل إليه كثيرا من النشاب.

ثم أمره منطاش فنادى بالقاهرة بالأمان و الاطمئنان و إبطال المكس و الدعاء للأمير الكبير منطاش بالنصر.

هذا و قد أخذ أمر الناصرىّ فى إدبار، و توجّه جماعة كبيرة من أصحابه الى منطاش، فلمّا رأى الناصرىّ عسكره فى قلّة و قد نفر عنه غالب أصحابه، بعث الخليفة المتوكّل على اللّه إلى منطاش يسأله فى الصلح و إحماد الفتنة، فنزل الخليفة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٣٣٦

إليه و كلّمه فى ذلك، فقال له منطاش: أنا فى طاعة السلطان، و هو أستاذى و ابن أستاذى، و الأمراء إخوتى و ما غريمى إلا الناصرىّ، لأنّه حلف لى و أنا بسيواس ثم بحلب و دمشق أيضا بأننا نكون شيئا واحدا، و أن السلطان يحكم فى مملكته بما شاء، فلمّا حصل لنا النصر و صار هو أتابك العساكر، استبد بالأمر، و منع السلطان من التّحكّم، و حجر عليه، و قرّب خشداشيته اليلبغاوية و أبعدنى أنا و خشداشيّتى الأشرفية، ثم ما كفاه ذلك حتى بعثنى لقتال الفلّاحين، و كان الناصرى أرسله من جملة الأمراء إلى جهة الشرقية لقتال العربان، لمّا عظم فساد فلّاحيها.

ثم قال منطاش: و لم يعطنى الناصرى شيئا من المال سوى مائة ألف درهم، و أخذ لنفسه أحسن الإقطاعات و أعطانى أضعفها، و الإقطاع الذى قرّره لى يعمل فى السنة ستمائة ألف درهم، و اللّه ما أرجع عنه حتى أقتله أو يقتلنى، و يتسلطن و يستبدّ بالأمر وحده من غير شريك، فأخذ الخليفة يلاطفه فلم يرجع له، و قام الخليفة من عنده و هو مصمّم على مقالته، و طلع إلى الناصرى و أعاد عليه الجواب.

فعند ذلك ركب الناصرىّ بسائر مماليكه و أصحابه، و نزل بجمع كبير لقتال منطاش و صفّ عساكره تجاه باب السلسلة، و برز إليه منطاش أيضا بأصحابه و تصادما و أقتتلا قتالا شديدا، و ثبت كلّ من الطائفتين ثباتا عظيما، فخرج من عسكر الناصرى الأمير عبد الرحمن ابن الأتابك منكلى بغا الشمسى صهر الملك الظاهر برقوق بمماليكه، و الأمير صلاح الدين محمد بن تنكر نائب الشام، و كان أيضا من خواصّ الملك الظاهر برقوق، و سار صلاح الدين المذكور إلى منطاش و معه خمسة أحمال نشّاب و ثمانون حمل مأكل و عشرة آلاف درهم و انكسر الناصرى و أصحابه و طلع إلى باب السلسلة،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٣٣٧

فتراجع أمره، و انضمّ عليه من بقى من خشداشيته اليلبغاوية، و ندب لقتال منطاش الأمير أحمد بن يلبغا أمير مجلس ثانيا، و الأمير قرادمرداش الأحمدى أمير سلاح، و الأمير ألطنبغا المعلّم، و الأمير مأمور القلمطاوى حاجب الحجّاب، و الجميع يلبغاوية، و نزلوا فى جمع موفور من العسكر و صدموا منطاش صدمة هائلة، و أحمى أظهرهم من فى القلعة بالرمى على منطاش و أصحابه، فأخذ أصحاب منطاش عند ذلك فى الرمى من أعلى المدرسة بالنشّاب و النفط، و التحم القتال، من فوق و من أسفل، فانكسر عسكر الناصرى ثانيا، و انهزموا إلى باب السلسلة.

هذا و العامّة تأخذ النّشّاب من على الأرض و تأتى به منطاش و هو يتقرّب منهم و يترفّق لهم، و يقول لهم: أنا واحد منكم و أنتم إخواننا و أصحابنا، و أشياء كثيرة من هذه المقولة، هذا و هم يبذلون نفوسهم فى خدمته و يتلاقطون النّشّاب من الرّميلة مع شدة رمى الناصرى عليهم من القلعة.

ثم ظفر منطاش بحاصل للأمير جركس الخليلى الأمير آخور و فيه سلاح كثير و مال، و بحاصل آخر لبكلمش العلائى، فأخذ منطاش منهما شيئا كثيرا، فقوى به، فإنّه كان أمره قد ضعف من قلّة السلاح لا من قلّة المقاتلة، لأن غالب من أتاه بغير سلاح.

ثم ندب الناصرىّ لقتاله الأمير مأمورا حاجب الحجّاب و الأمير جمق بن أيتمش و الأمير قراكسك فى عدة كبيرة من اليلبغاوية و قد لاح لهم زوال دولة اليلبغاوية بحبس الملك الظاهر برقوق، ثم بكسرة الناصرىّ من منطاش إن ثم ذلك؛ فنزلوا إلى منطاش و قد بذلوا أرواحهم، فبرز لهم العامة أمام المنطاشية، و أكثروا من رميهم بالحجارة فى وجوههم و وجوه خيولهم حتى كسروهم، و عادوا إلى باب السلسلة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١١، ص: ٣٣٨

كلّ ذلك و الرمى من القلعة بالنّشّاب و النفوط و المدافع متواصل على المنطاشية، و على من بأعلى المدرسة الحسنية، حتى أصاب حجر من حجارة المدفع القبة الحسنية فخرقها، و قتل مملوكا من المنطاشية، فلمّا رأى منطاش شدّة الرمى عليه من القلعة أرسل أحضر المعلّم ناصر الدين محمد بن الطّرابلسى و كان أستاذا فى الرمى بمدافع النّفط، فلمّا حضر عنده جرّده من ثيابه ليوسّطه من تأخّره عنه فآعتذر إليه بأعذار مقبولة، و مضى ناصر الدين فى طائفة من الفرسان و أحضر آلات النفط و طلع على المدرسة و رمى على الإسطبل السلطانى، حيث هو سكن الناصرى حتى أحرق جانبا من خيمة الناصرى و فرّق جمعهم، و قام الناصرىّ و السلطان الملك المنصور من مجلسهما و مضيا إلى موضع آخر امتنعا فيه، و لم يمض النهار حتى بلغت عدّة فرسان منطاش نحو الألفى مقاتل.

و بات الفريقان فى تلك الليلة لا يبطلان الرّمى حتى أصبحا يوم الأربعاء و قد جاء كثير من مماليك الأمراء إلى منطاش، ثم خرج من عسكر الناصرى الأمير تمربغا الحسنىّ حاجب الحجّاب، و الأمير قردم الحسنى رأس نوبة النّوب فى جماعة كبيرة من الأمراء، و صاروا إلى منطاش من جملة عسكره، و غالب هؤلاء الأمراء من اليلبغاوية.

ثم ندب الناصرىّ لقتال منطاش الأمير أحمد بن يلبغا أمير مجلس، و الأمير قرا دمرداش الأحمدى أمير سلاح، و عيّن منهم جماعة كبيرة، فنزلوا و صدموا المنطاشية صدمة هائلة انكسروا فيها غير مرّة، و ابن يلبغا يعود بهم إلى أن ضعف أمره، و انهزم و طلع إلى باب السلسلة، هذا و القوم يتسللون من الناصرى إلى منطاش و العامه تمسك من وجدوه من التّرك و يقولون له: ناصرىّ، أم منطاشىّ فإن قال:

ناصرى أنزلوه من على فرسه و أخذوا جميع ما عليه و أتوا به إلى منطاش.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١١، ص: ٣٣٩

ثم تكاثرت العامة على بيت الأمير أيدكار حتى أخذوه بعد قتال كبير و أتوا به إلى منطاش، فأكرمه منطاش، و بينما هو فى ذلك جاءه الأمير ألطنبغا المعلّم بطلبه و مماليكه، و كان من أجل خشداشية الناصرى و أصحابه، و صار من جملة المنطاشية، فسرّ به منطاش.

ثم عيّن له و لأيدكار موضعا يقفان فيه و يقاتلان الناصرى منه، و بينما منطاش فى ذلك أرسل إليه الأمير قرادمرداش الأحمدى أمير

سلاح يسأله فى الحضور إليه طائعا فلم يأذن له، ثم أتاه الأمير بلّوط الصرغتمشى بعد ما قاتله عدّة مرار و كان من أعظم أصحاب الناصرى.

ثم حضر إلى منطاش جمق بن أيتمش و اعتذر إليه، فقبل عذره، و عظم أمر منطاش، و ضعف أمر الناصرىّ، و اختل أمره و صار فى باب السلسلة بعدد يسير من مماليكه و أصحابه، و ندم الناصرىّ على خلع الملك الظاهر برقوق، و حبسه لمّا علم أن الأمر خرج من اليلبغاوية و صار فى الأشرفية حيث لا ينفعه الندم.

فلمّا أذّن العصر قام الناصرىّ هو و قرادمرداش الأحمدى أمير سلاح و أحمد ابن يلبغا أمير مجلس و آقبغا الجوهرى الأستادار و الابغا العثمانى الدوادار و الأمير قراكسك فى عدّة من المماليك و صعد إلى قلعة الجبل و نزل من باب القرافة، و عند ما قام الناصرىّ من باب السلسلة و طلع القلعة و نزل من باب القرافة أعلم أهل القلعة منطاش فركب فى الحال بمن معه و طلع إلى الإسطبل السلطانىّ و ملكه و وقع النهب فيه فأخذ من الخيل و القماش شيئا كثيرا و تفرّق الدّعر و العامّة إلى بيوت المنهزمين، فنهبوا و أخذوا ما قدروا عليه و منعهم الناس من عدّة مواضع و بات منطاش بالإسطبل.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٣٤٠

و أصبح من الغد و هو يوم الخميس تاسع عشر شعبان، و طلع إلى القلعة إلى السلطان الملك المنصور حاجى و أعلمه بأنه فى طاعته و أنه هو أحقّ بخدمته لكونه من جملة المماليك الذين لأبيه الأشرف شعبان، و أنه يمتثل مرسومه فيما يأمره به و أنه يريد بما فعله عمارة بيت الملك الأشرف- رحمه اللّه- فسرّ المنصور بذلك هو و جماعة الأشرفية، فإنهم كانوا فى غاية ما يكون من الضّيق مع اليلبغاوية من مدّة سنين.

ثم تقدّم الأمير منطاش إلى رءوس النّوب بجمع من المماليك و إنزالهم بالأطباق من قلعة الجبل على العادة، ثم قام من عند السلطان و نزل إلى الإسطبل بباب السلسلة، و كان ندب جماعة للفحص على الناصرى و رفقته، ففى حال نزوله أحضر إليه الأمير أحمد بن يلبغا أمير مجلس، و الأمير مأمور القلمطاوى، فأمر بحبسهما بقاعة الفضّة من القلعة و حبس معهما أيضا الأمير بجمان المحمّدىّ، و كتب منطاش بإحضار الأمير سودون الفحرىّ الشيخونىّ النائب من ثغر الإسكندرية، ثم قدم عليه الخبر بأنّ الأمراء الذين توجّهوا فى أثر الناصرىّ أدركوه بسرياقوس و قبضوا عليه، و بعد ساعة أحضر الأمير يلبغا الناصرىّ بين يديه فأمر به فقيّد و حبس أيضا بقاعة الفضّة، ثم حمل هو و الجوبانىّ فى آخرين إلى سجن الإسكندرية فحبسوهما، و أخذ الأمير منطاش يتتبّع أصحاب الناصرىّ و حواشيه من الأمراء و المماليك.

فلمّا كان يوم عشرين شعبان قبض على الأمير قرادمرداش الأحمدى أمير سلاح فأمر به منطاش فقيّد و حبس ثم قبض منطاش على جماعة كبيرة من الأمراء، و هم: الأمير ألطنبغا المعلّم، و الأمير كشلى القلمطاوى، و اقبغا الجوهرىّ، و ألطنبغا

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٣٤١

الأشرفىّ، و آقبغا العثمانى، و فارس الصرغتمشى، و كمشبغا، و شيخ اليوسفىّ، و عبدوق العلائى، و قيّد الجميع و بعث بهم إلى ثغر الإسكندرية، فحبسوا بها.

ثم فى حادى عشرينه أنعم منطاش على الأمير إبراهيم بن قطلقتمر الخازندار بإمرة مائة و تقدمة ألف، و استقرّ أمير مجلس عوضا عن أحمد بن يلبغا دفعة واحدة من إمرة عشرة، ثم أخلع السلطان الملك المنصور على الأمير منطاش باستقراره أتابك العسكر و مدبّر المملك عوضا عن يلبغا الناصرى المقبوض عليه، ثم كتب منطاش أيضا بإحضار قطلوبغا الصّفوىّ نائب صفد، و الأمير أسندمر الشرفىّ، و يعقوب شاه و تمان تمر الأشرفىّ، و عيّن لكل منهم إمرة مائة و تقدمة ألف بالديار المصرية.

ثم فى ثانى عشرينه قبض على الأمير تمربغا الحسنى حاجب الحجّاب بديار مصر، و على الأمير يلبغا المنجكىّ، و على إبراهيم بن قطلقتمر أمير مجلس الذى ولّاه فى أمسه، ثم أطلقه و أخرجه على إمرة مائة و تقدمة ألف بحلب لأمر اقتضى ذلك.

ثم فى ثالث عشرين شعبان المذكور قبض منطاش على أرسلان اللّفّاف، و على قراكسك السيفىّ، و أيدكار العمرىّ حاجب الحجّاب، و قردم الحسنىّ، و آقبغا المارديني و عدّة من أعيان المماليك اليلبغاوية و غيرهم.

ثم قبض على الطواشى مقبل الزّومىّ الدّوادارى الزّمام، و جوهر اليلبغاوى لالا السلطان الملك المنصور، ثم قبض منطاش على الطواشى صندل الرومىّ المنجكى خازندار الملك الظاهر برقوق و عذّبه على ذخائر برقوق و عصره مرارا حتّى دلّ على شىء كثير، فأخذها منطاش و تقوّى بها.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٣٤٢

و فى ثامن عشرينه وصل سودون الشيخونى النائب من سجن الإسكندريّة فأمره منطاش بلزوم بيته.

ثم أنفق منطاش على من قاتل معه من الأمراء و المماليك بالتدريج، فأعطى لمائة واحد منهم لكل واحد ألف دينار، و أعطى لجماعة أخر لكلّ واحد عشرة آلاف درهم، و دونهم لكل واحد خمسة آلاف درهم، و دونهم لكل واحد ألف درهم، و دونهم لكلّ واحد خمسمائة درهم. و ظهر على منطاش الملل من المماليك الظاهرية و التخوّف منهم، فإنه كان قد وعدهم بأنه يخرج أستاذهم الملك الظاهر برقوق من سجن الكرك إذا انتصر على الناصرىّ، فلم يفعل ذلك، و لا أنعم على واحد منهم بإمرة و لا إقطاع، و إنما أخذ يقرّب خشداشيته و مماليكه و أولاد الناس، فعزّ عليهم ذلك فى الباطن، و فطن منطاش بذلك، فعاجلهم بأن عمل عليهم مكيدة، و هى:

أنه لمّا كان يوم الثلاثاء ثانى شهر رمضان من سنة إحدى و تسعين و سبعمائة المذكورة طلب سائر المماليك الظاهريّة على أنّه ينظر فى أمرهم و ينفق عليهم و يترضّاهم، فلمّا طلعوا إلى القلعة أمر منطاش فأغلق عليهم باب القلعة، و قبض على نحو المائتين منهم.

حدّثنى السّيفى إينال المحمودى الظاهرى قال: كنت من جملتهم، فلمّا وقفنا بين يدى منطاش و نحن فى طمعة النّفقة و الإقطاعات، ظهر لى من وجه منطاش الغدر، فتأخّرت خلف خشداشيتى، فلمّا وقع القبض عليهم رميت بنفسى إلى الميدان، ثم منه إلى جهة باب القرافة، و اختفيت بالقاهرة. انتهى.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٣٤٣

ثم بعث منطاش بالأمير جلبان الحاجب، و بلاط الحاجب، فقبض على كثير من المماليك الظاهريّة، و سجنوا بالأبراج من قلعة الجبل.

قلت: لا جرم، فإنه من أعان ظالما سلّط عليه، و فى الجملة أن الناصرىّ كان لحواشى برقوق خيرا من منطاش، غير أنّه لكل شىء سبب، و كانت حركة منطاش سببا لخلاص الملك الظاهر برقوق، و عوده إلى ملكه على ما سيأتى ذكره، ثم أمر منطاش فنودى بالقاهرة أن من أحضر مملوكا من مماليك برقوق فله كذا و كذا، و هدّد من أخفى واحدا منهم.

قلت: و ما فعله منطاش هو الحزم، فإنّه أزال من يخشاه، و قرّب مماليكه و أصحابه، و كاد أمره أن يتمّ بذلك لو ساعدته المقادير، و كيف تساعده المقادير و قد قدّر بعود برقوق إلى ملكه بحركة منطاش و بركوبه على الناصرىّ.

ثم فى ثالث شهر رمضان قبض منطاش على سودون النائب و ألزمه بمال يحمله إلى خزانته. و فيه شدّد الطلب على المماليك الظاهريّة، و ألزم سودون النائب المتقدّم ذكره بحمل ستمائة ألف درهم كان أنعم عليه بها الملك الظاهر برقوق فى أيام سلطنته.

ثم خلع على حسين ابن الكورانى بعوده إلى ولاية القاهرة، و حرّضه منطاش على المماليك الظاهريّة.

ثم قدمت الأمراء المطلوبون من البلاد الشاميّة، و خلع منطاش عليهم، و أنعم على كلّ منهم بإمرة مائة و تقدمة ألف بالديار المصرية دفعة، و لم يسبق لهم قبل ذلك أخذ إمرة عشرة بديار [مصر].

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٣٤٤

و فيه ظفر منطاش بذخيرة كانت للملك الظاهر برقوق بجوار جامع الأزهر.

و فيه أفرج منطاش عن الأمير محمود بن على الأستادار بعد ما أخذ منه جملة كبيرة من المال، ثم أمسك منطاش جماعة من أعيان

المماليك الظاهريّة ممّن كانوا ركبوا معه فى أوائل أمره، و بهم كان استفحل أمره، و أضافهم إلى من تقدّم من خشداشيّتهم، و حبس الجميع بأبراج قلعة الجبل، و لم يرقّ لأحد منهم.

قلت: لعله تمثّل بأبيات المتنبى: (الكامل)

لا يخدعنّك من عدوّك دمعه و ارحم شبابك من عدو ترحم

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم

و بينما منطاش فى ذلك ورد عليه البريد بخروج الأمير نعير عن الطاعة غضبا للناصرىّ، و أنه اتفق هو وسولى بن دلغادر و نهبا بلادا كثيرة من الأعمال الحلبيّة، فلم يلتفت منطاش إلى ذلك و كتب لهما يستعطفهما على دخولهما تحت الطاعة.

ثم بعد أيام ورد البريد أيضا بخروج الأمير بزلار العمرى الناصرى حسن نائب الشام عن طاعة منطاش غضبا للأمير يلبغا الناصرى، فكتب إليه أيضا مكاتبة خشّن له فيها.

ثم أخذ منطاش فيما يفعله فى أمر دمشق و غيرها- على ما سيأتى ذكره- بعد أن يقعّد له قواعد بمصر، فبدأ منطاش فى اليوم المذكور بالقبض على الطواشى صواب السّعدى المعروف بشنكل مقدّم المماليك السلطانية.

و خلع على الطواشى جوهر و أعاده لتقدمة المماليك، ثم أنعم على جماعة من حواشيه و مماليكه بإقطاعات كثيرة، و أنعم على جماعة منهم بتقدمة ألف، و هم: ولده الأمير ناصر الدين محمد بن منطاش، و هى أحسن التقادم، و الأمير قطلوبغا الصّفوى،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۱، ص: ۳۴۵

و أسندمر بن يعقوب شاه و تمان تمر الأشرفى و أيدكار العمرى و أسندمر الشرفى رأس نوبة منطاش و جنتمر الأشرفى، و منكلى باى الأشرفى، و تكا الأشرفى، و منكلى بغا خازندار منطاش و صراى تمر دوادار منطاش و تمربغا الكريمى، و ألطنبغا الحلبىّ و مبارك شاه.

ثم أنعم على جماعة كبيرة بإمرة طبلخاناه، و عشرينات و عشرات، فممن أنعم عليه بإمرة طبلخاناه: الشريف بكتمر الحسنى، و أبو بكر بن سنقر الجمالى، و دمرداش القشتمرى و عبد الرحمن بن منكلى بغا الشمسى على عادته أوّلا، و جلبان السعدى، و آروس بغا صلغيه و إبراهيم بن طشتمر الدوادار و سربغا الناصرى، و تنكز الأعور الأشرفى، و صراى تمر الأشرفى، و آقبغا المنجكى، و ملكتمر المحمدى، و قرابغا السيفى، و قطلوبغا الزينى، و تمربغا المنجكى و أرغون شاه السيفى و مقبل السيفى منطاش أمير سلاح و طيبرس السيفى رأس نوبة، و بيرم خجا الأشرفى، و ألطنبغا الجربغاوى، و منجك الزينى، و بزلار الخليلىّ، و محمد بن أسندمر العلائى؛ و طشبغا السيفى منطاش، و إلياس الأشرفى، و قطلوبغا السيفى، و شيخون الصرغتمشى، و جلبان السيفى، و ألطنبغا الطازى، و إسماعيل السيفى، و حسين بن الكورانى.

و أنعم على كل ممّن يدكر بإمرة عشرين، و هم: غريب الخطائى و بايجى الأشرفى، و منكلى بغا الجوبانى، و قرابغا الأحمدى، و آق كبك السيفى، و فرج شادّ الدواوين، و رمضان السيفى، و محمد بن مغلطاى المسعودى والى مصر.

و أنعم على كل ممن يذكر بإمرة عشرة: صلاح الدين محمد بن تنكز، زيادة على ما بيده، و خضر بن عمر بن بكتمر الساقى، و محمد بن يونس الدوادار، و علىّ

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۱، ص: ۳۴۶

الجركتمرى، و محمد بن رجب بن محمد التركمانى، و محمد بن رجب بن جنتمر من عبد الغنى و جوهر الصلاحى، و إبراهيم بن يوسف بن برلغى و لؤلؤ العلائى الطواشى، و تنكز العثمانى و صراى تمر الشرفى الصغير، و منكلى بغا المنجكى، و آق سنقر الأشرفى، رأيت أنا المذكور فى دولة الملك الأشرف برسباى فى حدود سنة ثلاثين و ثمانمائة و قد شاخ و جاركس القرابغاوى، و أسنبغا التاجى، و سنقر السيفى، و كزل الجوبانى، و قرابغا الشهابى، و بكبلاط الأشرفى، و يلبغا التركمانى، و أرنبغا الأشرفى، و حاجى اليلبغاوى، و أرغون الزينى، و يلبغا الزينىّ و تمر الأشرفى و جنبغا الشرفى، و جقمق السيفى، و أرغون شاه البكلمشى، و ألطنبغا الأشقر،

و صراى السيفى، و ألطنبغا الإبراهيمى، و آقبغا الأشرفى و ألجيبغا السيفى. انتهى.

ثم فى خامس عشر شهر رمضان نودى على الزّعر بالقاهرة و مصر من حمل منهم سيفا أو سكّينا أو شالق بحجر وسّط و حرّض الموالى عليهم، فقطع أيدى ستة منهم فى يوم واحد.

و فى يوم عشرين شهر رمضان ورد البريد بأن بزلار نائب الشام مسكه الأمير جنتمر أخو طاز فكاد منطاش أن يطير من الفرح بذلك، لأن بزلار كان من عظماء الملوك ممن كان الملك الظاهر برقوق يخافه، و نفاه إلى الشام، فوافق الناصرىّ، فولاه الناصرى نيابة الشام دفعة واحدة مخافة من شرّه، و كان من الشجعان حسب ما يأتى ذكره فى الوفيات.

و لمّا أن بلغ منطاش هذا الخبر قلع السلاح عنه و أمر أمراءه و مماليكه بقلع السلاح، فإنهم كانوا فى هذه المدّة الطويلة لابسين السلاح فى كلّ يوم.

ثمّ فى الحال قبض منطاش على جمق بن أيتمش البجاسىّ و على بيرم العلابى رأس نوبة أيتمش.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٣۴٧

و فيه قدم سيف الأمير بزلار المقدّم ذكره، و كان من خبره أن منطاش لمّا انتصر على الناصرىّ و ملك مصر أرسل إلى الأمير بزلار المذكور بحضوره إلى مصر فى ثلاثة سروج لا غير على البريد، فأجابه بزلار: لا أحضر اليه إلا فى ثلاثين ألف مقاتل، و خاشنه فى ردّ الجواب، و خرج عن طاعته، فخادعه منطاش حسب ما تقدّم ذكره، و كتب فى الباطن للأمير جنتمر أخى طاز أتابك دمشق بنيابة دمشق إن قبض على بزلار المذكور ثم سيّر، إليه التشريف بذلك، و كتب إليه أن محمد ابن بيدمر يكون أتابك دمشق عوضه، و جبريل حاجب حجّاب دمشق، فلمّا بلغ جنتمر ذلك عرّف الأمراء المذكورين الخبر، و اتّفق مع جماعة أخر من أكابر أمراء دمشق و ركبوا على بزلار المذكور على حين غفلة و واقعوه، فلم يثبت لهم، و انكسر و مسك و حبس بقلعة دمشق، و أرسل جنتمر سيفه إلى منطاش، و استقرّ عوضه فى نيابة دمشق، فسرّ منطاش بذلك غاية السرور.

فلم يتّم سروره، و قدم عليه الخبر بما هو أدهى و أمرّ، و هو خروج الملك الظاهر برقوق من سجن الكرك، و أنه استولى على مدينتها و وافقه نائبها الأمير حسام الدين حسن الكجكنى، و قام بخدمته و قد حضر إلى الملك الظاهر برقوق ابن خاطر أمير بنى عقبة من عرب الكرك و دخل فى طاعته، و قدم هذا الخبر من ابن باكيش نائب غزة، فلمّا سمع منطاش ذلك كاد يهلك و اضطربت الديار المصرية، و كثرت القالة بين الناس، و اختلفت الأقاويل، و تشغّب الذعر و كان من خبر الملك الظاهر برقوق أن منطاش لمّا وثب على الأمير و أقهر الأتابك يلبغا الناصرى و حبسه و حبس عدّة من أكابر الأمراء، عاجل فى أمر الملك الظاهر برقوق بأن بعث إليه شخصا يعرف بالشهاب البريدى و معه كتب للأمير حسام الدين الكجكنى نائب الكرك و غيره بقتل الملك الظاهر برقوق من غير مراجعة، و وعده بأشياء غير نيابة الكرك،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٣۴٨

و كان الشهاب البريدىّ أصله من الكرك، و تزوج ببنت قاضى الكرك القاضى عماد الدين أحمد بن عيسى المقيرىّ الكركى، ثم وقع بين الشهاب المذكور و بين زوجته، فقام أبوها عليه حتى طلّقها منه، و زوجها بغيره، و كان الشهاب مغرما بها، فشقّ ذلك عليه، و خرج من الكرك و قدم مصر و صار بريديّا و ضرب الدهر ضرباته حتى كان من أمر منطاش ما كان، فاتصل به الشهاب المذكور و وعده أنه يتوجّه لقتل الملك الظاهر برقوق، فجهزه منطاش لذلك سرّا و كتب على يده إلى الأمير حسام الدين الكجكنى نائب الكرك كتبا بذلك و حثّه على القيام مع الشهاب المذكور على قتل برقوق و أنه ينزله بقلعة الكرك و يسكنه بها حتى يتوصّل لقتل الملك الظاهر برقوق.

و خرج الشهاب من مصر و مضى إلى نحو الكرك على البريد حتى وصل قرية المقيّر بلد صهره القاضى عماد الدين قاضى الكرك الذى أصله منها، فنزل بها الشهاب و لم يكتم ما فى نفسه من الحقد على القاضى عماد الدين، و قال: و اللّه لأخربن دياره و أزيد فى

أحكار أملاكه و أملاك أقاربه بهذه القرية و غيرها، فاشتوحش قلوب الناس و أقارب عماد الدين من هذه الكلام و أرسلوا عرّفوه بقصد الشهاب و ما جاء بسببه قبل أن يصل الشهاب إلى الكرك، ثم ركب الشهاب من المقيّر و سار إلى الكرك حتى وصلها فى الليل، و بعث للنائب من يصيح به من تحت السور، فمنعوه من ذلك، و أحسّ الكجكنى بالأمر، فلمّا أصبح أحضره إلى دار السعادة، و قرأ كتاب السلطان الذى على يده، و كتاب منطاش و مضمونهما أمور أخر غير قتل الظاهر برقوق؛ فامتثل النائب ذلك بالسمع و الطاعة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١١، ص: ٣۴٩

فلمّا انفضّ الناس أخرج الشهاب إليه كتاب منطاش الذى بقتل برقوق، فأخذه الكجكنى منه ليكون له حجّة عند قتله السلطان برقوق، و وعده بقضاء الشغل، و أنزل الشهاب بمكان قلعة الكرك قريبا من الموضع الذى فيه الملك الظاهر برقوق، بعد أن استأنس به، ثم قام الكجكنى من فوره و دخل إلى الملك الظاهر برقوق و معه كتاب منطاش الذى بقتله، فأوقفه على الكتاب، فلمّا سمعه الملك الظاهر كاد أن يهلك من الجزع، فحلف له الكجكنى بكل يمين أنه لا يسلّمه لأحد و لو مات، و أنه يطلقه و يقوم معه، و ما زال به حتى هدأ ما به، و طابت نفسه، و اطمأنّ خاطره.

هذا و قد اشتهر فى مدينة الكرك بمجيء الشهاب بقتل الملك الظاهر برقوق لخفّة كانت فى الشهاب المذكور، و أخذ القاضى عماد الدين يخوّف أهل الكرك عاقبة قتل الملك الظاهر برقوق و ينفّرهم عن الشهاب حتى خافوه و أبغضوه، و كان عماد الدين مطاعا فى أهل بلده، مسموع الكلمة عندهم لما كانوا يعهدون من عقله و حسن رأيه، و ثقل الشهاب على أهل الكرك إلى الغاية، و أخذ الشهاب يلحّ على الأمير حسام الدين نائب الكرك فى قتل الملك الظاهر برقوق، و بقى النائب يسوّف به من وقت إلى وقت، و يدافعه عن ذلك بكلّ حجّة و عذر فزاد الشهاب فى القول حتى خاشنه فى اللفظ، فعند ذلك قال له الكجكنى: هذا شىء لا أفعله بوجه من الوجوه حتى أكتب إلى مصر بما أعرفه و أسأل عن ذلك ممّن أثق به من أصحابى من الأمراء.

ثمّ أرسل البريد إلى مصر أنه لا يدخل فى هذا الأمر، و لكن يحضر إليه من يتسلّمه منه و يفعل فيه ما يرسم له به، و كان فى خدمة الملك الظاهر غلام من أهل الكرك يقال له: عبد الرحمن، فنزل إلى جماعة فى المدينة و أعلمهم أن الشهاب قد حضر،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١١، ص: ٣۵٠

لقتل أستاذه الملك الظاهر، فلمّا سمعوا ذلك اجتمعوا فى الحال؛ و قصدوا القلعة و هجموها حتى دخلوا إلى الشهاب المذكور و هو بسكنه من قلعة الكرك، و وثبوا عليه و قتلوه، ثم جرّوه برجله إلى الباب الذى فيه الملك الظاهر برقوق، و كان نائب الكرك الكجكنى عند الملك الظاهر، و قد ابتدءوا فى الإفطار بعد أذان المغرب، و هى ليلة الأربعاء عاشر شهر رمضان من سنة إحدى و تسعين و سبعمائة المقدّم ذكرها، فلم يشعر الملك الظاهر و الكجكنى إلا و جماعة قد هجموا عليهم و هم يدعون للملك الظاهر بالنصر؛ و أخذوا الملك الظاهر بيده حتى أخرجوه من البرج الذى هو فيه، و قالوا له: دس بقدمك عند رأس عدوّك، و أروه الشهاب مقتولا ثم نزلوا به إلى المدينة فدهش النائب ممّا رأى، و لم يجد بدا من القيام فى خدمة الملك الظاهر و تجهيزه، و انضمّ على الملك الظاهر أقوام الكرك و أجنادها، و تسامع به أهل البلاد، فأتوه من كلّ فجّ بالتقادم و الخيول، كلّ واحد بحسب حاله، و أخذ أمر الملك الظاهر برقوق من يوم ذلك فى استظهار على ما سيأتى ذكره.

و أمّا أمر منطاش فإنه لمّا سمع هذا الخبر و تحقّقه علم أنه وقع فى أمر عظيم، فأخذ فى تدبير أحواله، فأوّل ما ابتدأ بمسك الأمير قرقماس الطشتمرى الخازندار، و أحد أمراء الألوف بديار مصر، و بمسك الأمير شاهين الصرغتمشى أمير آخور، و بمسك قطلوبك أستادار الأتابك أيتمش البجاسىّ، و على جماعة كبيرة من المماليك الظاهريّة، و تداول ذلك منه أياما.

ثم أنعم منطاش على جماعة من الأمراء بأموال كثيرة، و رسم بسفر أربعة آلاف فارس إلى مدينة غزّة صحبة أربعة أمراء من مقدّمى الألوف بالديار المصرية، و هم: أسندمر اليوسفى، و قطلوبغا الصفوى، و منكلى باى الأشرفىّ، و تمربغا الكريمى، و أنفق فى كلّ أمير

منهم مائة ألف درهم فضّة، ثم عيّن منطاش مائة مملوك

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۱، ص: ۳۵۱

للسفر صحبة أمير الركب إلى الحجاز، و اسمرّ منطاش فى عمل مصالحه إلى أن كان يوم سابع شوّال خلع السلطان الملك المنصور على الأمير منطاش المذكور، و فوّض إليه تدبير الأمور، و صار أتابك العساكر كما كان يلبغا، أراد منطاش بذلك إعلام الناس أنه ليس له غرض فى السلطنة، و أنه فى طاعة الملك المنصور ابن أستاذه.

ثمّ خلع الملك المنصور أيضا على الأمير قطلوبغا الصّفوى المقدّم ذكره فى الأربعة أمراء المعينين للسفر باستقراره أمير سلاح، و على تمان تمر الأشرفىّ باستقراره رأس نوبة النوب، و على أسندمر بن يعقوب شاه أمير مجلس، و على ألطنبغا الحلبى دوادارا كبيرا، و على تكا الأشرفىّ رأس نوبة ثانيا بتقدمة ألف و على إلياس الأشرفىّ أمير آخور بإمرة طبلخاناه، و على أرغون شاه السيفى رأس نوبة ثالثا بإمرة طبلخاناه، و على تمربغا المنجكى رأس نوبة، رابعا بإمرة طبلخاناه، و على قطلوبغا الأرغونى أستدارا، و على جقمق شادّ الشراب خاناه، ثم خلع على تمان تمر رأس نوبة بنظر البيمارستان المنصورى، و على ألطنبغا الحلبى الدوادار الكبير بنظر الأحباس، ثم بطل أمر التجريدة المعيّنة إلى غزة خوفا من المماليك لئلا يذهبوا للملك الظاهر برقوق.

ثم فى تاسع شوّال خلع على الأمير أيدكار باستقراره حاجب الحجاب و على أمير حاج بن مغلطاى حاجبا ثانيا بتقدمة ألف.

و فيه سمّر منطاش أربعة من الأمراء، و هم: سودون الرمّاح أمير عشرة، و رأس نوبة، و الطنبغا أمير عشرة أيضا، و أميران من الشام، و وسّطوا بسوق الخليل فى عاشره لميلهم إلى الملك الظاهر برقوق.

ثم أخلع منطاش على تنكز الأعور باستقراره فى نيابة حماة عوضا عن طغاى تمر القبلاوى، و فيه حمل جهاز خوند بنت الملك الأشرف شعبان أخت الملك المنصور،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۱، ص: ۳۵۲

هذا لتزفّ على الأمير الكبير منطاش، و كان على خمسمائة جمل و عشرة قطر بغال، و مشى الحجاب و غالب الأمراء أمام الجهاز، فخلع عليهم منطاش الخلع السّنيّة، و بنى بها من ليلته، بعد أن اهتمّ بالعرس اهتماما زائدا، و عند ما زفّت إليه علّق منطاش على شربوشها دينارا زنته مائتا مثقال، ثم ثانى مرّة دينارا زنته مائة مثقال و فتح للقصر بابا من الإسطبل بسبب ذلك بجوار باب السرّ، هذا مع ما كان منطاش فيه من شغل السرّ من اضطراب المملكة بعد مسكه الناصرىّ و غيره.

و فيه أخرج عدّة من المماليك الظاهريّة إلى قوص، و بينما منطاش فى ذلك قدم عليه الخبر بأن الأمراء المقيمين بمدينة قوص من المنفيّين قبل تاريخه خرجوا عن الطاعة، و قبضوا على و الى قوص، و حبسوه و استولوا على مدينة قوص، و انضم عليهم جماعة كبيرة من عصاة العربان، فندب منطاش لقتالهم تمربغا الناصرى و بيرم خجا، و آروس‌بغا من أمراء الطبلخاناة فى عدّة مماليك.

ثم قدم عليه الخبر بأن الأمير كمشبغا الحموى اليلبغاوى نائب حلب خرج عن الطاعة، و أنه قبض على جماعة من أمراء حلب بعد أن حارب إبراهيم بن قطلقتمر الخازندار، و قبض عليه و وسّطه هو و شهاب الدين أحمد بن أبى الرضا قاضى قضاة حلب الشافعى بعد أن قاتلوه و معهم أهل بانقوسا، فلمّا ظفر بهم كمشبغا المذكور قتل منهم عدّة كبيرة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۱، ص: ۳۵۳

قلت: و إبراهيم بن قطلقتمر هذا هو صاحب الواقعة مع الملك الظاهر برقوق لمّا اتفق مع الخليفة هو و قرط الكاشف على قتل الملك الظاهر، و قبض عليهما الظاهر، و عزل الخليفة و حبسه سنين، و قد تقدّم ذكر ذلك كله، و هو الذى أنعم عليه منطاش فى أوائل أمره بإمرة مائة، و تقدمة ألف بمصر، و جعله أمير مجلس عوضا عن أحمد بن يلبغا، ثم أخرجه بعد أيام من مصر خوفا من شرّه إلى حلب على إمرة مائة و تقدمة ألف، فدام بها إلى أن كانت منيّته على يد كمشبغا هذا.

ثم قدم الخبر على منطاش بأن الأمير حسام الدين حسن بن باكيش نائب غزّة جمع العشران و سار لمحاربة الملك الظاهر برقوق، فسرّ

منطاش بذلك، و فى اليوم ورد عليه الخبر أيضا بقوّة شوكة الأمراء الخارجين عن طاعته ببلاد الصعيد، فأخرج منطاش فى الحال الأمير أسندمر بن يعقوب شاه أمير مجلس فى نحو خمسمائة فارس نجدة لمن تقدّمه من الأمراء إلى بلاد الصعيد، فسار أسندمر بمن معه فى ثالث عشرينه، و فى يوم مسيره ورد البريد من بلاد الصعيد باتفاق ولاة الصعيد مع الأمراء المذكورين.

و كان من خبرهم أنه لمّا استقر أبو درقة فى ولاية أسوان سار إلى ابن قرط، و اتّفق معه على المخامرة، و سار معه إلى قوص، و أفرج عمن بها من الأمراء المقدّم ذكرهم. و كان عدّة الأمراء الذين بقوص زيادة على ثلاثين أميرا، و عدّة كبيرة من المماليك السلطانية الظاهرية، فلما بلغ خبرهم الأمير مبارك شاه نائب الوجه القبلى اجتمع معه أيضا نحو ثلثمائة مملوك من الظاهرية و اتفقوا على المخامرة أيضا، و استمال مبارك شاه عرب هوّارة و عرب ابن الأحدب، فوافقوه، و استولوا على البلاد، فلمّا خرجت تجريدة منطاش الأولى لهم انتهت إلى أسيوط، فقبض عليهم مبارك شاه المذكور، و أفرج عمّن كان معهم من المماليك الظاهرية؛ فلما بلغ

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٣٥۴

منطاش ذلك أخرج أسندمر بن يعقوب شاه كما تقدّم ذكره، و سار اليهم من الشرق، و توجّه إلى جهة الصعيد بمن معه، فلقيه الخارجون عن الطاعة، فواقعهم أسندمر بمن معه، فكسروه، فرسم منطاش بخروج نجدة لهم من الأمراء و المماليك و أجناد الحلقة، و بينما هو فى تجهيز أمرهم جاء الخبر أن أسندمر واقع مبارك شاه ثانيا و كسره، و قبض عليه، و أرسله إلى منطاش. فقدم مقيدا، فرسم منطاش بحبسه فى خزانة شمائل.

ثمّ فى يوم سابع عشرينه عيّن منطاش تجريدة إلى جهة الكرك فيها أربعة و قيل خمسة أمراء من مقدّمى الألوف، و ثلاثمائة مملوك، ثم أخرج منطاش الأمير بلّوط الصرغتمشى، و الأمير غريب لكشف أخبار الملك الظاهر برقوق بالكرك.

و أما الملك الظاهر برقوق فإنه لما أنزله عوامّ الكرك من قلعتها إلى المدينة و قاموا فى خدمته، و أتته العربان، و صار فى طائفة كبيرة، و وافقه أيضا أكابر أهل الكرك، فقوى شوكته بهم، و عزم على الخروج من الكرك، و برّز أثقاله إلى ظاهر الكرك، فاجتمع عند ذلك أعيان الكرك عند القاضى عماد الدين أحمد بن عيسى المقيّرى قاضى الكرك و كلموه فى القيام على الملك الظاهر برقوق مراعاة للملك المنصور حاجّى، و للأمير منطاش، و اتفقوا على قبضه و إعلام أهل مصر بذلك، و أنهم يعتذرون لمنطاش أنه لم يخرج من حبسه بالكرك إلا باجتماع السفهاء من أهل الكرك، ليكون ذلك عذرا لهم عند السلطان، و بعثوا ناصر الدين محمدا أخا القاضى عماد الدين المذكور، فأغلق باب المدينة، و بقى الملك الظاهر برقوق داخل المدينة و حيل بينه و بين أثقاله و معظم أصحابه.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٣٥۵

فلمّا قام الملك الظاهر برقوق ليركب فرسه بلغه ذلك، و كان القاضى علاء الدين علىّ كاتب سر الكرك، و هو أخو القاضى عماد الدين يكتب للملك الظاهر فى مدة خروجه من حبس الكرك، و بالغ فى خدمته، و انضمّ عليه، فلما رأى ما نزل بالملك الظاهر و بلغه اتفاق أهل المدينة مع أخيه القاضى عماد الدين على القبض على الملك الظاهر برقوق أعلم الملك الظاهر بذلك، و قوى قلبه، و حرّضه على السير إلى باب المدينة، فركب معه برقوق، و سار حتى وصل إلى الباب وجده مغلقا و أخوه ناصر الدين قائم عند الباب، كما أمره أخوه عماد الدين قاضى الكرك، فما زال علاء الدين بأخيه ناصر الدين المذكور حتى فتح له الباب، و خرج بالملك الظاهر منه و لحق ببقية أصحابه و مماليكه الذين كانوا حضروا إليه من البلاد الشامية، فأقام الملك الظاهر بالثّنية خارج الكرك يوما واحدا، و سأر من الغد فى يوم ثانى عشرين شوال الى نحو دمشق، و نائبها يوم ذاك جنتمر أخو طاز، و قد وصل إليه الأمير الطنبغا الحلبى من مصر نائبا بحلب عوضا عن الأمير كمشبغا الحموى، فاستعدّوا لقتال الملك الظاهر، و معهما أيضا حسام الدين حسن بن باكيش نائب غزة مساكرها.

ثم أقبل الملك الظاهر برقوق بمن معه، فالتقوا على شقحب قريبا من دمشق، و اقتتلوا قتالا شديدا، كسروا فيه الملك الظاهر غير مرّة، و

هو یعود إلیهم و یقاتلهم إلی أن کسرهم، و انهزموا إلی دمشق و قتل منهم ما یزید علی الألف، قاله المقریزی،

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۱، ص: ۳۵۶

فیهم خمسة عشر أمیرا، و قتل من أصحاب الملک الظاهر ستون نفسا، و من أمرائه سبعة نفر، فهی أعظم وقعة کانت للملک الظاهر برقوق فی عمره.

و رکب الملک الظاهر أقفیة الشامیین إلی دمشق، فامتنع جنتمر بقلعة دمشق، و توجّه من أمراء دمشق ستة و ثلاثون أمیرا، و نحو ثلاثمائة و خمسین فارسا و قد أثخنوا بالجراحات و معهم نائب صفد و قصدوا الدیار المصریة.

فلم یمص غیر یوم واحد حتی عاد ابن باکیش نائب غزّة بجماعة کبیرة من العربان و العشیر لقتال الملک الظاهر، و بلغ الملک الظاهر ذلک فأرسل الوالد و قلمطای لکشف الخبر، فعادا إلیه بسرعة بحضور ابن باکیش، فرکب الملک الظاهر فی الحال و خرج إلیه و التقی معه و قاتله حتی کسره، و أخذ جمیع ما کان معه من الأثقال و الخیول و السلاح، تقوّی الملک الظاهر بذلک، و أتاه عدة کبیرة من ممالیکه الذین کانوا بالبلاد الشامیة فی خدمة أمراء الشام، ثم دخل فی طاعته الأمیر جبریل حاجب حجاب دمشق، و أمیر علی بن أسندمر الزّینی، و جقمق الصفویّ، و مقبل الرومی، و صاروا من جملة عسکره، فعند ذلک رکب الملک الظاهر إلی دمشق، و حصرها و أحرق القبیبات و أخربها، فهلک فی الحریق خلق کبیر و أخذ أهل دمشق فی قتال الملک الظاهر برقوق، و أفحشوا فی أمره بالسب و التوبیخ، و هو لا یفتر عن قتالهم؛ و بینما هو فی ذلک أتاه المدد من الأمیر کمشبغا الحمویّ نائب حلب و من جملة المدد ثمانون مملوکا من الممالیک الظاهریّة البرقوقیة، فلما بلغ جنتمر مجیئهم أخرج إلیهم من دمشق خمسمائة فارس لیحیلوا بینهم و بین الملک الظاهر، فقاتلتهم الممالیک الظاهریّة و کسرتهم، و أخذوا جمیع ما کان معهم، و أتوا بهم إلی أستاذهم الملک الظاهر، ففرح بهم غایة الفرح.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۱، ص: ۳۵۷

قال الوالد: فعند ذلک قوی أمرنا، و استفحل و استمرّوا علی حصار دمشق و بینما هم فی ذلک و إذا بنعیر قد أقبل فی عربانه یرید قتال الملک الظاهر برقوق، فخرج الملک الظاهر و قاتله فکسره، و استولی علی جمیع ما کان معه فقوی الملک الظاهر بما صار إلیه من هذه الوقائع من الخیل و السلاح و صار له برک کبیر بعد ما کان معه خیمة صغیرة لا غیر، و کانت ممالیکه فی أخصاص، و کلّ منهم هو الذی یخدم فرسه بنفسه. و الآن فقد صاروا بالخیم و السلاح و الغلمان، هذا و ممالیک الملک الظاهر یتداول مجیئهم إلیه شیئا بعد شیء ممن کان نفاهم الناصری و منطاش إلی البلاد الشامیة.

و وصل الخبر بهذه الوقائع کلّها إلی منطاش فی خامس عشر ذی القعدة، فقامت قیامة منطاش لما سمع هذه الأخبار و أخذ فی تجهیز الملک المنصور حاجیّ للسفر لبلاد الشام لقتال الملک الظاهر برقوق، و أمر الوزیر موفّق الدین بتجهیز ما یحتاج إلیه السلطان، فلم یجد فی الخزانة ما یجهّز به السلطان، و اعتذر بأنّ المال انتهب و تفرّق فی هذه الوقائع فقبل عذره و سأل منطاش قاضی القضاة صدر الدین المناوی الشافعی. و کان ولّاه قضاء القضاة قبل تاریخه بمدة یسیرة بعد عزل ناصر الدین ابن بنت المیلق. و قال له: أقرضنی مال الأیتام، و کانت إذ ذاک أموالا کثیرة، فامتنع المناوی من ذلک، و وعظه فلم یؤثر فیه الوعظ، و ختم علی جمیع مال الأیتام، ثم رسم منطاش لحاجب الحجّاب و لناصر الدین محمد بن قرطای نقیب الجیش بتفرقة النقباء علی أجناد الحلقة، و حثّهم علی التجهیز للسفر، و بینما هم فی ذلک قدم علیه الخبر بکسرة ابن باکیش نائب غزة ثانیا من الملک الظاهر برقوق، و أخذ الملک الظاهر ما کان معه، فاشتدّ عند ذلک الاضطراب و کثر الإرجاف و وقع الاهتمام بالسفر، و أزعج أجناد الحلقة، و استدعی منطاش الخلیفة المتوکّل

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۱، ص: ۳۵۸

علی اللّه و القضاة، و الشیخ سراج الدین عمر البلقینی، و أعیان الفقهاء، و رتبو صورة فتیا فی أمر الملک الظاهر برقوق، و انفضوا من غیر شیء و فی الیوم ورد علی منطاش واقعة صفد، و کان من خبرها أن مملوکا من ممالیک الملک الظاهر برقوق یقال له یلبغا

السالمىّ كان أسلمه الظاهر إلى الطواشى بهادر الشهابى مقدّم المماليك، فرباه بهادر و رتّبه خازنداره و استمرّ على ذلك إلى أن نفى الملك الظاهر بهادر إلى البلاد الشامية، فصار يلبغا السالمى المذكور عند صواب السعدى شنكل لمّا استقر مقدم المماليك بعد بهادر المذكور، و صار دواداره الصغير، فلما قبض الناصرىّ على شنكل المذكور، خدم يلبغا السالمىّ هذا عند الأمير قطلوبك النظامى نائب صفد، و صار دواداره، و سار مع أهل صفد سيرة حميدة إلى أن قدم إلى صفد خبر الملك الظاهر برقوق، و خروجه من حبس الكرك، جمع النظامى عسكر صفد ليتوجّه بهم إلى نائب دمشق نجدة على الظاهر، و أبقى يلبغا السالمى بالمدينة، فقام يلبغا السالمى فى طائفة من المماليك الذين استمالهم، و أفرج عن الأمير إينال اليوسفى نائب حلب كان، و عن الأمير قجماس ابن عم السلطان الملك الظاهر برقوق، و نحو المائتين من المماليك الظاهرية من سجن صفد و نادى بشعار الملك الظاهر برقوق و أراد القبض على الأمير قطلوبك النّظامى، فلم يثبت النظامى، و فرّ فى مملوكين فاستولى السالمىّ و من معه على مدينة صفد و قلعتها، و صار الأمير إينال اليوسفى هو القائم بمدينة صفد، و السالمى فى خدمته، و أرسلوا إلى الملك الظاهر بذلك، و كان هذا الخبر من أعظم الأمور على منطاش، و زاد قلقه.

و كثرت مقالة الناس فى أمر الملك الظاهر، ثم تواترت الأخبار بأمر الملك الظاهر و فى حادى عشرينه ورد الخبر على منطاش بوصول نائب غزة حسام الدين بن باكيش و صحبته الأمير قطلوبك النّظامى نائب صفد المقدّم ذكره. و الأمير محمد

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٣٥٩

ابن بيدمرى أتابك دمشق، و خمسة و ثلاثون أميرا من أمراء دمشق، و جمع كبير من الأجناد قد هزموا الجميع من الملك الظاهر برقوق، و قدموا إلى القاهرة و هم الذين قاتلوا برقوقا مع جنتمر نائب الشام، و قد تقدّم ذكر الواقعة، فرسم منطاش بدخولهم القاهرة.

و فى هذا اليوم استدعى منطاش الخليفة المتوكل على اللّه و القضاة و العلماء بسبب الفتيا فى الملك الظاهر برقوق و فى قتاله، فكتب ناصر الدين الصالحى موقّع الحكم فتيا فى الملك الظاهر برقوق تتضمّن: عن رجل خلع الخليفة و السلطان و قتل شريفا فى الشهر الحرام و البلد الحرام و هو محرم، يعنى عن أحمد بن عجلان صاحب مكة، و استحل أخذ أموال الناس و قتل الأنفس و أشياء غير ذلك، ثم جعل الفتيا عشر نسخ، فكتب جماعة من الأعيان و القضاة.

ثم رسم منطاش بفتح سجن قديم بقلعة الجبل كان قد ارتدم و سجن فيه عدّة من المماليك الظاهرية المقبوض عليهم قبل تاريخه ثم وجد منطاش ذخيرة بالقاهرة للأمير جركس الخليلى فى بيت جمال الدين أستاداره: فيها خمسمائة ألف درهم، و نحو خمسين ألف دينار، فأخذها منطاش، ثم أخذ أيضا من مال ابن جركس الخليلى نحو ثلثمائة ألف دينار مصرية.

و دخل الأمراء المنهزمون من الشام إلى القاهرة، و هم قطلوبك النّظامى نائب صفد، و تنكز الأعور نائب حماة، و محمد بن أيدمر أتابك، دمشق، و يلبغا العلائى أحد مقدّمى دمشق، و آقباى الأشرفى نائب قلعة الروم، و من الطبلخانات دمرداش الأطروش و الى الولاة، و أحمد بن تنكز، وجوبك الخاصكى الأشرفى، و قطلوبك جنجق و خير بك. و من العشرنيات آقبغا الوزيرى و أزدمر القشتمرى و قنق الزّينى، و منكلى بغا الناصرى، و آقبغا الإبنالى و أحمد بن ياقوت، و من

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٣٦٠

العشرات أسنبغا العلائى، و طغاى تمر الأشرفى و مصطفى البيدمرى، و قرابغا السيفى من أمراء صفد، و تغرى برمش الأشرفى، و منجك الخاصّكى و قجقار السيفى.

و من أمراء حماة جنتمر الإسعردىّ، و ألطنبغا المارديني، و بكلمش الأرغونى القرمى، و أسنبغا الأشرفى، و حسين الأيتمشى، و من المماليك عدّة مائتين و عشرين نفرا. و فى يوم قدم هؤلاء أفرج منطاش عن الأمير قرقماس الطشتمرى، و استقر خازندارا على عادته، و عن شيخ الصفوى الخاصكى، و عن أرغون السلامىّ، و يلبغا اليوسفى، و نزلوا إلى دورهم.

ثم نودى بأمر منطاش أن الفقهاء و الكتّاب لا يركب أحد منهم فرسا، و أن الكتّاب الكبار يركبون البغال.

ثم رسم بأخذ أكاديش الحمّالين و خيل الطواحين الجياد، و رسم بتتبع المماليك الجراكسة، فطلبهم حسين بن الكورانى و أخذهم من كل موضع.

ثم رسم منطاش بتخشيب المماليك الظاهرية المسجونين بقلعة الجبل فى أيديهم و أرجلهم.

ثم فى حادى عشرينه. اجتمع الأمراء و أهل الدولة مع الأمير منطاش و اتّفقوا على استبداد السلطان الملك المنصور حاجّى بالأمر، و أثبتوا رشده بحضرة القضاة و الخليفة فرسم السلطان بتعليق الجاليش على الطبلخاناه ليعلم الناس بسفر السلطان إلى الشام لقتال الملك الظاهر برقوق. ثم أحضر منطاش نسخ الفتوى فى الملك الظاهر برقوق و قد أزيد فيها و استعان على قتال المسلمين بالكفّار و حضر الخليفة المتوكّل على اللّه و القضاة الأربعة و الشيخ سراج الدين عمر البلقينىّ و ولده جلال الدين عبد الرحمن قاضى العسكر و ابن خلدون المالكى و ابن الملقّن و قاضى القضاة بدر الدين محمد بن أبى البقاء

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١١، ص: ٣۶١

و جماعة أخر، فحضر الجميع بحضرة السلطان الملك المنصور بالقصر الأبلق و قدّمت إليهم الفتوى فكتبوا عليها بأجمعهم كتابة شنيعة على قدر النهى و انصرفوا إلى منازلهم.

ثم نودى على أجناد الحلقة للعرض و هدّد من تأخر منهم و كتب لعرب البحيره بالحضور للسفر مع السلطان إلى الشام.

ثم خلع منطاش على أمير حاج بن مغلطاى الحاجب باستقراره أستادارا.

ثم أنعم السلطان على الأمراء القادمين من الشام لكل أمير مائة و مقدم ألف بفرس بقماش ذهب و لمن عداهم بأقبية و رتّب لهم اللحم و الجامكيات و العليق و أخذ منطاش يستعطفهم بكل ما تصل إليه القدرة.

و فى سابع عشرينه أخليت خرانة الخاص بالقلعة و سدّت شبابيكها و بابها و فتح من سقفها طاقة و عملت سجنا للمماليك الظاهرية.

ثم فى يوم السبت أوّل ذى الحجة من سنة إحدى و تسعين و سبعمائة قدم الخبر على منطاش من الصعيد بأن العسكر الذى مع أسندمر بن يعقوب شاه واقع الأمراء الظاهرية بمدينة قوص و كسرهم و قبض عليهم فسر منطاش بذلك و خفّ عنه بعض الأمر و دقّت البشائر لذلك ثلاثة أيام.

و فيه أنفق منطاش على الأمراء نفقة السفر فأعطى لكل أمير من أمراء الألوف مائة ألف درهم فضة و أعطى لكل أمير من أمراء الطبلخانات خمسين ألف درهم فضة، ثم أمر منطاش بسدّ باب الفرج أحد أبواب القاهرة و خوخة أيدغمش.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١١، ص: ٣۶٢

ثم قبض منطاش على متّى بطرك النصارى و ألزمه بمال و على رئيس اليهود و ألزمه أيضا بمال فقرّر على البطرك مائة ألف درهم و على رئيس اليهود خمسين ألف درهم.

ثم طلب منطاش الشيخ شمس الدين محمد الزّكراكى المالكى و ألزمه بالكتابة على الفتوى فى أمر الملك الظاهر برقوق فامتنع من الكتابة غاية الامتناع فضربه منطاش مائة عصاه و سجنه بالإسطبل.

ثم فى خامس عشر ذى الحجة برز الأمراء الشاميون من القاهرة الى ظاهرها للتوجه إلى الشام أمام العسكر السلطانى. و فيه قبض منطاش على الخليفة المخلوع من الخلافة زكريا: و أخذ منه العهد الذى عهده إليه أبوه بالخلافة و أشهد عليه أنه لا حقّ له فى الخلافة.

ثم قدمت الأمراء ماخلا أسندمر بن يعقوب شاه من تجريدة الصعيد و معهم المماليك الظاهرية الذين كانوا خرجوا عن الطاعة بقوص مقيدين فخلع منطاش على الأمراء و أخذ المماليك غرّق منهم جماعة فى النيل ليلا و أخرج بستة من الجب بالقلعة موتى خنقا.

ثم قدم الأمير أسندمر بن يعقوب شاه من بلاد الصعيد و معه الأمراء الخارجون عن الطاعة: و هم الأمير تمربای الحسنى و قرابغا الأبوبكرى، و بجمان المحمدىّ و منكلى الشمسىّ و فارس الصرغتمشىّ و تمربغا المنجكىّ و طوجى الحسنى و قرمان المنجكى، و بيبرس التمان تمرى و قرا كسك السيفىّ و أرسلان اللّفاف و مقبل الرومى و طغاى تمر الجركتمرى و جرباش التمان تمرى الشيخى و

بغداد الأحمدى و يونس الإسعردى و أردبغا العثمانى و تنكز العثمانى و بلاط المنجكى و قرابغا المحمدى و عيسى التركمانى و قراجا السيفى و كمشبغا اليوسفى و آقبغا حطب

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۱، ص: ۳۶۳

و بک بلاط فأوقفوا الجميع بين يدى السلطان و منطاش زمانا ثم أمر بهم فحبسوا و أفرج عن جماعة: منهم الأمير قنق باى الألجائى اللالا و آقبغا السيفى و تمربای الأشرفى و فارس الصرغتمشى و خلع عليهم ثم سجن منطاش بخزانة شمائل و خزانة الخاص التى سدّ بابها قبل تاريخه الأمير محمود بن على الاستادار و آقبغا المارديني و آيدمر أبو زلطة و شاهين الصرغتمشى أمير آخور و جمق بن أيتمش البجاسى و بطا الطولوتمرى الظاهرى و بهادر الأعسر و عدّة كبيرة من الأمراء و المماليک الظاهرية.

و فيه ألزم منطاش سائر مباشرى الديوان السلطانى و جميع الدواوين بأن يحمل كل واحد خمسمائة درهم و فرسا و قرّر ذلک على الوظائف لا على الأشخاص، حتى من كان له عشرة وظائف فى عدّة دواوين يحمل عن كل وظيفة خمسمائة درهم و فرسا فنزل بالناس ما لم يعهدوه فتوزّعوا ذلک فجاء جملة الخيل التى أخذت من المباشرين خيلا و عينا ألف فرس:

ثم أحضر منطاش من ألزم من أجناد الحلقة للسفر فأعفاهم على أن يحضر كلّ منهم فرسا جيّدا فأحضروا خيولهم فأخذ جيادها و ردّ ما عداها.

ثم ألزم منطاش رءوس نوّاب الحجاب و غيرها بحمل كل واحد منهم خمسة آلاف درهم وعدتهم أربعة.

و فى يوم الاثنين سابع عشر ذى الحجة من سنة إحدى و تسعين و سبعمائة نزل السلطان الملک المنصور حاجى من قلعة الجبل و معه الأمير الكبير منطاش و توجّها بالعساكر المصرية إلى الرّيدانية خارج القاهرة بتجمّل عظيم إلى الغاية.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۱، ص: ۳۶۴

فلمّا نزلا بالمخيّم استدعى منطاش قاضى القضاة صدر الدين محمد المناوى الشافعى إلى الريدانية و ألزمه بالسفر معه إلى الشام فآمتنع من ذلک و سأل الأعفاء فأعفى و خلع على قاضى القضاة بدر الدين محمد ابن أبى البقاء باستقراره عوضه فى قضاء ديار مصر على أن يعطى مال الأيتام و يعطى من ماله مائة ألف درهم أخرى فضة، و خلع عليه و دخل القاهرة من باب النصر بالتشريف.

قلت: هذا هو الكريم الذى تكرّم بماله و دينه.

ثم رسم منطاش بحبس الخليفة زكرياء و الأمير سودون الشيخونى النائب بقاعة الفضة من القلعة.

ثم نزل الوزير موفّق الدين أبو الفرج و ناصر الدين أبى الحسام إلى خان مسرور بالقاهرة حيث هو مودع مال الأيتام، و أخذ منه بأمر منطاش ثلاثمائة ألف

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۱، ص: ۳۶۵

درهم، و ألزم أمين الحكم بالقاهرة أن يحصل تتمّة خمسمائة ألف درهم، و ألزم أمين الحكم بمصر أن يحمل مائة ألف درهم، و ألزم أمين الحكم بالحسينيّة أن يحمل مائة ألف درهم قرضا، كلّ ذلک حسب إذن قاضى القضاة بدر الدين محمد بن أبى البقاء.

و فيه استدعى منطاش القضاة إلى الرّيدانية بكرة فأجلسوا بغير أكل إلى قريب العصر، ثم طلبوا إلى عند السلطان، فعقدوا عقده على بنت الأمير أحمد ابن السلطان حسن بصداق مبلغه ألف دينار و عشرون ألف درهم.

و عقدوا أيضا عقد الأمير قطلوبغا الصفوى على ابنة الأمير أيدمر الدوادار.

و فى ثانى عشرينه رحل الأمير الكبير منطاش فى عدّة من الأمراء جاليشا للسلطان، ثم رحل السلطان الملک المنصور و الخليفة و القضاة و بقية العساكر بعد أن أقيم نائب الغيبة بالقلعة الأمير تكا الأشرفى و معه الأمير دمرداش القشتمرىّ، و أقيم بالإسطبل السلطانى الأمير صراى تمر، و بالقاهرة الأمير قطلوبغا الحاجب، و جعل منطاش أمر الولاية و العزل إلى صراى تمر.

ثم رحل السلطان من العكرشة إلى جهة بلبيس، فتقنطر عن فرسه، فتطيّر الناس من ذلک بأنه يرجع مقهورا، و كذلک كان. ثم سار

السلطان و سائر العساكر إلى غزة فى ثامن المحرم من سنة اثنتين و تسعين و سبعمائة و عليهم آلة الحرب و السلاح.

و أما أمراء الديار المصرية فإن منطاش أمر قبل خروجه حسين بن الكورانى بالاحتفاظ على حواشى الملك الظاهر برقوق فأخذ ابن الكورانى يتقرّب إلى

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٣۶۶

منطاش بكل ما تصل قدرته إليه من ذلك أنه توجّه إلى قاعة البيسريّة بين القصرين حيث هو سكن الخوندات إخوة الملك الظاهر برقوق الكبرى و الصغرى أم الأتابك بيبرس و هجم عليهن بالقاعة المذكورة، و أخذ بيبرس من أمّه أخذا عنيفا، بعد أن أفحش فى سبّهنّ، و بالغ فى ذم الملك الظاهر و الحطّ منه، و أخذ الخوندات حاسرات هن و جواريهنّ مسبّيات يسحبهنّ بشوارع القاهرة و هنّ فى بكاء و عويل حتى أبكين كلّ أحد، و حصل بذلك عبرة لمن اعتبر، و لا زال يسحبهنّ على هذه الصورة إلى باب زويلة فصادف مرورهنّ بباب زويلة دخول مقبل نائب الغيبة من باب زويلة، فلما رأى مقبل ذلك أنكره غاية الإنكار، و نهر حسين ابن الكورانى على فعله ذلك، و ردهن من باب زويلة، بعد أن أركب الخوندات و سترهن إلى أن عدن إلى قاعة البيسرية، فكان هذا من أعظم الأسباب فى هلاك حسين بن الكورانى على ما يأتى ذكره فى سلطنة الملك الظاهر برقوق الثانية إن شاء اللّه تعالى.

ثم نادى حسين بن الكورانى على المماليك الظاهرية أنّ من أحضر مملوكا منهم كان له ألفا درهم.

و أما السلطان الملك المنصور و منطاش فإن الأخبار أتتهما بأن الأمير كمشبغا الحموى نائب حلب لم يزل يبعث يمدّ الملك الظاهر من حلب بالعساكر و الأزواد و الآلات و الخيول و غير ذلك، حتى صار لبرقوق برك عظيم، ثم خرج من بعد ذلك من حلب بعساكرها و قدم على الملك الظاهر لنصرته، فعظم أمر الملك الظاهر به إلى الغاية، و كثرت عساكره، و جاءته التركمان و العربان و العشير من كلّ فجّ، فلما

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٣۶٧

بلغ ذلك منطاش جدّ فى السير هو و السلطان و العساكر إلى نحو الملك الظاهر برقوق.

و بلغ الملك الظاهر مجيء الملك المنصور و منطاش لقتاله فترك حصار دمشق و أقبل نحوهم بعساكره و مماليكه حتى نزل على شقحب، و نزل العسكر المصرى على قرية المليحة و هى عن شقحب بنحو البريد، و أقاموا بها يومهم، و بعثوا كشافتهم، فوجدوا الملك الظاهر برقوقا على شقحب، فتقدم منطاش بالسلطان و العساكر إلى نحوه بعد أن صف منطاش عساكر السلطان ميمنة و ميسرة، و قلبا و جناحين، و جعل للميمنة رديفا، و كذلك للميسرة، هذا بعد أن رتّب الملك الظاهر برقوق أيضا عساكره، غير أنه لم يتصرف فى التعبية كتصرف منطاش لقلة جنده.

و وقف منطاش فى الميمنة على ميسرة الظاهر برقوق، و التقى الفريقان فى يوم الأحد رابع عشر للمحرم فى سنة اثنتين و تسعين و تصادما، و اقتتل الفريقان قتالا عظيما لم يقع مثله فى سالف الأعصار و حمل منطاش من الميمنة على ميسرة الظاهر، و حمل أصحاب ميمنة الظاهر على ميسرة الملك المنصور، و بذل كلّ من الفريقين جهده، و ثبتت كلّ طائفة للأخرى، فكانت بينهما حروب شديدة انهزم فيها ميمنة الملك الظاهر و ميسرته، و تبعهم منطاش بمن معه، و ثبت الملك الظاهر فى القلب، و قد انقطع عنه خبر أصحابه، و أيقن بالهلاك، و بينما هو فى ذلك لاح له طلائع السلطان الملك المنصور، و قد انكشف الغبار عنه، فحمل الملك الظاهر بمن بقى معه على الملك المنصور، فأخذه و أخذ الخليفة المتوكل على اللّه و القضاة و الخزائن، و مالت

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٣۶٨

الطائفة التى ثبتت معه على أثقال المصريين، فأخذوها على آخرها، و كانت شيئا يخرج عن الحد فى الكثرة.

و وقع الامير قجماس ابن عم الملك الظاهر فى قبضة، منطاش، فلم يتعوّق، و مرّ فى أثر المنهزمين و هو يظن أن الملك الظاهر أمامه إلى أن وصل إلى دمشق و بها نائبها الأمير جنتمر أخو طاز فقال له منطاش قد كسرنا الظاهر برقوقا، و فى الغد يقدم السلطان الملك

المنصور، فاخرج إلى لقائه، فمشى ذلك على جنتمر و احتار منطاش فيما يفعل فى الباطن، و لم يعرف ما حصل بعده للملك المنصور، و مع هذا كله فى نفسه أن الملك الظاهر برقوق قد انكسر.

و أما أمر السلطان الملك الظاهر برقوق و أصحابه فإن الأمير كمشبغا نائب حلب كان على ميمنة الملك الظاهر برقوق فلما انهزم من منطاش تمّ فى هزيمته إلى حلب و تبعه خلائق من عساكر حلب و غيرها، و فى ظن كمشبغا أن الملك الظاهر قد انكسر، و تبعه فى الهزيمة الأمير حسام الدين حسن الكجكنى، نائب الكرك، و معه أيضا عدة كبيرة من عساكر حلب و الكرك فسار بهم إلى الكرك كما سار كمشبغا إلى حلب فلم يصل كل واحد من كمشبغا و الكجكنى حتى قاسى شدائد و محنا.

هذا مع أنهم قطعوا رجاءهم من نصرة الملك الظاهر برقوق، غير أن كل واحد ينظر فى مصلحة نفسه فيما يأتى.

و أما الملك الظاهر فإنه لم يتأخر عنده إلا نحو من ثلاثين نفرا، أعنى من المماليك الظاهرية الذين كانوا معه عند أخذه الملك المنصور. و أما من بقى من التركمان و الغوغاء فأزيد من مائتى نفر.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٣٦٩

و لما قصد الملك الظاهر السلطان الملك المنصور حاجّيا و الخليفة و القضاة و أخذهم و ملك العصائب السلطانية وقف تحت العصائب، فلما رآه المنصور ارتاع، فسكّن الملك الظاهر روعه، و آنسه بالكلام، و سلّم على الخليفة و القضاة، و بشّ فى وجوههم و تلطّف بهم، فإنه لمّا رآه الخليفة كاد يهلك من هيبته، و كذلك القضاة؛ فما زال بهم حتى اطمأن خواطرهم.

هذا بعد أن سلبت النّهابة القضاة الثلاثة جميع ما عليهم، قبل أن يقع بصر الملك الظاهر عليهم، ما خلا القاضى الحنبلى ناصر الدين نصر اللّه، فإنه سلم من النهب، لعدم ركوبه وقت الحرب، و لم يركب حتى تحقق نصرة الملك الظاهر برقوق، فعند ذلك ركب و جاء إليه مع جملة رفقته، و أما مباشر و الدولة فإنهم كانوا توجهوا الجميع إلى دمشق، هذا بعد أن قتل من الطائفتين خلائق كثيرة جدّا بطول الشرح فى ذكرها.

و استمر الملك الظاهر واقفا تحت العصائب السلطانية و الملك المنصور و الخليفة بجانبه، و تلاحق به أصحابه شيئا بعد شىء، و تداول مجيئهم إليه، و جاءه جمع كبير من العساكر المصرية طوعا و كرها، فإنه صار الرجل منهم، بعد فراغ المعركة يقصد العصائب السلطانية، فيجد الملك الظاهر تحتها، فلم يجد بدّا من النزول إليه و تقبيل الأرض له، فإن خافه الملك الظاهر قبض عليه، و إلّا تركه من جملة عسكره.

و استمر الملك الظاهر برقوق يومه و ليلته على ظهر فرسه بسلاحه، و حوله مماليكه و خواصّه.

قال الوالد فيما حكاه بعد ذلك لمماليكه و حواشيه: و بات كلّ منا على فرسه، على أن غالبنا به الجراح الفاشية المنكية، و هو مع ذلك بسلاحه على فرسه،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٣٧٠

لم يغف أحد منا تلك الليلة، من السرور الذى طرقنا، و أيضا من الفكر فيما يصير أمرنا بعد ذلك إليه، غير أننا حصل لنا و لخيولنا راحة عظيمة، ببياتنا تلك الليلة فى مكان واحد و تشاورنا فيما نفعل من الغد، و كذلك السلطان الملك الظاهر، فإنه أخذ يتكلّم معنا فيما يرتّبه من الغد، فى قتال منطاش و نائب الشام، فما أصبح باكر نهار الاثنين إلا و قد رتبنا جميع أحوالنا و صار الملك الظاهر فى عسكر كثيف و تهيّأنا لقتال منطاش و غيره و بعد ساعة و إذا بمنطاش قد أقبل من الشام فى عالم كبير، من عسكر دمشق و عوامّها و ممن تراجع إليه من عسكره، بعد الهزيمة، فتواقعنا، فحصل بيننا وقعة من شروق الشمس إلى غروبها و وقع بيننا و بينهم قتال لم يعهد مثله فى هذا العصر. و بذل كلّ منا و منهم نفسه، فقاتلنا عن أرواحنا لا عن أستاذنا، لأننا تحقّق كل منا أنه إن انهزم بعد ذلك لا بقاء له فى الدنيا و المنطاشية أيضا قالوا كذلك و انكسر كل منا و منهم غير مرة و نتراجع. هذا و الملك الظاهر يكرّ فينا بفرسه كالأسد و يشجّع القوم و يعدهم و يمنيهم، ثم قصدنى شخص من الأمراء يقال له آقبغا الفيل و حمل علىّ فحملت عليه و طعنته برمحى ألقيته عن

فرسه، فرآه الملك الظاهر، فسأل عنى، فقيل له: تغرى بردى فتفاءل باسمى. و قال ما معناه:

اللّه لا ينوّلنى ما فى خاطرى إن كنت ما أرقّيك إلى الرتب العالية. انتهى.

قلت: و معنى اسم تغرى بردى باللغة التركية: اللّه أعطى، فلهذا تفاءل الملك الظاهر به، لمّا قيل له، تغرى بردى و استمر كلّ من الطائفتين تبذل نفسها لنصرة سلطانها إلى أن أرسل اللّه سبحانه و تعالى فى آخر النهار ريحا و مطرا فى وجه منطاش و من معه، فكانت من أكبر الأسباب فى هزيمته و خذلانه و لم تغرب الشمس حتى قتل من الفريقين خلائق لا يحصيها إلا اللّه تعالى: من الجند و التّركمان و العربان و العامّة و ولّى منطاش هو و أصحابه منهزما إلى دمشق، على أقبح وجه.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٣٧١

و عاد الملك الظاهر برقوق بمماليكه إلى مخيّمه بالمنزلة المذكورة و لم يكن فى أحد من عسكره منعة أن يتبع منطاش و لا عسكره و استمرّ الملك الظاهر بمزلة شقحب سبعة أيام، حتى عزّت عنده الأقوات و أبيعت البقّسماطة بخمسة دراهم فضة و أبيع الفرس بعشرين درهما و الجمل بعشرة دراهم، و ذلك لكثرة الدواب و قلّة العلف.

و غنم أصحاب الملك الظاهر أموالا جزيلة.

و فى مدة إقامة الملك الظاهر بشقحب، قدم عليه جماعة كبيرة من الأمراء و التركمان و العربان و المماليك.

ثم جمع الملك الظاهر من معه من الأمراء و الأعيان بحضرة الخليفة و القضاة، و أشهد على الملك المنصور حاجى يخلع نفسه من السلطنة و حكم بذلك القضاة.

ثم بويع الملك الظاهر برقوق بالسلطنة و أثبت القضاة بيعته و خلع على الخليفة و القضاة.

ثم ولّى الأمير إياس الجرجاوى نيابة صفد و الأمير قديد القلمطاوى نيابة الكرك و الأمير آقبغا الصغير نيابة غزّة.

ثم تهيّأ الملك الظاهر للعود إلى الديار المصرية و رحل من شقحب فأتاه عند رحيله منطاش بعسكر الشام و وقف على بعد، فاستعدّ الملك الظاهر للقائه فلم يتقدّم منطاش.

ثم ولّى إلى ناحية دمشق فأراد الملك الظاهر أن يتبعه فمنعه من ذلك أعيان دولته و قالوا له: أنت سلطان مصر أم سلطان الشام امض إلى مصر و اجلس على تخت الملك، فتصير الشام و غيرها فى قبضتك، فصوّب الملك الظاهر هذا الرأى و سار من وقته بمن معه من الملك المنصور و الخليفة و القضاة إلى جهة الديار المصرية.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٣٧٢

ثم أرسل الملك الظاهر يأمر منصور حاجب غزة بالقبض على حسام الدين حسن بن باكيش نائب غزة، فقبض عليه و استولى على مدينة غزة و قيّد ابن باكيش المذكور و بعث به إلى الملك الظاهر، فوافاه بمدينة الرملة فأوقفه بين يديه و وبّخه، ثم ضربه بالمقارع، ثم حمله معه إلى غزّة فضربه بها أيضا ضربا مبرّحا. و كان يوم دخول السلطان الملك الظاهر إلى غزة يوم مستهلّ صفر من سنة اثنتين و تسعين و سبعمائة.

و أمّا أمر الديار المصرية، فإنه أشيع بكسرة الملك الظاهر لمنطاش، يوم رابع عشر المحرم، و هو يوم الوقعة، قاله الشيخ تقى الدين المقريزى- رحمه اللّه- و هذا شىء من العجائب.

و فى هذه الأيام ورد من الفيّوم محضر على نائب الغيبة مفتعل بأن حائطا سقط على الأمراء المسجونين بالفيّوم، ماتوا تحته، و هم: الأمير تمربای الحسنى حاجب

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٣٧٣

الحجّاب و قرابغا الأبوبكرى أحد مقدّمى الألوف و طوغای تمر الجركتمرى أحد أمراء الألوف أيضا و يونس الإسعردى الرماح الظاهرىّ و قازان السيفىّ و تنكز العثمانى و أردبغا العثمانىّ و عيسى التركمانىّ.

قال المقريزى: هذا و الكتب المزوّرة ترد على أهل مصر فى كل قليل، بأنّ السلطان الملك المنصور انتصر على الملك الظاهر برقوق، و ملك الشام، و أنّ الظاهر هرب، فدقّ البشائر لذلك أياما، و لم يمش ذلك على أعيان الناس، مع أن الفتنة لم تزل قائمة فى هذه المدة بين الأمير صراى تمر نائب الغيبة و بين الأمير تكا الأشرفىّ المقيم بقلعة الجبل و كل منهما يحترز من الآخر.

و اتّفق مع ذلك أن الأمراء و المماليك الظاهريّة الذين سجنوا بخزانة الخاصّ من القلعة زرعوا بصلا فى قصريّتين فخّار و سقوهما فنجب بصل إحدى القصريّتين و لم ينجب الآخر، فرفعوا القصريّة التى لم ينجب بصلها، فإذا هى مثقوبة من أسفلها و تحتها خلوّ، فما زالوا به حتى اتّسع و أفضى بهم إلى سرداب مشوا فيه حتى صعد بهم إلى طبقة الأشرفية من قصور القلعة القديمة و كان منطاش سدّ بابها الذى ينزل منه إلى الإسطبل السلطانى، فعاد الذين مشوا و أعلموا أصحابهم، فقاموا بأجمعهم و هم نحو الخمسمائة رجل و مشوا فيه ليلة الخميس ثانى صفر و قد عملوا عليهم الأمير بطا الطولوتمرى الظاهرى رأسا و حاربوا باب الأشرفية: حتى فتحوه فثار بهم الخرّاس الموكّلون بحفظ الباب و ضربوا مملوكا يقال له تمربغا، قتلوه و كان ابتدأ بالخروج، فبادر بطا بعده ليخرج فضربه الحارس ضربة كما ضرب تمربغا قبله، سقط منها بطا إلى الأرض، ثم قام و ضرب بقيده الرجل الحارس ضربة كما ضربه

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٣٧٤

صرعه و خرج البقيّة و صرخوا المماليك: ياتكا يا منصور و جعلوا قيودهم سلاحهم، يقاتلون بها و قصدوا الإسطبل السلطانى، فانتبه صراى تمر، فسمع صياحهم تكا يا منصور، فلم يشكّ أنّ تكا ركب عليه ليأخذه بغتة لما كان بينهما من التخاصم و قوى خوفه، فنهض فى الحال و نزل من الإسطبل من باب السلسلة، و توجّه إلى بيت الأمير قطلوبغا الحاجب و كان قريبا من الإسطبل بالرّميلة، فملك بطا و رفقته الإسطبل و احتوى على جميع ما كان فيه من قماش صراى تمر و خيله و سلاحه و قبض على المنطاشيّة و أفرج عن المحبوسين من الظاهريّة و أخذ الخيول التى كانت هناك و أمر فى الوقت بدقّ الكوسات، فدقّت فى الوقت نحو ثلث الليل الأوّل فاستمروا على ذلك إلى أن أصبحوا يوم الخميس و ندم صراى تمر على نزوله من الإسطبل و لبس هو و قطلوبغا الحاجب آلة الحرب و أرسلوا إلى تكا بأن يقاتل المماليك الظاهرية من أعلى القلعة و هم يقاتلونهم من تحت، فرمى تكا عليهم من الرفرف و القصر و ساعده الأمير مقبل أمير سلاح و دمرداش القشتمرى بمن معه من مماليكهم و المماليك المقيمين بالقلعة، فقاتلهم المماليك الظاهريّة و تسامعت المماليك الظاهرية البطّالة و من كان مختفيا منهم، فجاءوهم من كل مكان، و كذلك المماليك اليلبغاوية و غيرهم من حواشى الملك الظاهر برقوق، و من حواشى يلبغا الناصرىّ و غيره من الأمراء الممسوكين و كبسوا سجن الدّيلم، و أخرجوا من كان به محبوسا من المماليك و غيرهم. ثم بعثوا إلى خزانة شمائل فكسروا بابها و أخرجوا من كان بها أيضا من المماليك اليلبغاويّة و الظاهريّة و غيرهم، ثم فعلوا ذلك بحبس الرحبة فقوى أمر بطا و رفقته و كثر جمعهم فخاف حسين بن الكورانى و هرب و اختفى.

ثم ركب الأمير صراى تمر و الأمير قطلوبغا حاجب الحجّاب فى جمع كبير من مماليكهم و غيرها و خرجا لقتال بطا و أصحابه، فنزل بطا بمن معه و قد تهيّأ للقتال،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٣٧٥

و قد صار فى جمع كبير و اجتمعت عليه العوام لمعاونته، فلما تصاففا خامر جماعة من المنطاشيّة و جاءوا إلى بطا، و صدم بطا المنطاشية فكسرهم، فانحازوا إلى مدرسة السلطان حسن، فلما رأى تكا ذلك خرج إلى الطبلخاناه و رمى على بطا و أصحابه بالنّشاب و مدافع النفط، فنزل طائفة من الظاهرية إلى بيت قطلوبغا و ملكوه، و نقبوا منه نقبا طلعوا منه إلى المدرسة الأشرفية بالصّوّه، و صعدوا إلى سطحها تجاه الطبلخاناه السلطانية و رموا على من بالطبلخاناه، من أعوان تكا فانهزموا فملك الظاهرية الطبلخاناه فحاصروا من هو بمدرسة السلطان حسن و كان بها طائفة من التركمان قد أعدّهم منطاش لحفظها، فصاحوا و سألوا الأمان لشدة الرمى عليهم بمكاحل النفط، فانهزم عند ذلك أيضا من كان من الرماة على باب المدرج أحد أبواب القلعة و سارت الظاهرية و اليلبغاوية إلى بيوت الأمراء فنهبوها.

كلّ ذلك و القاهرة فى أمن مع عدم من يحفظها و لم يمض النهار حتى وصل عدد الظاهرية إلى ألف، و أمدّهم ناصر الدين أستادار منطاش بمائة ألف درهم، ثم طلب بطا ناصر الدين محمد بن العادلىّ، و أمره أن يتحدّث فى ولاية القاهرة عوضا عن ابن الكورانى، فدخلها ابن العادلى و نادى فيها بالأمان و الدعاء للملك الظاهر برقوق، فسرّ الناس بذلك سرورا زائدا.

ثم فى يوم الجمعة ثالث صفر سلّم الأمير تكا قلعة الجبل إلى الأمير سودون الشيخونى النائب، ثم أقام بطا فى ولاية القاهرة منجك المنجكى، عوضا عن ابن العادلى، فركب و دخل القاهرة و نادى أيضا بالأمان و الدعاء للسلطان الملك الظاهر برقوق.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٣٧٦

و فيه نزل الأمير سودون النائب من القلعة و معه تكا الأشرفىّ و دمرداش القشتمرى و مقبل السيفى أمير سلاح، إلى عند الأمير بطا فقبض بطا عليهم و قيّدهم و بالغ فى إكرام الأمير سودون النائب و بعثه إلى الأمير صراى تمر، فنزل سودون إلى صراى تمر و ما زال به حتى كفّه عن الرمى و أخذه هو و قطلوبغا و سار فتكاثر العامّة عليهما يريدون قتلهما و الأمير سودون النائب يمنعهم من ذلك أشدّ المنع، فلم يلتفتوا إليه و رجموهما رجما متتابعا كاد يهلك الجميع، فاحتاجوا إلى الرمى بالنشّاب عليهم و ضربهم بالسيوف فقتل منهم جماعة كبيرة، فطلع سودون النائب بهما و بمن كان معهما إلى الإسطبل، فقيّدهم بطا أيضا و سجنهم و أمر بمن فى المدرسة من المقاتلة فنزلوا كلّهم.

و أذهب اللّه تعالى الدولة المنطاشية من مصر فى نحو ثلاثة أيام كأنها لم تكن، و ركب الأمير سودون الشيخونى النائب و عبر إلى القاهرة و المنادى ينادى بين يديه بالأمان و الدعاء للملك الظاهر برقوق و أرسل إلى خطباء الجوامع فدعوا له فى خطبة الجمعة و أطلق بطا زكرياء المخلوع عن الخلافة و الشيخ شمس الدين محمد الركراكىّ المالكى و سائر من كان بالقلعة من المسجونين و صار بطا يتتبع المنطاشية و يقبض عليهم كما كان منطاش يتتبع الظاهريّة و يقبض عليهم.

و فى أثناء ذلك قدم أحمد بن شكر الدليل و أشاع الخبر بالقاهرة بأنّ الملك الظاهر برقوقا قادم إلى الديار المصرية، ثم قدم جلبان العيسوى الخاصّكى و أخبر برحيل الملك الظاهر برقوق من مدينة غزّة فى يوم الخميس ثانى صفر، فدقّت البشائر و تخلّق الظاهرية بالزعفران و كتب بطا للسلطان يخبره بما اتّفق و أنهم ملكوا ديار مصر و أقاموا الخطبة باسمه و بجميع ما وقع لهم مفصّلا و بعثوا بهذا الخبر

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٣٧٧

الشريف عنان بن مغامس، و معه آقبغا الطولوتمرى المعروف باللّكّاش أحد المماليك الظاهريّة، فى يوم السبت رابع صفر، ثم كتب بطا إلى سائر الأعمال بالقبض على المنطاشيّة و الإفراج عن الظاهريّة و إرسالهم إلى الديار المصرية.

ثم طلب بطا حسين بن الكورانى فى الإسطبل، فلما طلع أراد المماليك الظاهرية قتله لقبح ما فعل فيهم، فشفع فيه سودون النائب.

ثم خلع عليه بطا و أعاده إلى ولاية القاهرة و أمره بتحصيل المنطاشية فنزل فى الحال و نادى من قبض على مملوك منطاشى أو أشرفىّ فله كذا و كذا، ثم قبض بطا على الأمير قطلوبغا و الأمير بورى صهر منطاش، و الأمير بيد مرشادّ القصر و الأمير صلاح الدين محمد بن تنكز و حبسهم بالقلعة، ثم حصّن بطا القلعة تحصينا زائدا و رتّب الرماة و النفطية و الرجال حتى ظنّ كلّ أحد أنه يمنع الملك الظاهر من طلوع القلعة.

قلت: و كان الأمر كما ظنّه الناس حسب ما حكاه الوالد بعد ذلك كما سنذكره الآن فى محلّه.

قال: و كثر الكلام فى أمر بطا، ثم أمر بطا الفخرى بن مكانس بعمل سماط فى الإسطبل السلطانىّ فصار الأمراء و المماليك بأجمعهم يأكلون منه فى كل يوم عند الأمير بطا.

ثم قدم كتاب الملك الظاهر إلى بطا على يد سيف الدين محمد بن عيسى العائدىّ يأمره بتجهيز الإقامات إليه.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٣٧٨

ثم قدم كتاب الملك الظاهر بتفصيل الوقعة بينه و بين منطاش، ثم قدم كتاب آخر عقيبه، كلّ ذلك و لم تطمئن النفوس بعود الملك الظاهر إلى ملكه و لا- ارتفع الشكّ، بل كان بطا يخشى أن يكون ذلك مكيدة من مكايد منطاش، و هو ينتظر جواب كتابه للملك الظاهر، حتى قدم آقبغا الطولوتمرى اللّكّاش، و قد ألبسه الملك الظاهر خلعة ستيّة شقّ بها القاهرة، فعند ذلك تحقّق كل أحد بنصرة الملك الظاهر برقوق و نودى بالأمان و الاطمئنان، و من ظلم أو قهر فعليه بباب الأمير بطا.

ثم قبض بطا على حسين بن الكورانى و قيّده بقيد ثقيل جدّا و نهبت داره و صار الصارم يأخذ ابن الكورانى فى الحديد، كما يؤخذ اللصوص و يضربه و يعصره ثم نقل من عند الصارم الوالى إلى الأمير ناصر الدين محمد بن آقبغا آص شادّ الدواوين، فعاقبه أشدّ عقوبة.

و فى تاسعه قدم تغرى بردى البشبغاوىّ الظاهرىّ و هو والد كاتبه إلى القاهرة بكتاب السلطان يتضمّن السلام على الأمراء و غيرهم و بأمور أخر.

و أمّا ما وعدنا بذكره من أمر بطا و أنه كان حدّثته نفسه بملك مصر فى الباطن، حكى لى الوالد- رحمه اللّه-. قال: لما قدمت إلى مصر و تلقّانى بطا و سلّم علىّ و عانقنى و أخذ يسألنى عن أستاذنا الملك الظاهر برقوق و كيف كانت الوقعة بينه و بين منطاش و صار يفحص عن أمره حتى رابنى أمره، فكان من جملة ما سألنى عنه بأن قال: يا أخى تغرى بردى مع أستاذنا صبيان ملاح شجعان أم مماليك ملفّقة، فقلت: مع أستاذنا جماعة إذا أجروا خيولهم هدموا باب السلسلة إنقابها و أقلّهم أنت و أنا إيش هذا السؤال. أما تعرف أغواتك و خشداشيّتك،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۱، ص: ۳۷۹

فقال: صدقت، و كم مثلثا فى خجداشيّتنا عند أستاذنا و أخذ ينتقل بى إلى كلام آخر بما هو فى مصالح السلطان الملك الظاهر. انتهى.

و عند قدوم الوالد إلى الديار المصريّة تزايد سرور الناس و فرحهم و تحقّقوا عود الملك الظاهر إلى ملكه.

ثم قدم تنبك الحسنىّ الظاهرىّ المعروف بتنم من الإسكندرية و كان أرسله بطا لنائب الإسكندرية و قد امتنع من الإفراج عن الأمراء المسجونين إلّا بكتاب السلطان.

ثم ألزم بطا الفخر بن مكانس بتجهيز الإقامات و الشّقق الحرير للفرش فى طريق الملك الظاهر حتى يمشى عليها بفرسه عند قدومه إلى القاهرة.

ثم قدم من ثغردمياط الأمير شيخ الصفوىّ و قبق باى السيفىّ و مقبل الرومىّ الطويل و ألطنبغا العثمانىّ و عبدوق العلائى و جرجى الحسنىّ و أربعة أمراء أخر.

و فى عاشره شدّد العذاب على ابن الكورانىّ و ألزم بحمل مائة ألف درهم فضة و مائة فرس و مائة لبس حربىّ.

و فى حادى عشر صفر قدم البريد بنزول السلطان الملك الظاهر إلى منزلة الصالحية فخرج الناس أفواجا إلى لقائه و نودى بزينة القاهرة و مصر فتفاخر الناس فى الزينة و نزل السلطان بعساكره إلى العكرشة فى ثالث عشر صفر.

و أمّا أمر منطاش و ما وقع له بعد ذلك و بقيّة سياق أمر الملك الظاهر برقوق و دخوله إلى القاهرة و طلوعه إلى قلعة الجبل و جلوسه على تخت الملك يأتى ذكر ذلك كلّه مفصّلا فى ذكر سلطنته الثانية من هذا الكتاب، بعد أن نذكر من توفّى من سنة إحدى و تسعين و سبعمائة التى حكم فى غالبها على مصر الملك المنصور حاجىّ، ثم نعود إلى ذكر الملك الظاهر و سلطنته الثانية- إن شاء اللّه تعالى-.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۱، ص: ۳۸۰

و أما الملك المنصور حاجىّ فإنه عاد إلى ديار مصر صحبة الملك الظاهر برقوق محتفظا به و هو فى غاية ما يكون من الإكرام و طلع إلى القلعة و سكن بها بالحوش السلطانىّ على عادة أولاد الأسياد و دام عند أهله و عياله إلى أن مات بها فى ليلة الأربعاء تاسع عشر

شوّال سنة أربع عشرة و ثمانمائة و دفن بتربة جدّته لأبيه خوند بركة بخطّ التّبانة بالقرب من باب الوزير خارج القاهرة، بعد أن تسلطن مرّتين و كان لقّب فى أوّل سلطنته بالملك الصالح و فى الثانية بالملك المنصور، و لا نعلم سلطانا غيّر لقبه غيره و مات الملك المنصور هذا عن بضع و أربعين سنة و قد تعطّلت حركته و بطلت يداه و رجلاه مدّة سنين قبل موته و كان ما حصل له من الاسترخاء من جهة جواريه على ما قيل: إنّهم أطعموه شيئا بطلت حركته منه و ذلك لسوء خلقه و ظلمه.

حدّثنى غير واحد من حواشى الملك الظاهر برقوق ممّن كان يباشر أمر الملك المنصور المذكور قال: كان إذا ضرب أحدا من جواريه يتجاوز ضربه لهنّ الخمسمائة عصاة، فكان الملك الظاهر لمّا يسمع صياحهنّ يرسل يشفع فيهنّ فلا يمكنه المخالفة فيطلق المضروبة، و عنده فى نفسه منها كمين، كونه ما اشتفى فيها و كان له جوقة مغان كاملة من الجوارى، كما كانت عادت الملوك و الأمراء تلك الأيام نحو خمس عشرة واحدة، يعرفن من بعده بمغانى المنصور، و كنّ خدمن عند الوالد بعد موته، فلمّا صار الملك الظاهر برقوق يشفع فى الجوارى لمّا يسمع صياحهنّ، بقى المنصور إذا ضرب واحدة من جواريه يأمر مغانيه أن يزفّوا بالدّفوف و تزعق

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١١، ص: ٣٨١

المواصيل فتصيح الجارية المضروبة فلا يسمعها الملك الظاهر و لا غيره، ففطن بذلك حريم الملك الظاهر و أعلموه الخبر، و قلن له إذا سمع السلطان زفّ المغانى فى غير وقت المغنى فيعلم السلطان أنّه يضرب جواريه و خدمه، فعلم الظاهر ذلك، فصار كلّما سمع المغانى تزفّ أرسل إليه فى الحال بالشفاعة، و له من ذلك أشياء كثيرة. و كان الملك الظاهر قبل أن يتكسّح يرسل خلفه فى مجلس أنسه و ينادمه فى غالب الأوقات و تكرر ذلك منه سنين و كان إذا غلب عليه السّكر تسفّه على الملك الظاهر و يخاطبه باسمه من غير تحشّم فيبتسم الملك الظاهر و يقول لحواشى الملك المنصور: خذوا سيّدى أمير حاج و ردّوه إلى بيته، فيقوم على حاله و هو مستمرّ فى السّبّ و اللّعن، فيعظم ذلك على حواشى الملك الظاهر و يكلّمون الملك الظاهر فى عدم الاجتماع به، فلا يلتفت إلى كلامهم فيصبح المنصور يعتذر للسلطان فيما وقع منه فى أمسه، فلمّا تكرر منه ذلك غير مرّة تركه و صار لا يجتمع به إلّا فى الأعياد و المواسم، فلما بطلت حركته انقطع عنه بالكليّة.

السنة التى حكم فى أولها الملك الظاهر برقوق إلى ليلة الاثنين خامس جمادى الآخرة و حكم فى باقيها الملك المنصور حاجّى.

و لم يكن له فى سلطنته إلا مجرّد الاسم فقط و المتحدّث فى المملكة الأتابك يلبغا الناصرىّ ثم تمربغا الأفضلى الأشرفىّ المدعو منطاش و هى سنة إحدى و تسعين و سبعمائة.

و فيها كان خلع الملك الظاهر برقوق من السلطنة و سلطنة الملك المنصور هذا كما تقدم ذكره.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١١، ص: ٣٨٢

و فيها فى ذى الحجّة كانت وقائع بين الملك الظاهر برقوق و بين جنتمر نائب الشام بعد خروجه من سجن الكرك.

و فيها توفّى خلائق كثيرة بالطاعون و السيف و كان الطاعون وقع بالديار المصرية فى أيام الفتنة، فكان من أجل ذلك أشد الطواعين و أعظمها خطبا لما دها الناس من شدّة الطاعون و أهوال الوقائع، فممّن قتل من الأعيان: القاضى شهاب الدين أبو العباس أحمد بن عمر بن أبى الرضا قاضى قضاة الشافعيّة بحلب. و خبره أن الملك الظاهر برقوقا لما خرج من سجن الكرك و وافقه الأمير كمشبغا الحموى نائب حلب ثار عليه شهاب الدين هذا محاماة لمنطاش و جمع أهل بانقوسا و حرّضهم على قتال كمشبغا المذكور و أفتى بجواز قتال برقوق، فركب كمشبغا و قاتلهم فكسرهم و قتل كثيرا من البانقوسيّة ممّن ظفر به، ففرّ شهاب الدين هذا إلى ظاهر حلب، فأخذ قريبا من حلب و أتى به إلى كمشبغا فقتله صبرا، و عمره زيادة على أربعين سنة، أثنى على علمه القاضى علاء الدين بن خطيب الناصريّة و الشيخ تقىّ الدين المقريزىّ رحمهما اللّه- و ذكر عنه قاضى القضاة بدر الدين محمود العينىّ- رحمه اللّه- مساوى و قبائح، نسأل اللّه تعالى السلامة فى الدّين، ذكرناها فى ترجمته فى تاريخنا المنهل الصافى.

قلت: و الجمع بين هذه الأقوال هو أنه كان عالما غير أنه كان خبيث اللسان، يرتكب أمورا شنيعة مشهورة عنه عند الحلبيين.

و توفّى قتيلا الأمير صارم الدين إبراهيم ابن الأمير قطلقتمر الخازندار بحلب قتله أيضا الأمير كمشبغا الحموى بحلب، و قد قام بنصرة منطاش و قاتل كمشبغا فلمّا ظفر به كمشبغا وسّطه فى شوال و إبراهيم هذا هو الذى كان وقع له مع الملك الظاهر برقوق ما وقع، لمّا اتفق مع الخليفة المتوكّل على اللّه و وافقهما الأمير قرط

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٣٨٣

الكاشف على قتل الملك الظاهر برقوق و تمّ عليهم و ظفر بهم برقوق و خلع الخليفة و حبسه و وسّط قرط الكاشف و حبس إبراهيم هذا مدّة ثم أطلقه لأجل أبيه قطلقتمر، ثم أنعم عليه بإمرة فلمّا خلع الملك الظاهر و حبس، قام عليه إبراهيم هذا و انضم مع الناصرىّ و منطاش و صار من جملة أمراء الطبلخاناة، ثم كان مع منطاش على الناصرى، فلمّا ملك منطاش الديار المصرية أنعم عليه بإمرة مائة و تقدمة ألف بديار مصر و استقرّ أمير مجلس عوضا عن الأمير أحمد بن يلبغا فلم يقنع بذلك و بدا منه أمور فأخرجه منطاش بعد أخذه الإمرة بدون السبعة أيام إلى حلب أمير مائة و مقدّم ألف بها، فدام بها حتى ثار أهل بانقوسا على كمشبغا نائب حلب وافقهم إبراهيم هذا فظفر به كمشبغا و وسطه.

قلت: ما كان جزاؤه إلا ما فعله به كمشبغا و كان شجاعا غير أنه كان يحب الفتن و يثير الشرور- عفا اللّه تعالى عنه-.

و توفّى الشيخ الإمام العلّامة شهاب الدين أحمد بن أبى يزيد بن محمد المعروف بمولانا زادة السّيرامىّ العجمىّ الحنفى والد العلّامة محبّ الدين محمد ابن مولانا زادة فى يوم الأربعاء حادى عشر المحرّم بالقاهرة و كان إماما مفتنّا فى علوم كثيرة؛ و هو أوّل من ولى درس الحديث بالمدرسة الظاهريّة البرقوقية و دام على ذلك إلى أن مات فى التاريخ المقدّم ذكره.

و توفّى الأمير سيف الدين تلكتمر بن عبد اللّه أحد أمراء الطبلخانات بالطاعون فى جمادى الأول و كان من خواصّ الملك الظاهر برقوق.

و توفّى قتيلا الأمير سيف الدين جاركس بن عبد اللّه الخليلى اليلبغاوى الأمير آخور الكبير و عظيم دولة الملك الظاهر برقوق، قتل فى محاربة الناصرىّ خارج

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٣٨٤

دمشق، فى يوم الاثنين حادى عشر شهر ربيع الأول و بقتله تخلخلت أركان دولة الملك الظاهر برقوق و كان أميرا مهابا عاقلا عارفا خبيرا سيوسا و له بالقاهرة خان يعرف بخان الخليلى و مآثر بمكة و غيرها و خلّف أموالا كثيرة أخذها منطاش و فرّقها فى أصحابه.

و توفّى الأمير يونس بن عبد اللّه النّوروزى اليلبغاوى الدوادار الكبير، قتله الأمير عنقاء بن شطّى أمير آل مرا بخربة اللصوص و هو عائد إلى الديار المصرية، بعد انهزامه من الناصرى و كان أيضا أحد أركان الملك الظاهر برقوق و إليه كان تدبير المملكة و كان خدمه و باشر دواداريّته من أيام إمرته و كان عاقلا مدبّرا حازما و هو صاحب الخان خارج مدينة غزّة و غيره معروفة عمائره باسمه و لا يحتاج ذلك إلى التعريف به، فإننا لا نعلم أحدا فى الدولة التركيّة سمّى بيونس الدوادار غيره ثم دوادار زماننا هذا الأمير يونس الدوادار السيفىّ آقبای، انتهى.

و توفّى الأمير سيف الدين بزلار بن عبد اللّه العمرىّ ثم الناصرى نائب الشام قتيلا بها و كان أصله من مماليك الملك الناصر حسن اشتراه و ربّاه مع أولاده و قرأ

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٣٨٥

القرآن و تأدّب و مهر فى الخط المنسوب و برع فى عدة علوم لا سيما علم الفلك و النجوم مع تقدّمه فى أنواع الفروسية و الشجاعة المفرطة و أنواع الملاعيب، مع ذكاء و فطنة و ذوق و عقل و محاضرة حسنة و حسن شكاله، ولاه الملك الظاهر برقوق نيابة الإسكندرية، ثم عزله و جعله من جملة أمراء الألوف بالديار المصرية، ثم خافه، فقبض عليه و نفاه إلى طرابلس فلمّا كانت نوبة

الناصرية اتفق مع جماعة قليلة من أصحابه و ملك طرابلس من نائبها أسندمر و وافق الناصرىّ على قتال الملك الظاهر برقوق، فلمّا ملك الناصرىّ مصر خلع عليه بنيابة دمشق، فولى دمشق و دام به إلى أن قبض منطاش على الناصرىّ، فغضب بزلار المذكور للناصرى و خرج عن الطاعة، فخادعه منطاش و أرسل ملطّفات إلى جنتمر بنيابة دمشق فاتّفق أمراء دمشق مع جنتمر و وثبوا عليه على حين غفلة، فركب و قاتلهم، و كاد يهزمهم لولا تكاثروا عليه و مسكوه و حبسوه بقلعة دمشق، حتى أرسل منطاش بقتله فقتل، و سنّه نيّف على خمسين سنة، و كان من محاسن الدنيا، حدّثنى الشيخ موسى الطرابلسىّ قال: لمّا نفاه الملك الظاهر برقوق إلى طرابلس صحبته فكنت أقعد لتكبيسه فأجد أضلاعه صفيحة واحدة، انتهى.

و توفّى الشيخ المعتقد حسن الخبّاز الواعظ، كان صاحب الشيخ ياقوت الشاذلىّ و تلقّن منه و تزوّج بآبنته و ترك بيع الخبز و انقطع بزاويته خارج القاهرة و جلس للوعظ حتى مات فى حادى عشرين شهر ربيع الآخر و دفن بالقرافة و كان للناس فيه اعتقاد حسن و لوعظه تأثير فى القلوب.

و توفّى الأمير سيف الدين سودون المظفرىّ أتابك حلب قتيلا بها بيد مماليك الأمير يلبغا الناصرى حسب ما تقدم ذكره فى ترجمة الملك الظاهر برقوق و كان أصله من مماليك قطلوبغا المظفّرى أحد أمراء حلب و بها نشأ و خدم الأمير جرجى

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٣٨٦

الإدريسىّ نائب حلب و صار خازنداره ثم صار من جملة أمراء حلب، ثم ولّاه برقوق حجوبية حلب ثم أتا بكابها، ثم نقله إلى نيابة حماة، ثم إلى نيابة حلب بعد القبض على يلبغا الناصرىّ، ثم عزله الظاهر عن نيابة حلب بالأمير يلبغا الناصرىّ المذكور و جعله أتابك حلب، فكان بينهما مباينة كبيرة و كان الناصرى يزدريه و دام على ذلك حتى بلغ الظاهر خروج الناصرىّ عن الطاعة و كتب ملطّفا لسودون المظفرى هذا بنيابة حلب على عادته و أرسل الملك الظاهر بصلحهم، فلمّا دخل سودون المذكور إلى دهليز دار السعادة أخذته سيوف مماليك الناصرى حتى قتل.

و توفّى الأمير سيف الدين صراى الطويل أحد أعيان المماليك اليلبغاوية خارج القاهرة فى شهر ربيع الأوّل و كان أحد أمراء الطبلخاناة بالديار المصرية.

و توفّى قاضى القضاة جمال الدين عبد الرحمن بن محمد بن سليمان بن خير السكندرىّ المالكى فى يوم الأربعاء رابع عشر شهر رمضان و كنيته أبو القاسم، مولده بالإسكندرية فى يوم الأحد سابع جمادى الأولى سنة إحدى و عشرين و سبعمائة و بها نشأ و طلب العلم و سمع الحديث و تفقّه بأبيه و غيره و برع فى الفقه و الأصول و شارك فى غيره و جلس مع الشهود بالثغر، ثم ولى به نيابة الحكم، ثم نقل إلى قضاء الديار المصرية، عوضا عن قاضى القضاة علم الدين سليمان بن خالد البساطىّ بعد عزله فى سنة ثلاث و ثمانين و سبعمائة و حمدت سيرته إلى الغاية و دام مدة سنين إلى أن عزل بالقاصى ولى الدين عبد الرحمن بن خلدون، ثم أعيد بعد ذلك إلى أن مات قاضيا، و تولّى بعده تاج الدين بهرام بن عبد اللّه بن عبد العزيز الدّميرىّ.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٣٨٧

و توفّى إمام السلطان الملك الظاهر برقوق الشيخ شرف الدين عثمان بن سليمان ابن رسول بن يوسف بن خليل بن نوح الكرادىّ (بتخفيف الراء المهملة) الحنفىّ المعروف بالأشقر، فى يوم الخميس رابع عشرين شهر ربيع الآخر، كان أصله من البلاد الشمالية و اشتغل بها ثم قدم القاهرة فى عنفوان شبابه فى الدولة الأشرفيّة شعبان بن حسين و اشتغل بها على علماء عصره، حتى شارك فى عدّة فنون و يجب الملك الظاهر فى أيام إمرته، فلما تسلطن الملك الظاهر قرّره إمامه و تقدم فى دولته ثم ولى قضاء العسكر، ثم مشيخة الخانقاه البيبرسيّة إلى أن مات و كان حسن الهيئة جميل الطريقة و هو والد القاضى محبّ الدين محمد بن الأشقر كاتب سرّ الديار المصرية الآن و قد سألت من ولده المذكور عن أصل آبائه فقال: أصلنا من بلاد القرم و كان جدّى عالما مفتنّا و كان والد جدّى ملكا بتلك البلاد، انتهى.

و توفى الأمير سيف الدين إشقتمر بن عبد اللّه المارديني الناصرى نائب حلب و الشام، غير مرّة بطّالا بحلب فى شوّال، كان أصله من مماليك صاحب ماردين و بعثه إلى الملك الناصر حسن بن الملك الناصر محمد بن قلاوون فربّاه الناصر و أدّبه و كان يعرف ضرب العود و يحسن الموسيقى و كان ماهرا فى عدّة فنون، فقرّبه أستاذه الملك الناصر حسن، و جعله من أعيان خاصّكيته،؟؟ أمّره ثم تنقّل بعد موت أستاذه فى عدة وظائف إلى أن ولّاه الملك الأشرف شعبان نيابة حلب بعد وفاة قطلوبغا الأحمدىّ، فباشرها نحو سنة و نصف و عزل بالأمير جرجى الناصرى الإدريسىّ، ثم ولى نيابة طرابلس عوضا عن قشتمر المنصورىّ، ثم أعيد بعد مدة إلى نيابة حلب عوضا عن قشتمر المنصورىّ المذكور، فى سنة إحدى و سبعين بعد قتل يلبغا أستاذ الملك الظاهر برقوق و كان إشقتمر خجداش يلبغا و صاحبه و من أقرانه، فباشر نيابة حلب مدّة ثم عزل و أعيد إلى نيابة طرابلس و السواحل

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٣٨٨

عوضا عن أيدمر الدوادار، ثم أعيد إلى نيابة حلب مرّة ثالثة فى سنة أربع و سبعين فباشر نيابة حلب إلى أن عزل فى سنة خمس و سبعين بالأمير بيدمر الخوارزمىّ و تولى نيابة دمشق، فباشر نيابة دمشق أربعة أشهر و عزل و أعيد إلى نيابة حلب رابع مرّة، فطالت مدّته فى هذه الولاية، و غزاسيس و فتحها فى سنة ست و سبعين و كان فتحا عظيما و سرّ الملك الأشرف شعبان بفتحه، و فيه يقول الشيخ بدر الدين حسن بن حبيب: [السريع]

الملك الأشرف إقباله يهدى له كلّ عزيز نفيس

لمّا رأى الخضراء فى شامة تختال و الشقراء عجبا تميس

و عاين الشّهباء فى ملكه تجرى و تبدى ما يسرّا الجليس

ساق إلى سوق العدى أدهما و ساعدا الجيش على أخذ سيس

و استمرّ على نيابتها إلى أن عزل بالأمير منكلى بغا الأحمدىّ البلدىّ و قبض عليه و حبس بالإسكندرية ثم أطلق و توجه إلى القدس بطالا، كل ذلك و إلى الآن لم يكن برقوق من جملة المماليك السلطانية، بل كان فى خدمة منجك، ثم من بعده فى خدمة الأسياد أولاد الملك الأشرف شعبان، ثم أعيد إلى نيابة حلب خامس مرة عوضا عن تمربای الأفضلىّ الأشرفىّ فى سنة إحدى و ثمانين، ثم نقل بعد عشرة أشهر إلى نيابة دمشق، عوضا عن بيدمر الخوارزمىّ فى سنة اثنتين و ثمانين، فدام بدمشق إلى أن عزل فى محرم سنة أربع و ثمانين و توجّه إلى القدس بطّالا، فدام بالقدس إلى أن أعيد إلى نيابة دمشق ثالث مرة، من قبل الملك الظاهر برقوق

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١١، ص: ٣٨٩

فى سنة ثمان و ثمانين، ثم عزل بعد أربعة أشهر و رسم له أن يتوجّه إلى حلب بطّالا، فدام بحلب إلى أن مات و كان فيه كل الخصال الحسنة لو لا حبّه لجمع المال.

و توفّى الشيخ الإمام العلّامة بدر الدين محمد ابن شيخ الإسلام سراج الدين عمر البلقينىّ الشافعىّ قاضى العساكر فى يوم الجمعة سابع عشر شعبان و دفن بمدرسة أبيه بحارة بهاء الدين قراقوش و كان أعجوبة فى الذكاء و الحفظ مفتنّا فى عدّة علوم و هو أسنّ من أخيه قاضى القضاة جلال الدين عبد الرحمن البلقينىّ و كان له نظم و نثر و مما ينسب إليه من الشعر: [الرمل]

كسروا الجرّة عمدا سقوا الأرض شرابا

قلت و الإسلام دينى ليتنى كنت ترابا

و توفّى العلامة شمس الدين محمود بن عبد اللّه النّيسابورىّ الحنفىّ المعروف بابن أخى جار اللّه، فى سابع جمادى الأولى و كان عالما مفتنّا فى علوم كثيرة.

و توفّى تاج الدين عبد اللّه و قيل: أمين الدين بن مجد الدين فضل اللّه بن أمين الدين عبد اللّه بن ريشة القبطىّ المصرىّ ناظر الدولة، فى سادس جمادى الأولى.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۱، ص: ۳۹۰

و توفّى الأمير قرا محمد التّركمانىّ صاحب الموصل، قتيلا فى هذه السنة و هو والد قرا يوسف صاحب تبريز، و جدّ بنى قرا يوسف ملوك العراق، الذين خربت بغداد و غيرها فى دولتهم و أيامهم.

و توفّى الأمير الطواشى سابق الدين مثقال بن عبد اللّه الجمالىّ الحبشىّ الزّمام و أصله من خدّام الملك الأمجد والد الأشرف شعبان، تنقّل فى عدة وظائف إلى أن صار زماما للدور السلطانية، فلمّا أن قتل الملك الأشرف عزله أينبك البدرىّ و ولّى عوضه مقبلا الرومىّ الطواشى اليلبغاوىّ و دام مثقال بطّالا سنين و صادره برقوق و حصل له محن، ثم أفرج عنه فصار يتردّد إلى مكة و المدينة إلى أن مات ببدر من طريق الحجاز فى ذى القعدة و دفن عند الشهداء فى ليلة الجمعة تاسع عشرينه.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم خمسة أذرع و عشرون إصبعا.

مبلغ الزيادة تسعة عشر ذراعا و أربعة أصابع، و اللّه تعالى أعلم.

انتهى الجزء الحادى عشر من النجوم الزاهرة و يليه الجزء الثانى عشر و أوله: ذكر سلطنة الملك الظاهر برقوق الثانية على مصر

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۱، ص: ۳۹۱

فهرس الملوك و السلاطين الذين تولوا مصر

من سنة ۷۶۲- ۷۹۱ ه (س) (۱) السلطان الملك الأشرف شعبان بن حسين- ولايته من ص ۲۴- ۱۴۷

(۲) السلطان الملك الصالح صلاح الدين أمير حاج ابن السلطان الملك الأشرف شعبان- ولايته من ص ۲۰۶- ۲۲۱

(۳) السلطان الملك الصالح ثم المنصور حاجى ابن السلطان الملك الأشرف بن حسين- ولايته من ص ۳۱۹- ۳۹۰

(۴) السلطان الملك الظاهر أبو سعيد سيف الدين برقوق بن آنص العثمانى اليلبغاوى الجاركسى- ولايته الأولى من ص ۲۲۱- ۳۱۸

(۵) السلطان الملك علاء الدين على ابن السلطان الملك الأشرف زين الدين بن شعبان- ولايته من ص ۱۴۸- ۲۰۶

(۶) السلطان الملك المنصور أبو المعالى ناصر الدين محمد ابن السلطان الملك المظفر حاجى- ولايته من ص ۳- ۲۳

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علىّ بْنُ موسَى الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فى تلخيص بحار الأنوار، للعلاّمة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافيّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذى" – "رَحِمَهُ اللهُ" – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذى قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَيت النبىّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علىّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فى سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز "القائميّة" للتحرِّى الحاسوبىّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإمامىّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجى الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالاتٍ شتّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشّباب و

عموم الناس إلى التّحَرّى الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فى المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلّاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِج العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة فى الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التى يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ– فى آكناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فى أنحاء العالَم – مِن جِهةٍ اُخرَى.

– من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فى الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتى "القائميّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِع اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضيّة، الخَطابات و... للعرض فى القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمىّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسيم النظام التلقائىّ و اليدوىّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخرىّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع" ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فى الجلسة

ى) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّى (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة

المكتب الرّئيسىّ: إيران/أصبهان/ شارع"مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائى/"بناية"القائميّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵–۲۳۵۷۰۲۳– (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِى الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى

بالقائمیّة) و مع ذلک، یرجو مِن جانب سماحة بقیّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرَجَهُ الشَّریفَ) أن یُوفِّقَ الکلَّ توفیقاً متزائداً لِإعانتهم - فی حدّ التّمکّن لکلّ احدٍ منهم - إیّانا فی هذا الأمر العظیم؛ إن شاءَ اللهُ تعالی؛ و اللهُ ولیّ التوفیق.

مرکز القائمیة للبحوث والتخریبات الکمبیوتریة
اصبهان
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹